أعلام المسلمين
٦٢

حذيفة بن اليمان
رضي الله عنه

أمين سر رسول الله

تأليف
إبراهيم محمد العلي

دار القلم
دمشق

حذيفة بن اليمان ﵁

أمين سر رسول الله ﷺ

تأليف

إبراهيم محمد العلي


حذيفة بن اليمان
أمين سر رسول الله

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

تُطلب جميع كتبنا من :

دار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧

الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦

ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق

دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥

ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

هٰــذَا الرَّجُــل

- (أتمنى أن يكون ملءُ هذا البيت رجالاً مثل أبـي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان فاستعملهم في طاعة الله).

  عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

- (علـمَ المنافقين، وسأل عن المعضلات، فإن تسألوه تجدوه بها عالماً). (كان أعلم الناس بالمنافقين).

  علي بن أبـي طالب رضي الله عنه.

- (أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ـ يعني حذيفة ـ).

  أبو الدرداء رضي الله عنه.

- (حذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ).

  أبو هريرة رضي الله عنه.

- (العارف بالمحن وأحوال القلوب، والمشرف على الفتن والآفات والعيوب).

  أبو نعيم الاصبهاني رحمه الله.

- (كان صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين يعلمهم وحده).

  النووي رحمه الله

● **(حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ).**

أبو عبد الله الحاكم رحمه الله.

● **(من نجباء أصحاب محمد ﷺ، وهو صاحب السر).**

أبو عبد الله الذهبي رحمه الله.

● **(كان حذيفة من كبار أصحاب رسول الله ﷺ).**

ابن حجر العسقلاني رحمه الله.



المقـدّمَة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ورضي الله عن الصحابة الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الله تعالى أكرم هذه الأمة فبعث فيها محمداً ﷺ رحمة للعالمين، ففتح الله به عيوناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً. وأقام به الملة العوجاء فهداهم إلى كلمة الخير والتوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الفرقة إلى الوحدة، ومن الجهل إلى نور العلم، فمن أخذ من هذا الدين بنصيب وافر، رفع الله شأنه في الدنيا والآخرة، وإن أعظم من أخذ بالحظ الوافر من نور هذا الدين، ومعين حكمته، هم أصحاب رسول الله ﷺ، فرفع الله شأنهم، وأعلى قدرهم، فكانوا عقل الأمة

المفكر، ونورها الذي يهديها في الظلمات، وبصيرتها التي تميز بها بين الخبيث والطيب، والحق والباطل.

ولقد شرفهم الله تعالى بصحبة نبيه الكريم، والمنافحة عن هذا الدين ووصفهم في كتابه العزيز بخير الأوصاف حيث قال تعالى:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾(1).

ولقد أعلن الله تعالى رضاه عن المؤمنين من الصحابة الذين ناصروه وبايعوه، فأكسبهم هذا الرضا سعادة الدارين، وخلد ذكرهم كلما تُليت الآيات أو رتلت في المحاريب وعلى ألسن قراء القرآن حيث قال عز من قائل:

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾(2).

إن من نال شرف صحبة النبي ﷺ فقد نال خيراً كثيراً، وأعطاه الله تعالى مكانة لا تدانيها مكانة، ومنزلة لا تعدلها منزلة، وفي ذلك يقول الإمام ابن حزم رحمه الله:

---

(1) سورة الفتح: الآية (29).
(2) سورة الفتح: الآية (18).

(فأما الصحابة رضي الله عنهم، فهم كل من جالس النبي ﷺ ولو ساعة، وسمع منه ولو كلمة فما فوقها، أو شاهد منه عليه السلام أمراً يَعِيْهِ، ولم يكن من المنافقين الذين اتصل نفاقهم واشتهر حتى ماتوا على ذلك.

وكلُّهم عدلٌ إمامٌ فاضلٌ رِضَا، فَرْضٌ علينا توقيرُهم وتعظيمهم، وأن نستغفر لهم ونحبهم، وتَمْرةٌ يتصدقُ بها أحدهم أفضلُ من صدقة أحدنا بما يملك، وجلسةٌ من الواحد منهم مع النبي ﷺ أفضل من عبادة أحدنا دَهَرهُ كله)[1].

(ولو عُمِّر أحدُنا الدهرَ كلَّهُ في طاعاتٍ متصلة، ما وازى عمل امرىء صحب النبي ﷺ ساعة واحدة فما فوقها، قال رسول الله ﷺ: «دعوا لي أصحابي، فلو كان لأحدكم مثلُ أُحدٍ ذهبا فأنفقه في سبيل الله، ما بلغ مُدَّ أَحَدِهم ولا نصيفه»[2].

وقال الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله:

(والصحابيُّ كلُّ من رأى النبيَّ ﷺ مُسْلِماً، وذلك لشرف الصحبة، وعظم رؤية النبي ﷺ، وذلك أن رؤية الصالحين لها أثر عظيم، فكيف رؤية سيد الصالحين؟! فإذا رآه مسلم ولو لحظة انطبع قلبه على الاستقامة، لانه بإسلامه متهيِّىءٌ للقبول. فإذا قابل ذلك النور العظيم، أشرف عليه وظهر أثره في قلبه وعلى جوارحه)[3].

---

(١) الأحكام في أصول الأحكام: (٥/٨٩).
(٢) الفصل: (٤/٢٠١).
(٣) الإبهاج في شرح المنهاج: (١/٩).

فمشاهدة النبي ﷺ وسماع ولو لفظة واحدة من كلامه شرف لا يدانيه شرف. وذلك شرف النبوة، ولأن لرؤية نور النبوة قوة سريان في قلب المؤمن، تظهر آثارها على جوارح الرائي في الطاعة والاستقامة مدى الحياة ببركته ﷺ.

ولقد حاز أصحاب رسول الله ﷺ قصَب السَّبْق في كل شيء: منهم قمة في التقوى والورع، وآية في التجرد والاخلاص، ومشعل في العلم والعمل، ونبراس في الدعوة والحركة، ونالوا خطاً وافراً من خصال الخير، فقد سبقوا إلى كل فضيلة، فلم يُدركوا فيها ولم يلحقوا، نصروا الإسلام ونافحوا عنه، وأرسوا قواعده، فتحوا القلوب بعدلهم بالقرآن والإيمان، والقرى بالجهاد والسنان، ونقلوا إلى التابعين ما تلقوه من مشكاة النبوة عذباً صافياً.

ولقد اجتمع لهم من الخصال الفاضلة ما تفرق في غيرهم، وحازوا من الفضل ما توزع عند الأجيال الكثيرة بعدهم، وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

(قال شيخنا ـ يعني شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ:

وهذه الأمور الثلاثة التي فَضَّل كلٌّ واحد من الأئمة بعضها وهي: الصلاة، والعلم، والجهاد، هي التي قال فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لولا ثلاثٌ في الدنيا لما أحببتُ البقاءَ فيها:

لولا أن أحملَ أو أُجهِّزَ جيشاً في سبيل الله، ولولا مكابدةُ هذا الليل، ولولا مجالسةُ أقوامٍ ينتقونَ أطايبَ الكلام كما ينتقى أطايب التمر، لما أحببتُ البقاء.

فالأول: الجهادُ، والثاني: قيام الليل. والثالث: مذاكرةُ العلم، فاجتمعت في الصحابة بكمالها، وتفرقت فيمن بعدهم)[1].

فما أحوجنا إلى تنمية محبة ذلك الجيل من الصحابة في نفوسنا، وتربية احترامهم واجلالهم في قلوبنا، وأن نتعرف على اقدارهم وفضلهم، فنحيي بذلك اتباعهم، والانتفاع بهم في أعمالنا وسلوكنا، فمعرفة الفضل لأهله من أخلاق أصحاب الطباع السليمة، والذوق الرفيع، فلا يعرف الفضل لأهله إلا أهل الفضل وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم يقول: «لا يشكرُ الله من لا يشكُرُ الناسَ»[2].

ولقد كانت الأمة الإسلامية من أعظم الأمم التي خلدت مآثر السلف الصالح وحفظت لهم فضلهم. وفي ذلك يقول العالم الفاضل أبو الحسن الندوي حفظه الله:

(وقد تواضعت الطبائع السليمة، والأذواق الصحيحة، على معرفة الفضل لأهله، والاعتراف بالجميل، وشكر من أسدى إحساناً أو دافعَ عن بلادٍ أو أُمة، وقتل دون عرضها وكرامتها، أو دينها وعقيدتها وقد أطبقت الأمم التي اعتدلت فطرتها، وصلحَ مزاجُها، على تخليد ذكر هؤلاء الأبطال، اعترافاً بالجميل، وتشجيعاً لأبناء الأمة على

(١) مفتاح دار السعادة: ص (١٣٠).
(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم: (٢١٨)، وأبو داود برقم: (٤٨١١)، والترمذي برقم: (١٩٥٥)، والطيالسي برقم: (٢٤٩١)، وأحمد في المسند: (٢/٢٥٨، ٣٠٣) والحديث صحيح.

تقليدهم، حتى كان الجندي المجهول موضع عناية الأمم الغربية واهتمامها.

أما المؤمنون واتباع الرُّسُل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ فحظُّهم من الاعتراف بالجميل، والشكر على الإحسان والنعمة: أَوفرُ من كل أُمَّةٍ وطائفة.

وقد وصف الله المؤمنين بالعرفان للجميل، والدعاء لمن سبق، والإقرار بالتقدم والفضل، فقال:

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾.

ووصف الله الكفار وأهل النار بالكُنودِ والجُحودِ ونُكران الجميل، ولعن اللاحق السابق! وكُرهِهِ له، والتبرِّي منه، فقال عن أهل جهنم: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾.

وامتازت الأمة الإسلامية من بين الأُمم برحابة الصدر، والاعتراف بالفضل، وإقامة موازين القسط بين الناس، وتخليد مآثر السلف، وكثرةِ الدعاء لهم والترحم عليهم، تشهدُ بذلك كتبُ التراجم والسير)[١].

ولقد كان من بين أولئك الصحابة الذين اتصفوا بهذا الخير جميعاً أمين سر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، أحد كبار أصحاب الحبيب، وأحد نجباء الصحابة، والذي تميز وتفرد بخصال لم

(١) أحمد بن عرفان الشهيد: ص (٦ ـ ٧).

يشاركه فيها أحد من أصحاب النبـي ﷺ، فاستحق مني هذا الجهد المتواضع الذي قمت فيه بنشر فضائله ومآثره وأخلاقه المتميزة.

ولقد سعدت سعادة غامرة وأنا أكتب فصول هذا الكتاب، حيث كانت سيرة الصحابـي الكبير خير معلم لي في تهذيب سلوكي وأعمالي وأقوالي، فقد سعد رضي الله عنه بصحبة النبـي الكريم، والتخلق بأخلاق النبوة، والاستقاء من نبع النبوة الصافي، وقد سعدت أنا بالتعرف على هذه الفضائل في شخصه رضي الله عنه. وسعدت بصحبة مآثره وأخلاقه رضي الله عنه، فصحبة الخيار من عباد الله في مآثرهم وأخلاقهم ترفع من درجات من يصاحبهم، ويصدق في ذلك قول الشيخ بشير الغزي الحلبـي رحمه الله:

رأيتُ الطينَ في الحمامِ يوماً ... بكـفِّ الحـبِّ أَثـرَ ثـم نسـمْ
فقلـت لـه: أَمسـكٌ أم عبيـرٌ ... لقـد صيـرتنـي بـالحـبِّ مغـرمْ
أجاب الطين: إني كنتُ تُرباً ... صحبـتُ الـوردَ صيـرنـي مكـرمْ
أَلِفـتُ أكـابـراً وازددت علمـاً ... كـذا مـن عـاشـر العلمـاء يكـرم

وإذا كانت صحبة أهل العلم نعمة تزيد العمر وتباركه وتزكيه، والأخذ عنهم وقراءة سيرهم هي أغلى ما تنفق فيه الأوقات، وتبذل دونه المهج، فصحبة الصحابة في سيرهم أعظم فائدة، وانفع أثراً في النفوس. لأنهم قبسوا قبسات من نور النبوة الطاهر.

فصاحبُ أهل العلم خير مصاحبٍ ... وخادمهم لا شك أفضلُ خادم
وإن اقتناء العلمِ أحسن للفتى ... من الذهب التِّبْري وكنزِ الدراهم

ولقد عشت مع سيرة هذا الصحابـي الكريم رضي الله عنه ما يزيد

على عام ونصف تقريباً، تعرفت فيها على خصال نادرة، وصفات متميزة لم تجتمع لأحد كما اجتمعت لحذيفة رضي الله عنه.

ولقد حاولت جهدي أن أبرز هذه الخصال. وأقدم هذه الشخصية الكريمة إلى القراء الكرام، في صورة تحبب هذا الصحابي إلى قلوبهم، وتؤثر في سلوكهم وأعمالهم، وقد عرضت حياة هذا الصحابي على النحو التالي:

- الفصل الأول : نسبه وبعض أخباره الخاصة.
- الفصل الثاني : حذيفة مع الرسول ﷺ.
- الفصل الثالث : حذيفة مع الخلفاء الراشدين.
- الفصل الرابع : حذيفة أخلاق وسجايا.
- الفصل الخامس : حذيفة بن اليمان محدثاً.
- الفصل السادس : حذيفة بن اليمان فقيهاً.
- الفصل السابع : حذيفة عالِمُ الفتن.
- الفصل الثامن : حذيفة أمين سر رسول الله ﷺ في المنافقين.
- الفصل التاسع : حذيفة بن اليمان وتفسير القرآن.
- الفصل العاشر : متفرقات من حياة حذيفة.
- الفصل الحادي عشر: أقوال وخطب.
- الفصل الثاني عشر: وفاة حذيفة بن اليمان.
- الخاتمة.

وختاماً فهذا جهد المقل. بذلته في افشاء مآثر وفضائل هذا الصحابي الكريم، فإن أحسنت فلله الفضل والمنة في الأولى والآخرة، وإن أخطأت فذلك بسبب عوامل القصور والضعف التي جبل عليها

الإنسان، فأسأل الله أن يغفر لي، وأن يجعل هذا الجهد في ميزان أعمالي يوم القيامة، وأن يحشرني في زمرة أصحاب المصطفى ﷺ، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

إبراهيم محمد العلي
عمان ١١١٤٥ ـ الأردن
ص. ب. ٤١٥٤٢٦

الفَصْلُ الأوَّل

نسبه وحليته وبعض أخباره الخاصة

اسمه ونسبه وكنيته:

(هو حذيفة بن اليمان، واليمان لقب، واسمه حِسْل ويقال حُسَيْلُ بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جروة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان العبسي حليف بني عبد الأشهل من الأنصار)[١].

وكان يكنى بأبـي عبد الله، جاء في تاريخ بغداد (... يكنى حُذيفة أبا عبد لله، وأمه من بني عبد الأشهل تسمى الرباب)[٢].

والده ووالدته:

أما والده فهو (حسل، أو حسيل والمعروف باليمان حليف بني عبد الأشهل).

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات: (١/ ١٥٣)، وتاريخ بغداد: (١/ ١٦٢)، والاستيعاب: (١/ ٢٧٧)، وطبقات ابن سعد: (٦/ ١٥).
(٢) سير أعلام النبلاء: (٢٠/ ٣٦١)، وتاريخ بغداد: (١/ ١٦١).

وسبب تسميته باليمان لأنه حالف الأنصار وهم من اليمن فلقب بذلك: (قالوا: واليمان لقب حسل، وقال الكلبي وابن سعد هو لقب جروة، قالوا: ولقب باليمان لأنه أصاب دماً في قومه، فهرب إلى المدينة، فحالف بني عبد الأشهل من الأنصار، فسماه قومه باليمان لأنه حالف الأنصار وهم من اليمن)[1].

ولم يشهد والد حذيفة غزوة بدر مع رسول الله ﷺ بسبب حادثة طريفة، تظهر مدى وفاء الرسول ﷺ بالعهد مع اعدائه وأصدقائه صلوات الله عليه:

فقد جاء من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال:

(ما منعني أن أَشْهَدَ بدراً إلاّ أنِّي خرجت أنا وأبي، حُسَيْلٌ، قال: فأخذنا كفار قُرَيش.

قالوا: إنكم تريدُونَ مُحمداً؟

فقلنا: ما نريدُهُ، ما نريد إلاَّ المَدِينَةَ.

فأخذوا منا عهد الله وميثاقَهُ لننصرفَنَّ إلى المدينةِ. ولا نقاتل معه.

فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرنَاهُ الخبر.

فقال: («انصَرِفَا، نفي لَهُمْ بِعَهدِهِمْ، ونستعينُ اللَّهَ عليهم»)[2].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات: (١/ ١٥٤)، الإصابة: (٢/ ٢٢٣)، وسير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٦٢)، والمستدرك للحاكم: (٣/ ٣٨٠)، الاستيعاب: (١/ ٢٧٧).

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد باب الوفاء بالعهد برقم: (١٧٨٧)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٩٥)، والحاكم في المستدرك: (٣/ ٣٧٩)، والطبراني في الكبير برقم: (٣٠٠٠، ٣٠٠١).

ولكنه شهد مع رسول الله ﷺ هو وابنه حذيفة أُحداً، فاستشهد يومئذ، قتله بعض الصحابة خطأ. دون أن يعرفه، لاشتباه في اللباس، ولستر الوجوه:

قال الذهبي رحمه الله: (شهد هو وابنه حذيفة أُحداً، فاستشهد يومئذ، قتله بعض الصحابة غلطاً، ولم يعرفه، لأن الجيش يختفون في لأمة الحرب، ويسترون وجوههم، فإن لم يكن لهم علامة بينة، وإلا ربما قتل الأخُ أخاه، ولا يشعر)[1].

وقد جاءت حادثة استشهاده رضي الله عنه من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت:

(لما كان يوم أحد هزم المشركون، فصرخ إبليس لعنة الله عليه: أي عباد الله، أُخراكم.

فرجعت أُولاهم فاجتلدت هي وأخراهم.

فبَصُرَ حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان، فقال: أي عباد الله أَبـي أَبـي.

قال: قالت: فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه.

فقال حذيفة: يغفر الله لكم.

قال عروة: فوالله ما زالت في حذيفة بقية من خير حتى لحق بالله)[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٦٢).

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب إذا همت طائفتان منكم أن تفشلا رقم: (٤٠٦٥)، وفي المناقب باب ذكر حذيفة بن اليمان برقم: (٣٨٢٤)، وابن سعد في الطبقات: (٢/٤٥)، والحاكم: (٣/٣٧٩) والبيهقي في الدلائل: (٣/ ٢٣٠ _ ٢٣١). =

وقد جاء ما يخبر عن نفسية اليمان والد حذيفة رضي الله عنهما، وعن مدى حبه للاستشهاد:

عن محمود بن لبيد، قال:

(لما خرج رسول الله ﷺ إلى أُحد، رَفع حُسَيل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان، وثابت بن وَقش في الآكام مع النساء والصبيان.

فقال أحدهما لصاحبه: وهما شيخان كبيران: لا أبا لك، ما تنتظر؟ فوالله ما بقي لواحد منّا من عمره إلا ظمء حمار[1]، إنما نحن هامة اليوم أو غد، أفلا نأخذ أسيافنا، ثم نلحق برسول الله ﷺ لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله ﷺ؟.

فأخذا أسيافهما ثم خرجا، حتى دخلا في الناس، ولم يُعلم بهما، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حسيل بن جابر، فاختلفت عليه أسياف المسلمين، فقتلوه ولا يعرفونه.

فقال حذيفة: أبـي؛ فقالوا: والله إن عرفناه وصدقوا.

فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين.

فأراد رسول الله ﷺ أن يَديه، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً)[2].

---

(١) ظِمءُ حمار: مقدار ما بين الشربتين له، أي لم يبق من أعمارنا إلا كما بقي بين شربتي الحمار.

(٢) أخرجه ابن هشام: (٢/٨٧ ـ ٨٨)، والطبري في تاريخه: (٢/٥٣٠)، من طريق ابن إسحاق، وسنده حسن رجاله ثقات، وقد صرح ابن إسحاق =

وأما والدته فهي: امرأة من الأنصار من الأوس، من بني عبد الأشهل، اسمها الرباب بنت كعب بن عدي بن عبد الأشهل(١).

وقال ابن حجر: (ذكرها ابن سعد وابن حبيب فيمن بايع رسول الله ﷺ من النساء، وقال ابن سعد: ولدت لليمان: حذيفة، وسعداً، وصفوان، ومدلج وليلى)(٢).

ومما يدل على فطنتها ومحبتها لرسول الله ﷺ، حثها لولدها حذيفة على دوام الصحبة لرسول الله ﷺ وعدم مفارقته، ولذلك فقد عنفته لأنه لم يلق النبي ﷺ مدة من الزمان، فلما أخبر حذيفة رسول الله ﷺ بما فعلت أمه، دعا لها وله بالمغفرة:

(عن حذيفة قال: سألتني أُمي: منذ متى عهدك بالنبي ﷺ؟ قال: فقلت لها: منذ كذا وكذا؟

قال: فنالت مني وسبتني، قال: فقلت لها: دعيني فإني آتي النبي ﷺ، فأصلي معه المغرب، ثم لا أَدعه حتى يستغفر لي ولك؟

قال: فأتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب، فصلى النبي ﷺ العشاء، ثم انفتل، فتبعته، فعرض له عارض فناجاه، ثم ذهب فاتبعته، فسمع صوتي، فقال: «من هذا؟».

= بالتحديث فانتفت شبهة التدليس، وأخرجه الحاكم: (٣/ ٢٠٢) وقال صحيح على شرط مسلم.

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: (١/ ٢٧٧)، تاريخ بغداد: (١/ ١٦١)، والإصابة في تمييز الصحابة: (٤/ ٣٠٠).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة: (٤/ ٣٠٠).

فقلت: حذيفة. قال: «مالَكَ؟». فحدثته بالأمر.

فقال: «غفر الله لك ولأمك»، ثم قال: «أما رأيت العارض الذي عرض لي قبيل». قال: قلت: بلى.

قال: «فهو مَلك من الملائكة لم يهبط الأرض قبل هذه الليلة، فاستأذن ربه ـ عز وجلّ ـ أن يُسلم عليَّ، ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة رضي الله عنهم»[١].

إخوانه وأخواته:

جاء في ترجمة والدة حذيفة بن اليمان في الإصابة ما نصه:

قال ابن سعد: ولدت لليمان: حذيفة، وسعداً، وصفوان، ومدلج وليلى)[٢].

وقد زاد الإمام النووي على ذلك فقال:

(كان لحذيفة أخ اسمه صفوان واختان ام سلمة وفاطمة بنو اليمان)[٣] وبهذا يكون لحذيفة ثلاثة أخوة: هم: سعد، وصفوان، ومدلج.

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب، باب مناقب الحسن والحسين برقم: (٣٧٨١)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٩١، ٣٩٢) والنسائي في فضائل الصحابة برقم: (١٩٣)، والحاكم في المستدرك: (٣/ ٣٨١)، وابن حبان برقم: (٧١٢٦)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، والحديث إسناده صحيح.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة: (٤/ ٣٠٠).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات: (١/ ١٥٥).

وثلاث أخوات: أم سلمة ليلى بنت اليمان، وفاطمة بنت اليمان، وخولة بنت اليمان.

● فأما صفوان فقد شارك مع أبيه وأخيه حذيفة في غزوة أحد كما ذكر ذلك ابن عبد البر حيث قال:
(شهد أُحداً مع أبيه وأخيه)[1].

● وأما أخته فاطمة بنت اليمان فلها صحبة وقد أسلمت وبايعت النبي ﷺ وروت عنه.

(قال ابن سعد: اسلمت وبايعت، وقال في الاستيعاب: لحذيفة أخوات قد أدركن النبي ﷺ»[2].

وقد روت عن رسول الله ﷺ حديثاً واحداً أورده هنا:

عن أبي عبيدة بن حذيفة، عن عمته فاطمة أنها قالت:
أتينا رسول الله ﷺ نعوده في نساءٍ فإذا سِقاءٌ مُعَلَّق نحوه، يقطر ماؤُه عليه من شِدَّةِ ما يَجدُ من الحُمَّى، قلنا: يا رسول الله لو دعوتَ الله فشفاك.

فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) الاستيعاب (١/ ٢٧٧) والإصابة (٢/ ١٨٥) ترجمة: (٤٠٩١). المعارف: ص (٢٦٣).
(٢) تهذيب الكمال: (٣٥/ ٣٦٦) الإصابة: (٤/ ٣٧٤) برقم: (٨٥٩)، الاستيعاب: (٤/ ٣٧٣)، تهذيب التهذيب: (١٢/ ٤٤٥)، طبقات ابن سعد: (٨/ ٣٢٥)، الثقات لابن حبان: (٣/ ٣٣٦)، أسد الغابة: (٧/ ٢٣٣)، الكاشف: (٣/ ٤٧٨).

«إنَّ مِن أَشدِّ الناس بلاءً الأَنبياءُ، ثم الذين يَلُونهم، ثُمَّ الذين يَلُونهم، ثم الذين يلونهم»[١].

● وأما أم سلمة ليلى بنت اليمان: فهي أم عمرو بن ثابت بن وقش الذي دخل الجنة ولم يصل لله سجدة[٢].

● وأما خولة بنت اليمان: لها صحبة، روت عن النبـي ﷺ، وعنها أبو سلمة بن عبد الرحمن[٣].

● وأما سعد ومدلج فلم أجد لهما ترجمة.

أولاد حذيفة:

ترك حذيفة رضي الله عنه من الابناء خمسة هم:

● أبو عبيدة بن حذيفة: فقد روى عن أبيه حذيفة بن اليمان، وعدي بن حاتم، وأبي موسى الأشعري. وعمته فاطمة ولها صحبة.

وروى عنه: حسين بن عبد الرحمن السلمي، وخالد بن أبـي أمية الكوفي، ومحمد بن سيرين، ويزيد أبو خالد الواسطي وليس

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٦/ ٣٦٩)، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف برقم: (١٨٠٤٤)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٢٤٤) برقم: (٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١)، وقال ابن حجر في الإصابة: (٤/ ٣٧٤) أخرج حديثها النسائي وابن سعد بسند قوي، وزاد عزوه لابن منده في المعرفة. وفي جزء أبـي مسعود بن الفرات، وصححه الألباني في الصحيحة: (١٤٥).

(٢) الاستبصار ص (٢٣٦).

(٣) الثقات لابن حبان: (٣/ ١١٧)، الاستيعاب: (٤/ ٢٨٤)، الإصابة: (٤/ ٢٨٧) وأسد الغابة: (٧/ ٩٩).

بالدالاني، ويوسف بن ميمون القرشي.

قال أبو حاتم: لا يسمى، وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وقال ابن حجر في التقريب: مقبول[١] وقد روي له النسائي حديثاً[٢]، وابن ماجه آخر[٣].

● وأما صفوان وسعيد فقد قتلا بصفين، وكانا قد بايعا علياً بوصية من أبيهما، وقاتلا معه حتى استشهدا[٤].

● وأما سماك بن حذيفة فلم أجد له ترجمة الا مجرد ذكر له أنه روى عن أبيه[٥].

● وأما سعد بن حذيفة: فقد ولي قضاء المدائن، يروي عن أبيه وروى عنه قندر الثوري، وزياد بن علاقة[٦].

● وأم سلمة بنت حذيفة: وهي أم موسى بن عبد الله بن يزيد،

---

(١) تهذيب الكمال: (٣٤/ ٥٤ ـ ٥٧) تهذيب التهذيب: (١٢/ ١٥٩) تقريب التهذيب: (٢/ ٤٤٨) الثقات لابن حبان: (٥/ ٥٩٠)، ثقات العجلي ص (٥٠٤)، الجرح والتعديل: (٩/ ٤٠٣) الكاشف: (٣/ ٣٥٦) التاريخ الكبير: (٦/ ٥١)، تعجيل المنفعة ص (٣٧٢).

(٢) ذكرت نص الحديث وتخريجه في ترجمة عمته فاطمة قبل قليل، والحديث قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: (٢/ ٢٩٢) رواه أحمد والطبراني في الكبير، وإسناد أحمد حسن.

(٣) سنن ابن ماجه برقم: (٢٤٩١).

(٤) الاستيعاب: (١/ ٣٣٤).

(٥) مختصر زوائد البزار: (١/ ٧٢) حديث رقم: (١٦) و (١٧).

(٦) الثقات: (٤/ ٢٩٤)، وتاريخ بغداد: (٩/ ١٢٣).

روت عن أبيها: أنه كان ينهاهم أن يصوموا في اليوم الذي يشك فيه من رمضان[1].

بيت اسلام وجهاد:

وبهذا يتبين لنا أن بيت حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قد أسس على الإيمان، وشيدت أركانه على الجهاد والتضحية، فوالده المحب للشهادة طلبها ونالها يوم أُحد، ووالدته المحبة لرسول الله والتي كانت حريصة على أن يداوم ولدها حذيفة على الجلوس مع النبي ﷺ وأن يحرص على صحبته، وأما هو فهو العالم بالفتن. الخبير بأمراض القلوب وعلاجها، وأخوه صفوان الذي جاهد مع رسول الله في غزوة أحد، وأبناؤه صفوان وسعيد ضحيا بنفسيهما في سبيل الوفاء بعهدهما لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

وبهذا يتبين لنا أن أسرة حذيفة بن اليمان أُسرة أكرمها الله عز وجل بصحبة النبي ﷺ، والتشرف بالدفاع عن حمى الإسلام ودولته في وقت عز فيه الرجال، وقل فيه المدافعون عن الحق.

حليتـــــه:

جاءت بعض أوصاف حذيفة بن اليمان في حديث من الأحاديث التي رواها الإمام أحمد في مسنده:

قال خالد بن خالد اليشكري: خرجت زمان فتحت تستر حتى قدمتُ الكوفة، فدخلتُ المسجد فإذا أنا بحلقة فيها رجل صدع من

---

(١) الثقات: (٣/ ٨١)، والطبقات لابن سعد: (٨/ ٤٧٧).

الرجال، حسن الثغر يعرف فيه أنه من رجال أهل الحجاز.

قال: فقلت: من الرجل؟

فقال القوم: أوما تعرفه؟ فقلت: لا. فقالوا: هذا حذيفة بن اليمان. . . ، وذكر الحديث[1].

والصدع من الرجال: الرجل الخفيف اللحم.

فمن هذا نعلم أن حذيفة بن اليمان لم يكن بالسمين ولا النحيف، ولكنه رجل وسط بين الرجال، يحمل على جسمه القليل من اللحم، وهو باسم الثغر، حسن الوجه، يعلم من رؤيته لأول وهلة أنه من أهل الحجاز كما عرفه خالد اليشكري.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٤٠٣) والحاكم في المستدرك: (٤/ ٤٣٢) وأبو داود في السنن برقم: (٤٢٤٤)، والحديث صحيح.



الفَصل الثاني

حذيفة مع الرسول ﷺ

(أ) اسلامه وملازمته للنبـي ﷺ:

إسلامـــه:

عندما ولد حذيفة بن اليمان. كانت الدعوة الإسلامية على وشك الظهور، أو أنها قد ظهرت في مكة على يدي سيد البشرية محمد ﷺ. فلما سمع والد حذيفة بذلك وكان رجلاً معمراً قد أدرك الجاهلية، واكتوى بنار الظلم في ظلالها، وعاصر بدء الدعوة الإسلامية. فكان أن اسلم في عاشر عشرة من بني عبس قدموا على رسول الله ﷺ وأعلنوا إسلامهم.

وكانت أمه الرباب من نساء الأنصار السابقات إلى الإسلام، فنشأ حذيفة في بيت إسلامي، دفع حب الإسلام والاخلاص له أباه إلى الشهادة، وهو شيخ طاعن في السن سقط عنه فرض الجهاد.

وقد كان إسلام حذيفة مبكراً، فهاجر إلى النبـي ﷺ فخيره بين الهجرة والنصرة، فاختار النصرة، إذ قال له الرسول ﷺ: «إن شئت كنت من المهاجرين، وإن شئت كنت من الأنصار؟».

فقال حذيفة: من الأنصار.

فقال: فأنت منهم.

فكان حذيفة يقول: خيرني رسول الله ﷺ بين الهجرة والنصرة فاخترت النصرة[1].

وذلك لأنه كان حليفاً لبني عبد الأشهل من الأنصار، فآثر أن يبقى مع الأنصار حلفائه، وهذا يدل على خلق من أخلاق حذيفة وهو الوفاء، إذ حرص بهذا الاختيار أن يفي لحلفائه فاختارهم، على الرغم من كونه مهاجراً بحكم مجيئه إلى المدينة للسكنى وهو ليس من أهلها، وانصارياً بحكم حلفه مع بني عبد الاشهل من الأنصار، فعلى هذا فإن حذيفة يعد من أعيان المهاجرين، كما أنه يعد من أعيان الأنصار فهو مهاجري أنصاري رضوان الله عليه.

المؤاخـاة:

وضمن اطار المؤاخاة التي أجراها رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فقد آخى الرسول بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف. وغير هؤلاء كثير، وقد نال حذيفة بن اليمان من المؤاخاة نصيباً وافراً حيث آخىٰ الرسول ﷺ بينه وبين أحد كبار المهاجرين من أصحاب السابقة في الإسلام من مُلىءَ بالإيمان إلى مشاشه عمار بن ياسر رضي الله عنهما:

(قال الواقدي: آخى رسول الله ﷺ بين حذيفة وعمار. وكذا قال ابن إسحاق)[2].

---

(١) انظر المعارف لابن قتيبة ص (٢٦٣)، وأخرجه الطبراني في الكبير: (٣/ ١٨٢) وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٦٥): رجاله رجال الصحيح غير علي بن زيد وهو حسن الحديث.

(٢) سير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٦٢) ابن هشام في السيرة: (٢/ ١٢٥)، جوامع السير: ص (٩٦).

ملازمته لرسول الله ﷺ:

لقد كان حذيفة رضي الله عنه من الصحابة الكرام الذين لزموا رسول الله ﷺ، فاستفادوا كثيراً وأفادوا كثيراً. فقد درس في الجامعة الكبيرة التاريخية التي أنجبت القادة والعلماء والفقهاء، وأهل العدل والورع والتُقى ومحبة الخير للإنسانية بل ودرء الشر عنها ـ بهداية من هدى الله إلى الدين الحنيف ـ تلك الجامعة التي كان مؤسسها ومديرها وموجهها هو السيد الأكرم ـ سيد ولو آدم ولا فخر ـ قائدنا وهادينا وحبيبنا وشفيعنا رسول الله ﷺ.

هذه الجامعة التي يرعاها رب العزة عز وجل برعايته، ويكلؤها بحمايته إلى يوم الدين، ولا تزال تنجب الرجال الأفذاذ ـ الذين استقر في قلوبهم محبة المعلم الكبير المزكي العظيم حبيب الحق وسيد الخلق ﷺ.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

١ ـ حض أمه له على ملازمة النبي ﷺ:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: سألتني أمي: منذ متى عهدك بالنبي ﷺ؟ قال: فقلت لها: منذ كذا وكذا؟.

قال: فنالت مني وسبتني، قال: فقلت لها: دعيني فإني آتي النبي ﷺ، فأصلي معه المغرب، ثم لا أدعه حتى يستغفر لي ولك؟ قال: فأتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب، فصلى النبي ﷺ العشاء،

(١) سورة الجمعة: الآية (٢).

ثم انفتل، فتبعته. فعرض له عارض فناجاه، ثم ذهب فاتبعته، فسمع صوتي، فقال: «من هذا»؟

فقلت: حذيفة، قال: «مالَكَ»؟ فحدثته بالأمر.

فقال: «غفر الله لكَ ولأُمكَ». ثم قال: «أما رأيت العارض الذي عرض لي قبيل». قال: قلت: بلى.

قال: «فهو مَلك من الملائكة لم يهبط الأرض قبل هذه الليلة، فاستأذن ربه ـ عز وجل ـ أن يُسلم عليَّ، ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة رضي الله عنهم»[1].

٢ ـ اجلاله وتقديره لرسول الله ﷺ:

لقد كان حذيفة رضي الله عنه ممن يجل رسول الله ﷺ ويقدره أكبر التقدير والاحترام ويحب أن يلقاه وهو على أحسن حال من الطهارة والنظافة، ولقد حدث ذات مرة أن لقيه النبي ﷺ فأراد أن يصافحه. لكن حذيفة ـ الصريح مع نفسه ومع الآخرين ـ تنحى بعيداً عن خير الخلق ﷺ أجلالاً وتكريماً وقال: (إني كنت جنباً) أي عليه الحدث الأكبر المستوجب الغسل وهو يرغب أن تمس يدُ رسول الله ﷺ يده وهو على أحسن حال:

عن حُذيفة قال: كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا لقيَ الرجُلَ من أصحابهِ، مسَحهُ ودعا لَهُ.

---

(١) سبق تخريج الحديث في صفحة (٢٢).

قال: فرأيتهُ يوماً بُكرةً، فحدثتُ عنه، ثم أتيته حين ارتفع النهار، فقال:

«إني رأيتك، فحدتَ عني».

فقلتُ: إنِّي كنت جُنباً، فخشيتُ أن تمسَّني، فقال رسول الله ﷺ:

«إن المُسلمَ لا يَنجسُ»(١).

٣ ـ التماس العلاج لأمراض نفسه:

من خلال ملازمة حذيفة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ يبحث عن علاج لأمراض نفسه، فهو يراقب نفسه مراقبة صحيحة. فيرى أن لسانه ـ فيه حدة ـ ويجب أن لا يكون كذلك فيذهب ليعالج الأمر عند المربـي الكبير والمرشد العظيم ﷺ فيجد عنده العلاج الناجع الشافي، فيوجهه ﷺ إلى الاستغفار ماحياً لذنوبه، ومباركاً في حسناته، ومريحاً لقلبه، ومشغلاً للسانه في طاعة الرحمن:

عن حذيفة رضي الله عنه قال:

كان في لساني ذربٌ على أهلي، لم أعده إلى غيره، فذكرت ذلك للنبـي ﷺ قال:

«أين أنت من الاستغفار يا حذيفة، إني لاستغفر الله كل يوم مائة

---

(١) أخرجه النسائي (١٤٥١) وأبو داود برقم: (٢٣٠)، وابن ماجه برقم: (٥٣٥)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٤)، والحديث إسناده صحيح.

مرة وأتوب إليه»[1].

٤ ـ مع النبي في صلاته:

كان من أبرز اهتمامات حذيفة رضي الله عنه ملازمة النبي في صلاته، وتعلم كيفيتها وفرائضها وسننها، وكيفية الدخول فيها والخروج منها، والمتتبع لمرويات حذيفة رضي الله عنه في الصلاة يلحظ هذا الاهتمام:

● فعن شروط الصلاة يقول حذيفة رضي الله عنه:

قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلنا على الناس بثلاثٍ: جُعلت الأرضُ كلها مسجداً، وجُعلَ تربتها لنا طهوراً، وجُعلت صفوفنا كصفوفِ الملائكةِ، وأُوتيتُ هؤلاء الآياتِ من آخرِ سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطه أحد قبلي، ولا يُعطي أحد بعدي»[2].

● وعن فضل الصلاة يقول حذيفة رضي الله عنه:

(إن العبد إذا توضأ فأحسن وضوءه ثم قام إلى الصلاة استقبله الله بوجهه يناجيه، فلم يصرفه عنه حتى يكون هو الذي ينصرف أو يلتفت

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٩٤، ٣٩٦)، وابن ماجه برقم: (٣٨١٧)، والدارمي: (٢/ ٣٠٢)، وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم: (١٤١)، وأبو نعيم في الحلية: (١/ ٢٧٦)، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم: (٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٣)، والحاكم: (٢/ ٤٥٧)، والحديث حسن لغيره وله شواهد.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف: (٣/ ٢٧)، والطيالسي برقم: (٤١٨)، وأبو عوانة: (١/ ٣٠٣) وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٣)، وابن خزيمة برقم: (٢٦٣)، والبيهقي في السنن (١/ ٢١٣)، ومسلم برقم: (٥٢٢). والحديث صحيح.

يميناً أو شمالاً»[1].

● وعن صفة صلاة النبي واتمام ركوعها وسجودها:

عن زيد بن وهب قال: كنا مع حذيفة، فجاءه رجل من أبواب كندة (في المسجد) صلى صلاة جعل ينقر فيها، ولا يتم ركوعه.

فقال له حذيفة: منذ كم صليت هذه الصلاة؟

قال: منذ أربعين سنة. قال: ما صليت منذ أربعين سنة، ولو مت لمت على غير الفطرة التي فطر عليها محمد ﷺ.

ثم قال حذيفة: إن الرجل ليخفف الصلاة ثم يتم الركوع والسجود، اللفظ لعبد الرزاق[2].

● ويصف لنا ما يقوله النبي ﷺ في ركوعه وسجوده فيقول حذيفة رضي الله عنه: صليتُ مع رسول الله ﷺ، فلما ركع جعل يقول:

«سبحان ربي العظيم» ثم سجد، فقال «سبحان ربي الأعلى»[3].

● وعن اهتمام حذيفة بالنوافل يقول حذيفة رضي الله عنه:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف برقم: (١٦٨٩، ٣٢٧٢)، وابن أبي شيبة: (٢/ ٣٦٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٧٩١، ٨٠٨) مختصراً، وعبد الرزاق في المصنف برقم: (٣٧٣٢، ٣٧٣٣)، وابن أبي شيبة: (١/ ٢٨٩)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٤). والبيهقي في السنن: (٢/ ٣٨٦)، والنسائي: (٣/ ٥٨ ـ ٥٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٧٧٢)، وابن أبي شيبة: (١/ ٢٨٤)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٤)، والنسائي: (٢/ ١٩٠)، والطيالسي برقم: (٤١٥)، والترمذي: (٢٦٢) وغيرهم.

(أتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب فصلّ حتى صلى العشاء . .)[1]

● مع النبـي في صلاة الليل:

لم يكن حذيفة رضي الله عنه يكتفي بحضور الجماعة مع رسول الله ﷺ، بل كان يشهد معه صلاة الليل، ويحافظ على ذلك، فيصف لنا حال رسول الله إذا قام لصلاته من الليل فيقول حذيفة: (إن النبـي ﷺ كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك)[2].

ويحدثنا حذيفة رضي الله عنه عن واحدة من تلك الليالي وما جرى له فيها فيقول:

(صليت مع النبـي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المئة، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول: سبحان ربـي العظيم، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد، ثم قام قياماً طويلاً قريباً مما ركع ثم سجد فقال: سبحان ربـي الأعلى، فكان سجوده قريباً من قيامه)[3].

---

(١) النسائي في فضائل الصحابة برقم: (١٩٣)، والترمذي برقم: (٣٨٠٦)، والطبراني في الكبير: (٢٦٠٧)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٢٤٥)، ومسلم برقم: (٢٥٥)، والنسائي: (١/٨)، وأحمد في المسند (٥/ ٣٨٢)، والبيهقي في السنن: (١/ ٣٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٧٧٢)، والترمذي برقم: (٢٦٢)، والنسائي: (٢/ ٢٢٤)، وأبو داود برقم: (٨٧١)، والطيالسي برقم: (٤١٥، ٤١٦)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٩٧).

٥ ـ سؤال عن مهمات الأمور:

كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما متيقظاً لكل ما يخرج من فم النبـي ﷺ الذي لا ينطق إلا حقاً، وكان لا يكتفي بالسماع فقط، بل يبادر إلى السؤال عن مهمات الأمور، وعظائم الأحداث، ويودع كل ذلك في قلب يقظ فطن:

● فهو تارة يسأل عن تزكية النفس:

عن حذيفة قال: كان في لساني ذرب على أهلي، لم أعده إلى غيره، فذكرت ذلك للنبـي ﷺ، قال:

«أين أنت من الاستغفار يا حذيفة إني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة وأتوب إليه»[1].

● ويسأل عن عظائم الأمور وجليلها:

عن أبـي الطفيل قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول:

(يا أيها الناس ألا تسألوني، فإن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، إن الله بعث نبيه ﷺ فدعا الناس من الكفر إلى الإيمان، ومن الضلالة إلى الهدى، فاستجاب من استجاب فحيي بالحق من كان ميتاً، ومات بالباطل ما كان حياً، ثم ذهبت النبوة فكانت الخلافة على منهاج النبوة)[2].

● ومرة يسأله عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

---

(١) أخرجه أحمد: (٥/ ٣٩٤) والدارمي (٢/ ٣٠٢)، وأبو نعيم في الحلية: (١/ ٢٧٦)، والحديث حسن لغيره.

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٤٠٤) وإسناده صحيح ورجاله ثقات.

عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(قلت للنبي ﷺ: يا رسول الله، متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما سيدا أعمال أهل البر»؟

قال: «إذا أصابكم ما أصاب بني إسرائيل».

قلت: يا رسول الله، وما أصاب بني إسرائيل؟

قال: «إذا داهن خياركم فجاركم، وصار الفقر في شراركم، وصار المُلك في صغاركم، فعند ذلك تلبسكم فتنة تكرون ويُكَرّ عليكم»)[1].

٦ ـ مشاركة في عملية الاحصاء السكاني:

(عن حذيفة رضي الله عنه قال:

كنا مع رسول الله ﷺ فقال:

«أحصوا لي كم يلفظ الإسلام».

قال: فقلنا يا رسول الله أتخاف علينا ونحن ما بين الست مئة إلى السبع مئة؟

قال: «أنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا».

قال: فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلاسرّاً)[2].

وفي رواية أخرى:

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٧/ ٢٨٦): رواه الطبراني في الأوسط وفيه عمار بن سيف وثقه العجلي وغيره وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٤٩)، والنسائي في الكبرى كما في التحفة: (٣/ ٣٨) وابن ماجه برقم: (٤٠٢٩)، وابن منده في الإيمان برقم: (٤٥٣)، وأبو عوانة: (١/ ١٠٢) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن شقيق به.

«اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس»، فكتبنا له ألفاً وخمس مئة رجل، فقلنا: (تخاف ونحن ألف وخمس مئة)[1].

٧ ـ صاحب سر رسول الله ﷺ:

ولأن حذيفة رضي الله عنه ممن يحسنون كتمان السر، وهذا يحتاج إلى شخصية متزنة معتدلة هادئة، فقد عهد إليه رسول الله ﷺ وائتمنه على أسماء المنافقين الذين أرادوا برسول الله ﷺ سوءً في غزوة تبوك:

(كان حذيفة صاحب سر رسول الله في المنافقين لا يعلمه أحد غيره)[2] وسيأتي مزيد من التفصيل لهذه القضية في حضور حذيفة المشاهد والغزوات مع رسول الله ﷺ.

(ب) حضوره المشاهد والغزوات مع رسول الله:

لما دخل حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما في دين الله، وتمسك به أحب أن يبذل كل ما لديه في نصرة هذا الدين، وتاقت نفسه المؤمنة إلى الجهاد في سبيل الله، وآلى على نفسه أن لا يستكثر شيئاً في سبيل ما يعتقد، فقدم بين يدي رسول الله ﷺ الغالي والرخيص، وبذل النفس والنفيس، فحضر مع رسول الله ﷺ المشاهد نصرة لله ورسوله، ولم يتخلف عن أي مشهد من المشاهد سوى يوم بدر لأسباب سأذكرها فيما يلي:

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٠٦٠)، وابن منده برقم: (٤٥٢)، والبيهقي في السنن: (٦/٣٦٣) من طريق سفيان الثوري عن الأعمش عن شقيق به، وهذه هي الرواية المقدمة والمرجحة لأن زيادة الثقة الحافظ مقدمة.

(٢) أسد الغابة: (١/٣٩١)، الاستيعاب: (١/٣٥).

١ - يوم بدر:

لم يشهد حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما مع والده يوم بدر بسبب حادثة طريفة، تظهر مدى وفاء الرسول ﷺ بالعهد مع أعداءه وأصدقائه على حد سواء:

فقد جاء من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: (ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبـي، حُسَيْلٌ).

قال: فأخذنا كفار قريش.

قالوا: إنكم تريدونَ مُحمداً؟

فقلنا: ما نريدُهُ، ما نريد إلاَّ المدينةَ.

فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفَنَّ إلى المدينة، ولا نقاتل معه. فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر.

فقال: «انصرفـا، نفي لَهُمْ بِعَهدِهِمْ، ونستعين الله عليهم»[١].

وبعد هذه الحادثة لم يتخلف حذيفة عن أي مشهد من المشاهد مع رسول الله ﷺ:

قال ابن سعد: (شهد أُحداً وما بعد ذلك من المشاهد)[٢].

٢ - يـوم أحـد:

ولقد شهد حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما يوم أحد مع رسول الله ﷺ، تلك المعركة التي أراد الله سبحانه وتعالى من خلالها أن

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٧٨٧)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٩٥)، والحاكم في المستدرك: (٣/ ٣٧٩).

(٢) طبقات ابن سعد: (٦/ ١٥).

يربيَّ نفوس الصحابة رضوان الله عليهم على لزوم الطاعة التامة لرسول الله ﷺ، وغير ذلك من الاخلاق والصفات الحميدة، وأن تكون هذه التربية من خلال درس عملي ولكنه باهظ الثمن، وذلك من خلال اختيار مجموعة من خيار الصحابة شهداء، وأن لا يخلو أحد من الصحابة الذين شاركوا في هذه الغزوة من جرح يصيبه، أو بلاء ينزل به، وقد كان لحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما نصيب مما نزل بالمسلمين في هذه الواقعة، فقد أصيب رضي الله عنه بأبيه الذي استشهد يوم أحد، حين قتله بعض الصحابة خطأً، دون أن يعرفه لاشتباه في اللباس، ولستر الوجوه.

قال الذهبي رحمه الله:

(شهد هو ـ يعني اليمان ـ وابنه حذيفة أُحداً، فاستشهد يومئذ قتله بعض الصحابة غلطاً، ولم يعرفه، لأن الجيش يختفون في لأمة الحرب ويسترون وجوههم، فإن لم يكن لهم علامة بينة، وإلا ربما قتل الأخ أخاه، ولا يشعر)[1].

وقد جاءت حادثة استشهاده رضي الله عنه من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها قالت:

(لما كان يوم أحد هُزم المشركون، فصرخ ابليس لعنة الله عليه:

أي عباد الله، أُخراكم.

فرجعت أُولاهم فاجتلدت هي واخراهم.

فَبَصُرَ حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان، فقال: أي عباد الله أبي أبي.

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٦٢).

قال: قالت: فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه.

فقال حذيفة: يغفر الله لكم.

قال عروة: فوالله ما زالت في حذيفة بقية من خير حتى لحق بالله)[١].

وقد جاءت زيادة عند ابن هشام عن ابن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد:

فقال حذيفة: (قتلتم أبي! قتلتم أبي! قالوا: والله ما عرفناه وصدقوا.

فقال حذيفة: (يغفر الله لكم) فأراد رسول الله ﷺ أن يَديَه، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً)[٢].

وهذا الفعل من حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يدل على نفس صادقة متعلقة بالجنة، ونجاح في درس المحنة والابتلاء، واتزان وقدرة على إخفاء الآلام، هذا الدرس العملي زاد من مكانته عند رسول الله ﷺ فقدمه في أخطر المواطن، واطلعه على أهم الاسرار لأن كتم السر يحتاج إلى شخصية متزنة، معتدلة، وهادئة، ولها قدرة على ضبط النفس في أحرج المواطن وهذا ما كان يتمتع به حذيفة رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٠٦٥، ٣٨٢٤)، وابن سعد في الطبقات: (٢/ ٤٥). والحاكم: (٣/ ٣٧٩) والبيهقي في الدلائل: (٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣١).

(٢) أخرجه ابن هشام في السيرة: (٢/ ٨٧ ـ ٨٨)، والطبري في تاريخه: (٢/ ٥٣٠)، من طريق ابن إسحاق، وسنده حسن ورجاله ثقات. وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث فسنده متصل.

٣ ـ يـوم الأحـزاب:

لقد حرص حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أن لا يغيب عن أي مشهد من المشاهد مع رسول الله ﷺ، ولقد كان له رضي الله عنه دور مشرف يوم الأحزاب، حيث شارك من البداية في تحمل أعباء الدفاع عن المدينة المنورة مع رسول الله ﷺ، وقام بالمهمة التي انتدبه رسول الله ﷺ للقيام بها على أكمل وجه في نهاية المعركة، فبرزت فيه خصال نادرة، وصفات رائعة من الانضباط والذكاء والقدرة على مجابهة الأحداث الخطيرة التي يتعرض لها، وسأذكر هذه الخصال بعد ذكر الروايات التي تتحدث عن دوره الخطير والجليل في هذه المعركة.

أ ـ دوره في حفر الخندق:

قام الرسول ﷺ بتقسيم المنطقة التي سيحفر فيها الخندق إلى أقسام، وأوكل العمل في كل قسم لمجموعة من الصحابة رضوان الله عليهم، وقد قام حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بالعمل ضمن مجموعة من هذه المجموعات:

(قال عمرو بن عوف: فكنت أنا وسلمان، وحذيفة بن اليمان، والنعمان بن مقرن المزني، وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً)[١].

ب ـ ارساله لتحسس أخبار المشركين:

لما دب الذعر في صفوف الأحزاب، وساد جموعهم الاضطراب، وسمع لهم جلبة وضوضاء، اختار رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ليدخل بين هذه الجموع ليتعرف على أخبارهم،

(١) تاريخ الطبري: (٥٦٨/٢).

ويحاول الكشف عن أسرارهم، ويتعرف إلى الأسباب الموجبة لما نزل بهم من الذعر والاضطراب.

ولقد كان جو اختيار حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لهذه المهمة متأزماً. شديد البلاء، عظيم المحن، كادت تميل فيه نفوس الصحابة إلى ما لم يكن من خلائقها، لولا مسارعة النبي ﷺ إلى اختيار حذيفة رضي الله عنه فناداه باسمه، وأمره بالذهاب إلى جموع الأعداء وهم يتحرقون غيظاً لما نزل بهم من شدة البلاء، فلم يجد حذيفة بـداً إذ سماه رسول الله ﷺ باسمه من القيام وهو في أشد حالات البلاء: جوع شديد، وبرد شديد، ورعب شديد.

وذهب حذيفة رضي الله عنه إلى جموع الأحزاب ودخل بينهم - والظلام الشديد يستره - دخول الفدائي الذي يكتنفه الموت من جميع أكنافه وهو لا يبالي، ولكنه رضي الله عنه كان راسخ الإيمان، ثابت اليقين، سريع البديهة، حسن التصرف في معالجة الأمور المحرجة، سديد الرأي، ذكي الفؤاد، صاحب شخصية قوية متماسكة، وهذه هي الصفات التي تجعل من صاحبها موضع الثقة الخاصة للقيادة عند اشتداد الأزمات واستحكام الأخطار.

وقد استطاع حذيفة - رضي الله عنه أن يعرف عن الأحزاب كل أمرهم، ظاهره وخفيه، بل وصل إلى درجة استطاع معها أن يحضر أكثر اجتماعات الأحزاب خطورة وهو اجتماع مجلس القيادة، فاستطاع أن يتعرف على كل ما يحتاجه النبي ﷺ وأصحابه من أخبار أعدائهم، فأنعش بأخباره نفوس المؤمنين، ورفع عنهم ثقل ما نزل بهم من البلاء والمحن.

وفيما سأورده من الروايات لهذه الحادثة ما سيوضح كل ما ذكرت آنفاً، وما سأذكر لاحقاً من خصال متميزة ونادرة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما.

ـ عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال:

كنا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ قاتلتُ معهُ وأبليتُ[1].

فقالَ حذيفةُ: أنت كُنتَ تفعلُ ذلكَ؟ لقد رأيتُنا مَعَ رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وَقُرٌّ[2]. فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجلٌ يأتيني خبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟».

فسكتنا. فلم يجبه منا أحد. ثم قال:

«ألا رجلٌ يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟».

فسكتنا، فلم يجبه منا أحدٌ، ثم قال:

«ألا رجلٌ يأتينا بخبر القوم، جعلَهُ الله معي يومَ القيامة؟».

فسكتنا، فلم يُجبه منا أحدٌ، فقال:

«قم. يا حذيفة! فَأْتنا بخبر القوم».

فلم أجدُ بُداً، إذ دعاني باسمي، أن أقوم. قال:

«اذهب. فأتني بخبر القوم، ولا تَذْعَرْهُم عَلَيَّ»[3].

---

(١) أبليت: بالغت في نصرته.

(٢) وقرٌّ: القرّ هو البرد.

(٣) لا تذعرهم: لا تفزعهم ولا تحركهم.

فلما وليتُ من عنده جعلتُ كأنما أمشي في حَمَّام[1] حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يُصلي ظهره بالنار[2]، فوضعتُ سهماً في كبد القوس فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله ﷺ:

«ولا تذعرهم علي»، ولو رميته لأصبته.

فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم، وفرغت، قُرِرتُ[3]، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي بها، فلم أزل نائماً حتى أصبحت، فلما أصبحت قال:

«قُمْ، يا نَوْمَان»[4].

ـ عن محمد بن كعب القرظي قال: قال فتى منا من أهل الكوفة لحذيفة ابن اليمان: يا أبا عبد الله لقد رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه قال: نعم يا ابن أخي.

قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد[5].

قال: والله لو أدركنا ما تركناه يمشي على الأرض، ولجعلناه على أعناقنا.

---

(١) كأنما أمشي في حمام: يعني أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس، والحمام: الماء الحار.

(٢) يصلي ظهره: يدفئه ويدنيه منها.

(٣) قررت: بردت.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب برقم: (١٧٨٨).

(٥) نجهد: في مشقة شديدة.

قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلى رسول الله ﷺ من الليل هوياً[1]، ثم التفت إلينا فقال:

«من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم، يشترط له رسول الله ﷺ أنه يرجع، أدخله الله الجنة».

فما قام رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هوياً، ثم التفت إلينا فقال:

«من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع، يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة، أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة»، فما قام رجل من القوم من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد.

فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد في القيام حين دعاني فقال:

«يا حذيفة فاذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا».

قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل ما تفعل، لا تقر لهم قدر، ولا نار، ولا بناء، فقام أبو سفيان بن حرب فقال: يا معشر قريش لينظر أمرؤ إلى جليسه».

فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي جنبي.

فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا

---

(١) هويا: الحين الطويل من الزمان.

معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع[1]، وأخلفتنا بنو قريظة، بلغنا منهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث، فما أطلق عقله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ثم شئت لقتلته بسهم.

قال حذيفة: (ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط[2] لبعض نسائه مرجل[3]، فلما رآني أدخلني إلى رحله، وطرح علي طرف المرط، ثم ركع وسجد وإنه لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا إلى بلادهم)[4].

ـ عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة، قال:

ذكر حذيفة مشاهدهم مع رسول الله ﷺ، فقال جلساؤه: أما والله لو كنا شهدنا ذلك لفعلنا وفعلنا.

فقال حذيفة: لا تَمنَّوا ذلك، فلقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافُّون قُعودٌ: أبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا، وقُريظة اليهود

(١) الكراع: اسم لجميع الخيل.
(٢) مرط: كساء من صوف أو خز يؤتزر به وتتلفح به المرأة.
(٣) مرجل: فيه خطوط وأرقام.
(٤) أحمد في المسند: (٥/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣)، وابن هشام في السيرة: (٣/ ٢٣١ ـ ٢٣٢) وإسناده حسن وفيه محمد بن إسحاق صرح بالسماع فزالت شبهة التدليس وقد جاء شبيهاً بهذا عند البيهقي في الدلائل (٣/ ٤٥٠ ـ ٤٥١) والحاكم: (٣/ ٣١) وهو صحيح.

أسفلَ منا، نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلة قط أشدُّ ظلمةً ولا أَشدُّ ريحاً في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمةٌ، ما يرى أحدٌ منا اصبعه فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ ويقولون: إن بيوتنا عورة وما هي بعورة، فما يستأذنه أحد منهم ألا أذن له، فيأذن لهم، فيتسللون ونحن ثلثمائة ونحو ذلك، إذ استقبلنا رسول الله ﷺ رجُلاً، رجُلاً حتى قرَّ عليَّ، وما عليَّ جُنة من العدو، ولا من البرد، إلا مرط لامرأتي ما يجاوز ركبتي.

قال: فأتاني وأنا جاثٍ على ركبتي، فقال: «من هذا؟» فقلت: حذيفة. فقال: «حذيفة!» قال: فتقاصرت بالأرض. فقلت: بلى يا رسول الله كراهية أن أقوم. قال: «قم»، فقمت.

فقال: «إنه كائن في القوم خبر، فاتني بخبر القوم».

قال: وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدهم قُراً، فخرجتُ، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم احفظه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوقه، ومن تحته».

قال: فوالله ما خلق الله فزعاً، ولا قُراً، في جوفي إلا خرج من جوفي فما أجد منه شيئاً.

قال: فلما وليتُ. قال: «يا حذيفة لا تحدثنَّ في القوم شيئاً حتى تأتيني»، فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم، نظرت في ضوء نار لهم توقد وإذا رجل أدهمُ ضخم، يقول بيده على النار، ويمسح خاصرته ويقول: الرحيل، الرحيل. ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك، فانتزعت سهماً من كنانتي أبيض الريش فأضعه على كبد قوسي،

لأرميه في ضوء النار، فذكرتُ، قول رسول الله ﷺ: «لا تحدثنّ شيئاً حتى تأتيني». فأمسكت ورددت سهمي في كنانتي، ثم إني شجعتُ نفسي حتى دخلت المعسكر، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر، يقولون: يا آل عامر الرحيل، الرحيل، لا مقام لكم، وإذا الريح في عسكرهم، ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم، وفَرَستَهم، الريح تضربهم بها.

ثم خرجتُ نحو النبي ﷺ فلما انتصف بي الطريق، أو نحو ذلك، إذا أنا بنحو من عشرين فارساً، أو نحو ذلك مُعتمين، فقالوا: أخبر صاحبك، أن الله كفاه القوم، فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شملة يصلي، فوالله ما عدا أن رجعت راجعني القُرُّ، وجعلت أقرقف[1]، فأومأ إليَّ رسول الله ﷺ بيده، وهو يصلي فدنوتُ منه، فأسبل علي شملته، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى، فأخبرته خبر القوم، وأخبرته أني تركتهم يترحلون، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا . . . ﴾ الآية[2].

والمتتبع لنصوص هذه الروايات يلحظ أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قد تميز بصفات نادرة، وخصال بارزة من أهمها:

١ ـ كان الواجب الذي أنجزه حذيفة رضي الله عنه دليلاً على ذكائه الخارق، وشجاعته النادرة، وحسن تصرفه في معالجة الأمور.

---

(١) اقرقف: ارعد من البرد.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٤٥١ ـ ٤٥٣)، وفي السنن: (٩/ ١٤٨).

٢ ـ كان حذيفة رضي الله عنه ضابط الاستخبارات الخاص للرسول ﷺ، فقد اختاره دون سواه لما يتمتع به من مزايا الكتمان الشديد فلا يفشي سره لأحد، وبحضور البديهة فلا يرتبك عند الشدائد، وبتقديره العميق لأهمية صيانة المعلومات فلا يفشيها لبشر، وبالذكاء الخارق، وموهبة حب الاستطلاع، وقد أثرت في حياته كلها، وسنجد الكثير من التطبيقات لهذه الصفات في مواقف حذيفة رضي الله عنه مع خلفاء الرسول الأربعة رضوان الله عليهم جميعاً.

٣ ـ لقد كان حذيفة رضي الله عنه صحيح القرار سريعه، قوي الشخصية، نافذ الإرادة.

٤ ـ أبرزت هذه الحادثة ما كان يتمتع به حذيفة رضي الله عنه من تواضع، حين أخبر عن الضعف الذي اعتراه في عدم إجابته لدعوة النبي ﷺ من أول مرة، والإنسان العادي يحب أن تستر نقاط ضعفه، وتظهر نقاط القوة فيه، حتى يُمدح عليها، ويشبع غرور نفسه.

٥ ـ لقد أظهرت هذه الحادثة مدى الانضباط العسكري الدقيق، الذي كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يلتزم به حين أتم المهمة على أكمل وجه دون أن يبدر منه أي مخالفة تذكر.

٦ ـ إن ما حدث مع حذيفة رضي الله عنه عندما سار لتحسس الأخبار في جو بارد ماطر شديد الريح، وهو لا يشعر بهذا الجو البارد، ويمشي وكأنه يمشي في حمام، وتلازمه هذه الحالة مدة بقائه بين الأحزاب، وحتى عاد لرسول الله ﷺ هو كرامة من الله عز وجل أكرم بها حذيفة رضي الله عنه، مما يدل على رفعة مكانته عند الله عز وجل،

لأن الله عز وجل إنما يكرم أوليائه وأحبائه.

٤ ـ حذيفة في غزوة تبوك:

وفي العام التاسع للهجرة تجهز النبي ﷺ لغزو الروم استجابة لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[1]، وأعلن الرسول ﷺ النفير في أصحابه ليتجهزوا للخروج، فخرج ﷺ في ثلاثين ألفاً من المسلمين، وقد تركوا المدينة وقد نضجت ثمارها، وطاب ظلها، وآثروا الاستجابة لله ولرسوله، وآثروا الدار الآخرة على الدنيا، وكان من بين هؤلاء المتجهزين للخروج حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما. فصحب النبي ﷺ في هذا السفر البعيد، وكأنه على موعد مع قدر الله سبحانه في أن يكون صاحب سر رسول الله ﷺ.

ولحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما موقف في هذه الغزوة يدل على مدى إخلاصه وحرصه على حياة النبي ﷺ، ودفع خطر المنافقين عنه.

محاولة المنافقين اغتيال الرسول ﷺ:

● جاء من حديث أبي الطفيل رضي الله عنه قال:

(لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى: إن رسول الله ﷺ آخذ بالعقبة فلا يأخذها أحد. فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوقه عمار، إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل، فغشوا عماراً وهو يسوق برسول الله ﷺ، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل،

(١) سورة التوبة، الآية: ٩.

فقال رسول الله ﷺ لحذيفة: «قد، قد».

حتى هبط رسول الله ﷺ من الوادي، فلما هبط ورجع عمار قال: يا عمار هل عرفت القوم؟.

قال: عرفت عامة الرواحل، والقوم متلثمون.

فقال: هل تدري ما أرادوا؟.

قال: الله ورسوله أعلم.

قال: أرادوا أن ينفروا برسول الله فيطرحوه.

قال: فسأل عمار رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقال: نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة؟.

قال: أربعة عشر رجلاً. فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر.

قال: فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثة قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ، وما علمنا ما أراد القوم.

فقال عمار: أشهد أن الاثني عشر الباقين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)[1].

- ومن حديث أبي الطفيل أيضاً قال:

(كان بين رجل من أهل العقبة، وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس فقال:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/٤٥٣)، ورجاله ثقات، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٦/١٩٥) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال: فقال له القوم أخبره إذا سألك.

فقال: كنا نخبر أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم، فقد كان القوم خمسة عشر، وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وعذر ثلاثة.

قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ، ولا علمنا بما أراد القوم، وقد كان في حرة فمشى، فقال:

(إن الماء قليل، فلا يسبقني إليه أحد)، فوجد قوماً قد سبقوه فلعنهم يومئذٍ)[1].

- إخبار النبي ﷺ حذيفة بأسماء المنافقين:

لقد خص رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما فأطلعه على سره دون غيره من الصحابة، لما يتميز به من خصال نادرة، وأخلاق عالية، من بينها تميزه بالكتمان الشديد فلا يفشي سره لأحد، وبحضور البديهة فلا يرتبك عند الشدائد، ولما يتميز به من شخصية متزنة معتدلة هادئة.

- قال ابن إسحاق:

(... فقال النبي ﷺ لحذيفة: هل عرفت من القوم أحداً؟ فقال: لا ولكني أعرف رواحلهم، فقال رسول الله ﷺ: إن الله قد أخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم، وسأخبرك بهم إن شاء الله عند وجه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم حديث برقم: (٢٧٧٩/ ١١).

الصبح. . .)[1].

ومما يشهد لقول ابن إسحاق بأن النبي ﷺ قد أخبر حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما بأسمائهم ما جاء:

ـ عن قيس قال:

قلت لعمار: أرأيتم صنيعكم هذا الذي صنعتم في أمر عليٍّ، أرأياً رأيتموه أو شيئاً عهده إليكم رسول الله ﷺ؟.

فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة، ولكن حذيفة أخبرني عن النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ:

«في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سُمِّ الخياط، ثمانية منهم تكفيهم الدُبَيلة، وأربعة، لم أحفظ ما قال شعبة فيهم»[2].

ـ وعن علقمة قال:

(قدمت الشام فصليت ركعتين، ثم قلت: اللهم يسر لي جليساً صالحاً، فأتيت قوماً فجلست إليهم، فإذا شيخ قد جاء حتى جلس إلى جنبي، قلت: من هذا؟ قالوا: أبو الدرداء، فقلت: إني دعوت الله أن ييسر لي جليساً صالحاً، افيسرك لي.

قال: من أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: أَوليس عندكم ابن أم عبد صاحب النعلين والوساد والمطهرة؟ أوليس فيكم الذي أجاره الله

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم حديث رقم: (٩/٢٧٧٩).

من الشيطان، يعني على لسان نبيه ﷺ؟ أوليس فيكم صاحب سر النبي ﷺ الذي لا يعلمه أحد غيره؟ ثم قال: كيف يقرأ عبد الله ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾[1] فقرأت عليه ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ * وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾[2] قال: والله لقد أقرأ فيها رسول الله ﷺ من فيه إلى فيَّ)[3].

- وعن خيثمة بن أبـي سبرة قال:

(أتيت المدينة فسألتُ الله أن ييسر لي جليساً صالحاً فيَسَّرَ لي أبا هريرة فجلستُ إليه.

فقلت له: إني سألت الله أن ييسر لي جليساً صالحاً فوُفقتَ لي.

فقال: من أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة جئتُ ألتمس الخير وأطلبه.

فقال: أليس فيكم سعد بن مالك مجاب الدعوة؟ وابن مسعود صاحب طهور رسول الله ﷺ ونعليه؟ وحذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ؟ وعمار الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه؟ وسلمان صاحب الكتابين؟)[4].

---

(١) سورة الليل، الآية ١.

(٢) سورة الليل، الآيات ١ـ٣.

(٣) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب عمار وحذيفة رضي الله عنهما حديث رقم: (٣٧٤٢، ٣٧٤٣)، والنسائي في السنن الكبرى كما ذكره صاحب تحفة الأشراف برقم: (١٠٩٥٦)، وأحمد في المسند: (٦/٤٤٩ ـ ٤٥٠)، ومسلم برقم: (٨٢٤).

(٤) أخرجه الترمذي في المناقب باب مناقب عبد الله بن مسعود برقم: (٣٨٣٧) وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح.

٥ ـ حذيفة كاتباً وشاهداً عند رسول الله:

بلغ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه من المكانة العالية عند رسول الله ﷺ حيث كان كاتباً له، وشاهداً يشهد على مراسلاته وكتبه التي كان يرسلها إلى القبائل والحكام، وهذه مهمة كبيرة اختاره رسول الله ﷺ للقيام بها:

ـ شهادته على كتاب الرسول ﷺ إلى قبيلة بارق:

(كتب رسول الله ﷺ إلى قبيلة بارق يؤمنهم على ثمارهم ومراعيهم. ويمنع غيرهم من الاعتداء عليهم. وقام أبي بن كعب رضي الله عنه بكتابة هذا الكتاب، وفيما يلي نصه:

«أن لا تجذ ثمارهم، وأن لا ترعى بلادهم في مربع ولا مصيف إلا بمسألة من بارق، ومن مر بهم من المسلمين في عرك أو جدب فله ضيافة ثلاثة أيام، فإذا أينعت ثمارهم فلابن السبيل اللقاط بوسع بطنه من غير أن يقتثم».

شهد أبو عبيدة بن الجراح، وحذيفة بن اليمان وكتب أبي)[1].

ـ شهادته على صك فداء سلمان الفارسي رضي الله عنه:

(عن سلمان الفارسي رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أملى هذا الكتاب على عليّ بن أبي طالب:

«هذا ما فادى محمد بن عبد الله رسول الله، فدى سلمان الفارسي من عثمان بن الأشهل اليهودي ثم القرظي بغرس ثلاثمائة نخلة،

(١) الوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص (١٩٨ ـ ١٩٩).

وأربعين أوقية ذهب. فقد برىء محمد بن عبد الله رسول الله لثمن سلمان الفارسي.

ولاؤه لمحمد بن عبد الله رسول الله وأهل بيته، فليس لأحد على سلمان سبيل». شهد على ذلك أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وحذيفة بن اليمان، وأبو ذر الغفاري، والمقداد ابن الأسود، وبلال مولى أبي بكر، وعبد الرحمن بن عوف، وكتب علي بن أبي طالب يوم الاثنين في جمادى الأولى من سنة مهاجر محمد بن عبد الله رسول الله)[1].

(١) أخبار أصبهان لأبي نعيم: (١/ ٥٢)، وتاريخ بغداد للخطيب: (١/ ١٧١).

الفَصْل الثالث

حذيفة مع الخلفاء الراشدين
رأي ونصيحة، جهاد وتضحية

لقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مخلصاً للنبـي ﷺ في حياته، ولمبادئه بعد موته، كما كان مخلصاً لخلفاء النبـي ﷺ من بعده، فكان مثال الجندي الأمين، الذي لم يألو جهداً يقدمه لخدمة هذا الدين، فهو تارة سيف مسلول على أعداء الله في ميدان المعركة لإعلاء كلمة الله، وتارة فقيهاً يبث النصيحة ويسديها إلى الخلفاء حين يجد الفرصة سانحة لذلك، وحين يرى أو يجد خبراً يوشك أن يؤثر في مصير الإسلام والمسلمين فإنه لا يتوانى لحظة واحدة بأخبار المسؤول الأول في دولة الخلافة به فوراً، ليدفع عن الإسلام والمسلمين خطراً يتوقعه، ولذلك ذكر لنا التاريخ كثيراً من هذه الحوادث أورد بعضها وأهمها فيما يلي من الصفحات:

(أ) حذيفة بن اليمان صاحب الرأي والنصيحة:

أولاً ـ حذيفة مع أبـي بكر الصديق رضي الله عنه:

لحق النبـي ﷺ بربه، وخيم على المدينة صمت مهول، وعم

الحزن والأسى قلوب أصحاب النبي ﷺ لفقدان سيد المرسلين، وانقطاع الوحي ونزوله من السماء، وكان من أولئك الذين عمهم الحزن والأسى حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما فقد كان حزنه غامراً لفقده المعلم الذي كان يرشده عندما تنزل به الأزمات والخطوب، ولكنه كسائر أصحاب النبي ﷺ استطاع أن يتجاوز هذه المحنة لعظيم إيمانه بقضاء الله وقدره، واستسلامه لحكمه سبحانه وتعالى.

وبعد هذا انعقدت الخلافة، واجتمع أمر الصحابة لمبايعة خليفة رسول الله ﷺ وكان حذيفة بن اليمان من بين من بايع الخليفة الجديد صاحب رسول الله ﷺ، وقام بما طلب منه في هذه الفترة الحرجة التي تعرض فيه المسلمون لأعظم هزة في حياتهم بعد وفاة الحبيب ﷺ، هذه الهزة هي حروب الردة التي كادت تطيح بأمر الإسلام لولا فضل الله ورحمته بهذه الأمة، وإكرام الله تعالى لهذه الأمة بخليفة حازم سديد الرأي، ثاقب النظرة، صاحب عزيمة متينة لا تزلزلها الحوادث الجسام، فاستطاع أن يتجاوز بالأمة هذه المحنة التي نزلت بها، وأعاد الجزيرة العربية بأكملها إلى حظيرة الإسلام، ووجه الجهود بعدها لفتح بلاد فارس وبلاد الشام.

ولأن مدة خلافته رضي الله عنه كانت قصيرة، لم تتح الفرصة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه ليبرز، إلا أنه كان جندياً منضبطاً شارك بفعالية كما هو العهد به رضوان الله عليه.

وقد أورد حذيفة فيما رواه عن رسول الله ﷺ حديثاً يبرز فضل أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضوان الله عليهما فقد جاء:

- عن ربعي بن حراش، عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(كنا جلوساً عند النبـي ﷺ فقال:

«إني لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي» وأشار إلى أبـي بكر وعمر»)[1].

ثانياً ـ حذيفة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

برز حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بمواقفه الكريمة، وإخلاصه النادر، وذكائه الخارق الحاد، وقدرته في التعامل مع الأحداث، وحسن تصرفه في الأمور في زمن النبـي ﷺ، فعرف له النبـي ﷺ له ذلك، وحباه بمكانة رفيعة ليست لأحد سواه، واختصه فجعله مستودعاً لأسراره، وحظي بناءً على هذا بمكانة خاصة عند الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً.

ولم تتح لحذيفة رضي الله عنه الفرصة لتوظيف هذا كله في خدمة الإسلام في فترة خلافة أبـي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك لانشغال أبـي بكر بقتال أهل الردة، وقصر مدة خلافته التي لم تزد على سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام.

ولكن ما إن توفي الصديق وآلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى بدأت مواهب حذيفة وخصاله تؤتي أكلها في عهده، ولقد عرف عمر بن الخطاب رضي الله عنه مكانة هذه الشخصية

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب باب مناقب أبـي بكر وعمر كليهما حديث رقم: (٣٦٨٣) وابن ماجه في المقدمة باب فضائل أصحاب رسول الله حديث رقم: (٩٧)، والحميدي برقم: (٤٤٩)، وابن أبـي شيبة في المصنف: (١١/١١)، والطحاوي: (٢/ ٨٣) والحديث صحيح.

الكريمة، وقدر مواهبها، وأعجب بكفاءاتها وجرأتها، فأدناه وقربه، واستشاره في معضلات الأمور التي لم يجرؤ أحد على الحديث فيها سواه، فوجده موضع الثقة، ومستودع النصيحة، وأهلاً لما أولاه إياه من المناصب.

أ ـ مكانته عند عمر بن الخطاب:

● عن زيد بن أسلم، عن أبيه: (أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه: تَمَنّوا، فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فأنفقه في سبيل الله.

فقال عمر: تمنوا، فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملءُ هذا البيت ذهباً فأنفقه في سبيل الله.

فقال: تمنوا، فقال آخر: أتمنى أن يكون ملءُ هذا البيت جواهر ونحوه فأُنفقه في سبيل الله.

فقال عمر: تمنوا، فقالوا: ما نتمنى بعد هذا؟.

فقال عمر: لكني أتمنى أن يكون ملءُ هذا البيت رجالاً مثل أبـي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، فاستعملهم في طاعة الله.

قال: ثم بعث بمال إلى أبـي عبيدة وقال: انظر ما يصنع، فلما أتاه قسمه.

قال: ثم بعث بمال إلى حذيفة. قال: انظر ما يصنع، فلما أتاه قسمه.

فقال عمر: قد قلت لكم، أو كما قال)[1].

---

(١) تهذيب الكمال للمزي: (٥/ ٥٠٥)، أسد الغابة: (١/ ٣٩٠). التاريخ الصغير: (١/ ٥٤).

ب ـ مشاركته في اختيار موقع مدينة الكوفة:

لقد كان لحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما تفكير منظم بناء، لا يقتصر على النواحي الدينية فحسب، بل يشمل النواحي الدنيوية المهمة فهو حسن الرأي في كل ما يصلح أمر المسلمين ويهمهم، أو يشكل خطراً على حياتهم أو دينهم، فنجده ينظر بعينه البصيرة، ونظرته الثاقبة إلى تغير صحة المسلمين حين نزلوا المدائن بعد فتح القادسية لوخومة جوها، فيبادر على جناح السرعة بإرسال النصيحة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ليصدر تعليماته لحل هذه القضية:

- عن الشعبي قال: كتب حذيفة إلى عمر:

(إن العرب قد أُترفت بطونها، وخفت أعضادها، وتغيرت ألوانها)[1].

وكان حذيفة حين أرسل الرسالة مع سعد بن أبي وقاص جندياً في جيش الإسلام الفاتح لبلاد الفرس.

- قال الطبري: كتب عمر إلى سعد:

انبئني ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم؟.

فكتب إليه: (إن العرب خدَّدهم وكفى ألوانهم، وخومة المدائن ودجلة).

فكتب إليه ـ يعني عمر ـ: إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان، فابعث سلمان رائداً وحذيفة ـ وكانا رائدي الجيش ـ

---

(١) تاريخ الطبري: (١٨٩/٤).

فليرتادا منزلاً برياً بحرياً، ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر.

ولم يكن بقي من أمر الجيش شيء إلا وقد أسنده إلى رجل. فبعث سعد حذيفة وسلمان.

فخرج سلمان حتى يأتي الأنبار فسار في غربي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، وخرج حذيفة في شرقي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة.

والكوفة: على حصباء وكل رملة حمراء، يقال لها سهلة، وكل حصباء ورمل هكذا مختلطين فهو كوفة.

فأتيا عليها وفيها ديرات ثلاثة دير حُرقة، ودير أم عمرو، ودير سلسلة، وخصاصٌ خلالَ ذلك، فأعجبتهما البقعة، فنزلا فصليا، وقال كل واحد منهما: (اللهم رب السماء وما أظلت، ورب الأرض وما أقلت، والريح وما ذرت، والنجوم وما هوت، والبحار وما جرت، والشياطين وما أضلت، والخِصاص وما أجنت، بارك لنا في الكوفة، واجعله منزل ثبات. وكتبا إلى سعد بالخبر)[1].

جـ- اختيار عمر له ليوليه على المدائن:

كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه موضع ثقة النبي ﷺ وخلفائه من بعده، وموضع ثقة الناس به: لأمانته التي لا يرقى إليها الشك، ولعمق تدينه وشدة استقامته رضوان الله عليه.

فقد ولاه عمر بن الخطاب قبل المدائن على أرض السواد مما سقت دجلة وما وراءها وبعث بعهده إلى أهل الكوفة مقر المسلمين في العراق:

---

(١) تاريخ الطبري: (٤/ ١٨٩)، ابن الأثير: (٢/ ٢٠٤).

١ ـ توليته على أرض السواد مما سقت دجلة:

كتب عمر إلى أهل الكوفة:

(إني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً، وجعلت عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، ووليت حذيفة بن اليمان ما سقت دجلة وما وراءها، ووليت عثمان بن حنيف الفرات وما سقى)[١].

٢ ـ توليته على المدائن وعهد عمر له:

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أهل المدائن كتاباً يخبرهم أنه ولى عليهم حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، ولكن صيغة هذا الكتاب تختلف عن كل كتبه التي كان يرسلها إلى الولايات الإسلامية المختلفة، فعلم الناس أن لأميرهم الجديد شأن وأي شأن حتى ينفرد بصيغة جديدة من الكتب التي يكتبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

- عن ابن سيرين قال:

كان عمر بن الخطاب إذا بعث أميراً كتب إليهم:

(إني قد بعثت إليكم فلاناً وأمَّرته بكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا) فلما بعث حذيفة إلى المدائن كتب إليهم:

(إني قد بعثت إليكم فلاناً فأطيعوه).

فقالوا: هذا رجل له شأن، فركبوا ليتلقوه فلَقُوه على بغل تحته

---

(١) تاريخ الطبري: (٤/٢٤٧)، طبقات ابن سعد: (٦/٧ ـ ٨).

إكاف وهو مُعترضٌ عليه رجلاه من جانب واحدٍ، فلم يعرفوه، فأجازوه، فلقيهم الناسُ.

فقالوا: أين الأمير؟. فقالوا: هو الذي لقيتم.

قال: فركضوا في أثره فأدركوه، وفي يده رغيفٌ وفي الأخرى عِرق وهو يأكل، فسلَّموا عليه فنظر إلى عظيم منهم، فناوله العِرْقَ والرغيف. قال: فلما غفل ألقاهُ ـ أو قال: ـ أعطاه خادمه)[1].

٣ ـ استقدام عمر لحذيفة بعد مدة لاختباره:

كان من عادة عمر رضي الله عنه أنه إذا ولى عاملاً له على بلد من البلاد. استقدمه بعد فترة من الزمن ليختبر حاله، وطريقة سيره في ولايته، وكان من بين أولئك الذين استقدمهم رضي الله عنه حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، ليرى هل كانت ثقته في موضعها أم أن حال حذيفة رضي الله عنه قد تغير بتغير الزمان، وتبدل الأحوال، فرأى قمة في الثبات على المبدأ لا تؤثر فيه الأيام، ولا تبدله الولايات والمناصب، فعلم أن ثقته في موضعها.

● عن ابن سيرين قال:

بعث عمر حذيفة على المدائن، فقرأ عهدهُ عليهم، فقالوا: سل ما شئت.

قال: طعاماً آكله، وعَلَفَ حماري هذا ـ ما دمت فيكم ـ من تبن.

---

(١) تهذيب الكمال للمزي: (٥/٥٠٦)، وأبو نعيم في الحلية: (١/٢٧٧)، وابن سعد في الطبقات: (٧/٣١٧)، وأسد الغابة: (١/٤٦٩)، كنز العمال: (١٣/٣٤٣)، تاريخ بغداد للخطيب: (١/١٦٢).

فأقام فيهم، ما شاء الله، ثم كتب إليه عمر: اقدم.

فلما بلغ عمر قدومه، كمن له على الطريق، فلما رآه على الحال التي خرج عليها، أتاه فالتزمه، وقال:

(أنت أخي، وأنا أخوك)[1].

د ـ محاورات حذيفة لعمر بن الخطاب:

لم يكن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ذلك الرجل الذي لا رأي له، ولا قدرة له على التفكير والاستنباط، وإنما كان رجلاً ذا رأي صائب، وقدرة على التحليل والاستنباط، ولذلك فهو لا يتابع أحداً في رأيه إلا إذا علم في رأيه وجه الصواب، واستبان له أن ما قاله غيره هو الحق، حتى ولو كان ذلك عمر بن الخطاب نفسه، وقد جرت لحذيفة بن اليمان محاورات ومساجلات مع عمر بن الخطاب، فلما استبان له أن الحق مع عمر رضي الله عنه تابعه على ذلك.

١ ـ محاورته لعمر حين أمره بطلاقه المرأة الكتابية:

● عن سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ قال:

بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بن اليمان بعدما ولاه المدائن وكثر المسلمات ـ من العجم ـ:

(إنه بلغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب، فطلقها).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٣٦٦)، أسد الغابة: (١/ ٣٩٠)، وذكره في كنز العمال: (١٣/٣٤٣) ونسبه إلى ابن سعد، وابن عساكر.

فكتب إليه حذيفة:

(لا أفعل حتى تخبرني أحلال أم حرام وما أردت بذلك).

فكتب إليه عمر:

(لا بل حلال... ولكن في نساء الأعاجم خلابة، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم).

وأدرك حذيفة مقصود عمر. فقال: (الآن).

(فطلقها)[1].

ونحن نتابع هذه المحاورة الكتابية بين الخليفة عمر بن الخطاب، وواليه حذيفة بن اليمان نلحظ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن يُعنى فقط بسلامة المسلمين من القتل في القتال، فقد كانت جيوشه أبداً مظفره، ولكنه كان يعنيه سلامتهم من أن تفسد قلوبهم بإقبال الدنيا عليهم، فينقلب بأسهم بينهم، فكان يراقب تصرفات عماله وعموم المسلمين ومدى تفاعلهم مع ما فتح عليهم، ومع الدنيا الجديدة التي دانت لهم، وظل هذا شغله الشاغل بعد ذلك.

ولهذا يصدر أمره إلى واليه حذيفة بأن يطلق امرأته الكتابية التي تزوجها، وهذا يدل على بعد نظره حين نطلع على مقصده من وراء هذا الأمر، وذلك لأنه يخشى من مشكلة اجتماعية بل وفتنة عظيمة توشك أن تطل بقرونها حين لا يجد النساء المسلمات من يتزوجهن ويعفهن، لانشغال الرجال من أبناء المسلمين بالزواج من نساء أهل الكتاب اللواتي يتمتعن بجمال صارخ خلاب قد يستعملنه في الضغط على

---

(١) تاريخ الطبري: (٣/٥٨٨).

أزواجهن فيشغلنهم عن حقوق الزوجات الأخريات من المسلمات أو يمنعنهم من الزواج بالمسلمات.

ونلحظ أيضاً إضافة إلى بعد نظر عمر بن الخطاب فطنة حذيفة بن اليمان حين بلغه أمر عمر بن الخطاب فلم يسارع إلى تنفيذه لأنه يعلم أن عمر أمره بشيء يخالف ما جاء في الكتاب العزيز من إباحة الزواج بالكتابية، فيسارع إلى الاستفسار من عمر عن سبب هذا الأمر، وهل يعتقد أن الزواج بالكتابية حلال أو حرام، وحين يعلمه عمر بمقصده من وراء هذا الأمر يسارع حذيفة إلى الالتزام به، لحرصه الشديد على إغلاق أي باب من أبواب الفتن التي قد تطل على المسلمين وتفتك ببنية المجتمع الإسلامي.

٢ ـ محاورة بينهما حول تقسم الفيء:

● عن الحسن قال:

كتب عمر إلى حذيفة ـ رضي الله عنه ـ:

(أن أعط الناس أُعطياتهم وأرزاقهم).

فكتب إليه: (إنا قد فعلنا وبقي شيء كثير).

فكتب إليه عمر: (إنه فيئهم الذي أفاء الله عليهم، ليس هو لعمر ولا لآل عمر، اقسمه بينهم)[١].

هـ ـ سؤال عمر له عن الأمور العويصة:

كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما مستودع العلم بالمشاكل العويصة، والقضايا المشكلة وخاصة أمور الفتن وشأن المنافقين، ولقد

---

(١) طبقات ابن سعد: (٣/ ٢١٥)، فتوح البلدان: ص (٦٣٥).

كان عمر رضي الله عنه يبادر بسؤاله عن هذه القضايا، ويجيب حذيفة بكلام واضح في منتهى الوضوح، بعيداً عن الأغاليط والألغاز، يفهم عمر مقاصده ومراميه ومن ذلك:

١ ـ السؤال عن الفتنة التي تموج كموج البحر:

● عن شقيق قال:

سمعت حذيفة قال:

(كنا جلوساً عند عمر رضي الله عنه فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟

قلت: أنا، كما قاله.

قال: إنك عليه ـ أو عليها ـ لجريء.

قلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره، يكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي.

قال: ليس هذا أُريد، ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر.

قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً.

قال: أيكسر أم يُفتح؟ قال: يُكسر.

قال: إذاً لا يُغلقُ أبداً.

قلنا: أكان عمر يعلمُ الباب؟

قال: نعم، كما أن دون الغد الليلة، إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط. فهبنا أن نسأل حذيفة، فأمرنا مسروقاً فسأله فقال: الباب عمر)[1].

---

(١) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة باب الصلاة كفارة حديث رقم (٥٢٥)، ومسلم برقم: (١٤٤)، والترمذي في الفتن برقم: (٢٢٨٥)، وابن ماجه في الفتن برقم: (٣٩٥٥)، وأحمد في المسند: (٥/ ٤٠١ ـ ٤٠٢).

٢ ـ سؤال عمر عن المنافقين:

● عن حميد بن هلال قال:

(أُتي عمر بن الخطاب برجلٍ يُصلي عليه، فدعا بوضوء ليصلي عليه وعنده حذيفة فمرزه[١] مرزة شديدة.

قال عمر: اذهبوا فصلّوا على صاحبكم من غير أن يخبره.

فقال عمر: يا حذيفة أمنهم أنا؟

قال: لا، قال: ففي عمالي أحد منهم؟

قال: رجل واحد، وكأنما دل عليه حتى نزعه من غير أن يخبره)[٢].

٣ ـ لا يصلي عمر على جنازة لا يصلي عليها حذيفة:

●(كان عمر ينظر إليه عند موت من مات منهم، فإن لم يشهد جنازته حذيفة لم يشهدها عمر)[٣].

و ـ آراء حذيفة في عمر بن الخطاب:

كان حذيفة بن اليمان خبيراً بالرجال يعرف لهم أقدارهم وفضلهم. ولا يعرف الفضل لأهله إلا أهل الفضل وحذيفة منهم، ولذلك كان صريحاً في نقده للرجال، يتكلم بكلام واضح جلي كوضوح نفسيته رضي الله عنه، ومن أولئك الرجال الذين عرفهم وعايشهم، وسبر أغوار نفسياتهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأعطى فيه رأياً صريحاً واضحاً عميقاً يدل على بعد نظر، وخبرة واسعة في ميدان

---

(١) مرزه: أي قرصه بأصابعه لئلا يصلي عليه. النهاية: (٤/٣١٨).

(٢) كنز العمال رقم: (٣٦٩٦١)، وعزاه إلى رستة في الإيمان، سير أعلام النبلاء (٢/٣٦٤)، أسد الغابة: (١/٣٩٠)، الاستيعاب: (١/٣٢٥).

(٣) الاستيعاب: (١/٣٢٥).

الرجال، ويدل أيضاً على عظيم محبته لعمر وتقديره له.

١ - رأي في علم عمر:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(لكأن علم الناس كان مدسوساً في حُجْر مع عمر)[١].

٢ - رأي في عمر بعد استشهاده:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(إنما مثل الإسلام أيام عمر مثل أمر مقبل لم يزل في إقبال، فلما قتل أدبر فلم يزل في إدبار)[٢].

ثالثاً - حذيفة مع عثمان بن عفان رضي الله عنه:

بقي حذيفة رضي الله عنه على اخلاصه لمبادىء الإسلام، ونبي الإسلام، وخلفاء الرسول من بعده، بل كان مخلصاً في غاية الإخلاص. حريصاً كل الحرص أن يبعد كل خطر قد ينزل أو يحيق بالإسلام، ودولة الإسلام، يقدم النصح والتوجيه للخلفاء كلما سنحت الفرصة ورأى الوقت مناسباً لذلك، وكلما شعر أن هناك مشكلة أو خطراً يتهدد مصلحة المسلمين، فسرعان ما يبادر إلى تصحيحه وتوجيهه نحو الصواب إن استطاع، أو يبعده ويبعد خطره عن المسلمين بالتحذير منه.

بقي حذيفة على هذا النهج مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى توفاه الله، واستمر عليه مع الخليفة الراشد عثمان بن عفان

---

(١) ابن سعد في الطبقات: (٤/ ١٥٣).

(٢) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص (١٧٩).

رضي الله عنه، ولم يكن عثمان بن عفان رضي الله عنه أقل خبرة بالرجال من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولذلك عرف لحذيفة بن اليمان مكانته، ورعى له منزلته من النبـي ﷺ، فكان يطلب منه النصح والرأي، وكان يلتزم بما يقدمه حذيفة من نصيحة في الأمور المستعصية والمعضلة التي كانت تهدد حياة المسلمين ومجتمعهم، وكان حذيفة رضي الله عنه مثال الجندي المخلص المطيع لقيادته يتوجه حيث يريده الخليفة. وينفذ تعليماته بكل دقة وأمانة.

(أ) استمرار ولاية حذيفة على المدائن:

أبقى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما والياً على المدائن طيلة مدة خلافته، وهذا يدل على مبلغ ثقة الخلفاء به، بل وكان يزيد في ولايته أماكن أخرى كان يوليه عليها.

- قال الذهبي رحمه الله: ولي حذيفة إمرة المدائن لعمر، فبقي عليها إلى بعد مقتل عثمان، وتوفي بعد عثمان بأربعين ليلة[1].

وأشار إلى ذلك الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله فقال:

(. . . كان صاحب سر رسول الله ﷺ لقربه منه، وثقته به، وعلو منزلته عنده، وولاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب المدائن، فأقام بها إلى حين وفاته)[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٦٤).

(٢) تاريخ بغداد: (١/ ١٦٢)، تهذيب الكمال: (٥/ ٤٩٩).

(ب) توليته على ثغر أرمينية:

جاء في فتوح البلدان للبلاذري بعد أن تحدث عن فتوحات حبيب بن مسلمة الفهري وحذيفة فقال:

(فولى - يعني عثمان - ثغر أرمينية حذيفة بن اليمان العبسي)[1].

(جـ) نصيحته لعثمان بجمع القرآن:

اتسعت الفتوحات في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، واستبحر العمران، وتفرق المسلمون في الأمصار والأقطار، ونبتت ناشئة جديدة كانت بحاجة إلى دراسة القرآن، وطال عهد الناس بالرسول والوحي والتنزيل. وكان أهل كل أقليم من أقاليم الإسلام، يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة، فأهل الشام يقرؤون بقراءة أبـي بن كعب، وأهل الكوفة يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود، وغيرهم يقرأ بقراءة أبـي موسى الأشعري، فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة، بطريقة فتحت باب الشقاق والنزاع في قراءة القرآن، أشبه بما كان بين الصحابة قبل أن يعلموا أن القرآن نزل على سبعة أحرف، بل كان هذا الشقاق أشد، لبعد عهد هؤلاء عن عهد النبوة، وعدم وجود الرسول بينهم، يطمئنون إلى حكمه، ويصدرون جميعاً عن رأيه.

وقد استفحل الخلاف بين المتعلمين حتى كاد يكفر بعضهم بعضاً، وكادت تكون فتنة في الأرض وفساد كبير، وعم هذا البلاء كثيراً من الولايات الإسلامية المترامية الأطراف.

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري: ص (٢٨٧).

ولأن حذيفة كان يتمتع بغيرة صادقة على الإسلام ومبادئه، وعلى المسلمين وما يتهددهم من خطر، ولما كان يتمتع به من نظرة ثاقبة، وبعد نظر وفطنة، فقد هب ينذر بما يتعرض له المسلمين من خطر نتيجة اختلافهم في القراءة.

ولقد بدأت فكرة جمع الناس على مصحف واحد تختمر في ذهن حذيفة مبكراً، حين لحظ اختلاف الناس في القراءة في زمن ولاية الوليد بن عقبة على الكوفة:

● فعن يزيد بن معاوية ـ النخغي ـ قال:

(إني لفي المسجد زمن الوليد بن عقبة في حلقة فيها حذيفة قال: وليس إذ ذاك حجزة ولا جلاوزة إذ هتف هاتف:

من كان يقرأ على قراءة أبـي موسى فليأت الزاوية التي عند أبواب كندة، ومن كان يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود فليأت هذه الزاوية التي عند دار عبد الله، واختلفا في آية من سورة البقرة قرأ هذا ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ للبيت ﴾ وقرأ هذا ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾.

فغضب حذيفة وأحمرت عيناه ثم قام فغرز قميصه في حجزته وهو في المسجد وذاك في زمن عثمان، فقال:

(إما أن يركب ـ يعني الوليد بن عقبة ـ إلى أمير المؤمنين وإما أن أركب، فهكذا كان من قبلكم) ثم أقبل فجلس فقال:

(إن الله بعث محمداً فقاتل بمن أقبل من أدبر حتى أظهر الله دينه. ثم إن الله قبضه فطعن الناس في الإسلام طعنة جوادٍ، ثم إن الله استخلف أبا بكر فكان ما شاء الله، ثم إن الله قبضه فطعن الناس في

الإسلام طعنة جوادٍ، ثم إن الله استخلف عمر فنزل وسط الإسلام، ثم إن الله قبضه فطعن الناس في الإسلام طعنة جواد، ثم إن الله استخلف عثمان وأيمُ الله ليوشكن أن يطعنوا فيه طعنة تخلفونه كله)[1].

● حوار ساخن بين حذيفة وعبد الله بن مسعود:

ويجري حوار ساخن بين حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما وبين عبد الله بن مسعود حول قضية جمع الناس على قراءة واحدة، ويستفسر ابن مسعود من حذيفة عن كلام بلغه أنه قاله في هذه القضية، وبأنه سيشير على أمير المؤمنين بذلك فيقر حذيفة بذلك فيسمعه ابن مسعود كلمة خشنة قاسية، ويسكت حذيفة رضي الله عنه حين يسمع منه ذلك:

● عن أبـي الشعثاء ـ المحازمي ـ قال:

(كنا جلوساً في المسجد وعبد الله يقرأ فجاء حذيفة فقال: قراءة ابن أم عبد، وقراءة أبـي موسى الأشعري، والله إن بقيت حتى آتى أمير المؤمنين ـ يعني عثمان ـ لآمرنه بجعلها قراءة واحدة.

قال: فغضب عبد الله فقال لحذيفة كلمة شديدة، قال: فسكت حذيفة)[2].

فهذا القول من حذيفة دليل على حرصه الشديد على المسلمين، وخوفه مما يتهددهم من خطر التفرق ونزعة الخلاف، ويدل على بعد نظره برفعه هذه القضية إلى المسؤول الأول في الدولة الإسلامية وهو

---

(١) ابن أبـي داود في المصاحف ص (١٨)، تاريخ المدينة لابن أبـي شيبة: (٣/٩١٩)، فتح الباري: (٩/١٨).
(٢) المصاحف لابن أبـي داود: ص (٢٠).

الخليفة ليقوم بمعالجته، ويرشدنا إلى نفسية حذيفة الصادقة الحريصة على إسداء النصح لأولي الأمر وبيان ما يتهدد الإسلام والمسلمين من أخطار وفتن توشكُ أن تطل بأعناقها، فيعم بها الفساد والفرقة في المجتمع الإسلامي المتماسك البنية.

وغضب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه دليل أيضاً على حرصه وغيرته على الإسلام ومبادئه، حيث أنه يرى هذا الأمر الذي ينوي حذيفة فعله أمراً جديداً لم يعرفه المسلمون قبل هذا، وهو حافظ القرآن الذي تلقى أغلبه من فم الرسول ﷺ مباشرة، إلا أنه لم يكن يرى من خلال نظرته أن هناك خطراً يتهدد الإسلام ومبادئه، ولذلك كان شديداً في رده على حذيفة فكلاهما مجتهد لمصلحة الإسلام والمسلمين.

- حادثة تزيد قناعة حذيفة برأيه في جمع القرآن:

ومما زاد قناعة حذيفة بما كان يفكر به من إبداء النصح للخليفة في جمع الناس على مصحف واحد، ما رآه أثناء مشاركته في فتوح أرمينية من اختلاف الناس أكثر في القراءة، واشتد خوفه على المسلمين أكثر وأكثر، وخشي عليهم الفرقة والخلاف، وأن يتمزقوا أيدي سبأ، فما عاد من غزاته تلك حتى شد الرحال إلى الخليفة عثمان بن عفان لإقناعه بهذه القضية، وهي جمع الناس على مصحف واحد.

- فقد جاء من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال:

(إن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنهما ـ قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة.

فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن

يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك.

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف.

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم.

ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أُفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق)[1].

وفي رواية أخرى أوردها ابن حجر في الفتح:

(أن حذيفة قدم من غزوة فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك الناس؟

قال: وما ذاك؟!

قال: غزوت فرج أرمينية، فإذا أهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن باب جمع القرآن حديث رقم: (٤٩٨٧)، وابن أبي داود في المصاحف: ص (٢٥ ـ ٢٦)، والترمذي في التفسير باب: ومن تفسير سورة التوبة حديث رقم: (٣١١٥)، والنسائي في الكبرى في فضائل القرآن حديث رقم: (٧٩٨٨)، وابن حبان في صحيحه برقم: (٤٥٠٧).

عبد الله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفّر بعضهم بعضاً)[1].

● نصيحة وافقت محلها فعُمل بها:

ويبدو أن ما لاحظه حذيفة رضي الله عنه من الاختلاف في القراءة، فافزعه وهاله، قد لحظه صحابة آخرون منهم الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، لكنه كان يحتاج إلى من يعينه ويقويه في أمر الجمع على مصحف واحد، فجاءت مبادرة حذيفة رضي الله عنه عاملاً مشجعاً للخليفة رضي الله عنه:

● عن أبي قلابة قال:

(لما كان في خلافة عثمان، جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، حتى كفَّر بعضهم بعضاً!!

فبلغ ذلك عثمان، فقام خطيباً فقال:

أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون، فمن نأى عني من أهل الامصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحناً، اجتمعوا يا أصحاب محمد، فاكتبوا للناس إماماً)[2].

يقول الحافظ في الفتح: فكأنه والله أعلم لما جاءه حذيفة وأعلمه باختلاف أهل الأمصار تحقق عنده ما ظنه من ذلك.

---

(١) فتح الباري: (٩/١٨).

(٢) ابن جرير في التفسير: (١/ ٦١، ٦٢) بتحقيق أحمد شاكر، ابن أبي داود في المصاحف ص (٢٨ ـ ٢٩)، ابن أبي شبة في تاريخ المدينة: (٣/ ٩٦٦)، فتح الباري: (٩/١٨).

● عـزم وتنفيذ:

ولما تحقق الخليفـة الراشد من الظنون التي كانت تسـاوره ويخاف منها من تفرقة لكلمة المسلميـن، واختلاف يُخشى منه أن يمزق وحدتهم، وذلك نتيجة لاختلافهم في القراءة، وجاءه النذير العريان ـ حذيفة بن اليمان ـ يحمل إليه أخبار اختلاف المسلمين في القراءة وما لاحظه من تأثير ذلك على سلامة قلوبهم، واجتماع كلمتهم، عزم الخليفة عندئذ على جمع الناس على قراءة واحدة، فقام باستشارة الصحابة في هذا الأمر فوافقوه على عزمه، وساندوه في تنفيذه، ولم يشذ واحد منهم بل اجتمعت كلمتهم جميعاً على هذا الأمر حتى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي كان حانقاً في بداية الأمر، أصبح راضياً ملتزماً بأمر الخليفة بحرق ما عنده من الصحف، وذلك حين استبان له وجه الخطر المحدق بالمسلمين نتيجة لهذا الاختلاف.

● فعن سويد بن غفلة قال: قال علي:

(لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلاّ على ملأ منا.

قال: ما تقولون في هذه القراءة؟ قد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفراً؟!

قلنا: ما ترى؟

قال: أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقه ولا اختلاف.

قلنا: فنعم ما رأيت)[1].

وحين وافقه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم على عزمه في جمع القرآن، انتدب لهذه المهمة جماعة من الصحابة وحفاظ القرآن ليقوموا بهذه المهمة.

وحين فرغوا من مهمتهم أرسل المصاحف المنسوخة إلى الأقطار، وأمر المسلمين بأن يمحو ما عندهم:

● فعن أبي قلابة قال:

(فلما فرغ عثمان من المصحف كتب إلى أهل الأمصار: إني قد صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندي، فامحوا ما عندكم)[2]. والمحو أعم من أن يكون بالغسل أو بالتحريق، وأكثر الروايات صريح في التحريق، فهو الذي وقع، ويحتمل وقوع كل منهما، بحسب ما رأى من كان بيده شيء من ذلك، وقد جزم عياض بأنهم غسلوها بالماء ثم أحرقوها، مبالغة في إذهابها)[3].

● رضى وقبول عند المسلمين بهذا الأمر:

ولقد رضي المسلمون ـ الصحابة فمن بعدهم ـ فعل عثمان هذا، وامتدحوه لما كان منه من حفظ كتاب الله وحماية المسلمين من الخلاف والفرقة:

---

(١) ابن أبي داود في المصاحف: ص (٣٠) بإسناد صحيح، وابن أبي شبة في تاريخ المدينة: (٣/٩٩٦).

(٢) ابن جرير في التفسير: (١/ ٦١ ـ ٦٢) بتحقيق أحمد شاكر، وابن أبي داود في المصاحف: ص (٢٨ ـ ٢٩)، فتح الباري: (٩/١٨).

(٣) فتح الباري: (٩/ ٢١).

● عن مصعب بن سعد بن أبـي وقاص قال:

(أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك، أو قال: لم ينكر ذلك منهم أحد)[1].

● وعن عبد الرحمن بن مهدي قال:

(خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبـي بكر ولا لعمر: صبره نفسه حين قتل مظلوماً، وجمعه الناس على المصحف)[2].

ومما يدل على رضا عبد الله بن مسعود بما فعل عثمان رضي الله عنهما جميعاً ما ذكره ابن الأثير بقوله:

(وأرسل عثمان إلى كل أُفق بمصحف، وحرق ما سوى ذلك، وأمر أن يعتمدوا عليها ويدعوا ما سوى ذلك، فكل الناس عرف فضل هذا الفعل إلا ما كان من أهل الكوفة، فإن المصحف لما قدم عليهم فرح به أصحاب النبـي ﷺ، وإن أصحاب عبد الله ومن وافقهم امتنعوا من ذلك وعابوا الناس، فقام منهم ابن مسعود وقال:

(ولاكل ذلك؟! فإنكم والله قد سبقتم سبقاً بيناً، فاربعوا على ظلعكم)[3].

---

(١) ابن أبـي داود في المصاحف: ص (١٩)، فضائل القرآن لابن كثير: ص (٢٢) وقال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح.

(٢) فضائل القرآن لابن كثير: ص (٢٢).

(٣) الكامل لابن الأثير: (٣/ ٥٤)، ومعنى اربعوا على ظلعكم: كفوا عن هذا الأمر.

ويقول الذهبي رحمه الله:

(وقد ورد أن ابن مسعود رضي وتابع عثمان، ولله الحمد)[1].

وقال ابن كثير رحمه الله:

(ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق)[2].

وبانتهاء هذا الأمر ـ جمع القرآن ـ قطع عثمان رضي الله عنه دابر الفتنة، وحسم مادة الخلاف، وحصن القرآن من أن يتطرق إليه شيء من الزيادة والتحريف على مر العصور وتعاقب الأزمان، والفضل في ذلك كله يرجع إلى بعد نظر حذيفة رضي الله عنه، وعظيم فطنته، وحرصه الشديد على مبادىء الإسلام، ومحاولاته لإبعاد الفرقة عن أمة الإسلام، حتى لا يصيبها ما أصاب الأمم السابقة من أدواء التمزق والتفرق، وبهذا يعد هذا العمل في حث عثمان على جمع القرآن من أجل أعمال حذيفة رضي الله عنه، ومن أعظم أعمال الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضوان الله عليه.

(د) حذيفة يشاهد مطلع الفتن ويحاول الإصلاح:

بدأت الفتن تطل بأعناقها في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، حين بدأت تحركات السبئيين لإثارة الفتنة تعمل عملها للفتك في بنية المجتمع الإسلامي، تحت شعار ظاهر هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم من هذا الشعار براء، ولكنهم كانوا يخططون لهدم الخلافة والخروج على الخليفة، وقد بدأ هذا التحرك بإعلان التمرد على تعيين

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٣٤٩/١).

(٢) فضائل القرآن لابن كثير: ص (١٨).

الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لسعيد بن العاص والياً على الكوفة، وخرج الغوغاء من الناس بتحريض خفي من السبئيين لمنع الوالـي سعيد بن العاص من الدخول إلى الكوفة، ولولا حنكة الخليفة في التعامل مع مثيري الفتنة لأريقت في ذلك دماء وأي دماء، فأعاد الوالي إلى المدينة، وعين أبا موسى الأشعري والياً بدلاً منه. ولقد عاين حذيفة بن اليمان هذه الفتنة وهي تطل برأسها فتعامل معها بتوازن دقيق من خلال الخبرة الواسعة التي اكتسبها من فهمه لأحاديث الفتن وفيما يلي تفصيل هذه الحادثة المسماة «بيوم الجرعة»:

- عن عمير بن سعد النخعي أنه قال:

(كأني أنظر إلى الأشتر مالك بن الحارث النخعي على وجهه الغبار، وهو متقلد السيف ويقول: (والله لا يدخلها علينا ما حملنا سيوفنا) يعني سعيداً، وذلك يوم الجرعة، والجرعة مكان مشرف قُرب القادسية وهناك تلقاه أهل الكوفة)[(1)].

- وعن أبـي ثور الحدائي أنه قال:

(دفعت إلى حذيفة بن اليمان وأبـي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري وهما في مسجد الكوفة يوم الجرعة، حيث صنع الناس بسعيد بن العاص ما صنعوا، وأبو مسعود يعظم ذلك ويقول:

ما أرى أن ترد على عقبيها حتى يكون فيها دماء.

فقال حذيفة: والله لتردن على عقبيها وليس فيها محجمة من دم، وما أعلم اليوم منها شيئاً إلا وقد علمته ومحمد ﷺ حي، وإن الرجل

(١) تاريخ الطبري: (٥/ ٩٥).

ليصبح على الإسلام ثم يمسي وما معه منه شيء، ثم يقاتل أهل القبلة، ويقتله الله غداً، فينكص قلبه فتعلوه إسته.

فقلت: لأبي ثور: فلعله قد كان؟

قال: (لا والله ما كان)[1].

● وعن جندب قال:

(جئت يوم الجَرعَة، فإذا رجلٌ جالس.

فقلتُ: ليهراقنَّ اليوم ههنا دماءٌ.

فقال ذاك الرجل: كلا والله!.

قلت: بلى والله!.

قال: كلا والله!.

قلت: بلى والله.

قال: كلا، والله! إنه لحديثُ رسول الله ﷺ حدثنيه.

قلت: بئس الجليس لي أنت منذ اليوم، تسمعني أُخالفك وقد سمعته من رسول الله ﷺ فلا تنهاني؟، ثم قلت: ما هذا الغضب؟ فأقبلت عليه وأسأله، فإذا الرجل حذيفة)[2].

ونحن ننظر في هذه النصوص نلحظ أن أبا مسعود الأنصاري كان غاضباً لتمرد وثورة الرعاع، وخروجهم إلى الجَرعة، وعزلهم الوالي سعيد، وعصيانهم، وهي أول مرة تحصل، بينما كان حذيفة رضي الله عنه بعيد النظر، يتعامل مع الحدث بموضوعية وتفكير.

---

(١) تاريخ الطبري: (٥/ ٩٥ ـ ٩٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن باب في الفتنة التي تموج كموج البحر حديث رقم: (٢٨٩٣).

لقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما متخصصاً في علم «الفتن» وتعامل مع فتن السبئيين في الكوفة وغيرها، وفق ما سمعه وعلمه من رسول الله ﷺ، واستحضر ما حفظه من تلك الأحاديث. ففهم حقيقة ما يجري حوله، ولم يستبعده، ولم يستغربه، وحاول الإصلاح ما أمكنه.

(هـ) حذيفة يعتبر قتل عثمان أول الفتن:

يعلق حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما على مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه بكلام عجيب حيث يعتبر قتله أنه أول الفتن حيث يقول رضي الله عنه فيما جاء:

- عن زيد بن وهب عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(أول الفتن قتل عثمان، وآخر الفتن خروج الدجال، والذي نفسي بيده، لا يموتن رجل وفي قلبه مثقال حبة من خردل من حب قتل عثمان، إلا تبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره)[1].

(و) استنكاره قتل عثمان رضي الله عنه:

لقد بلغ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه خبر مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو يعاني المرض، فاستنكر هذا الفعل الشنيع وذكر من فعله بسوء، فمن ذلك:

- ما رواه محمد بن سيرين عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(اللهم إن كان قتل عثمان بن عفان خيراً، فليس لي فيه نصيب،

---

(١) البداية والنهاية: (٤/ ١٩٢)، تاريخ المدينة لابن أبي شيبة: (٤/ ١٢٤٧).

وإن كان قتله شراً فأنا منه بريء، والله لئن كان قتله خيراً، ليحلُبُنَّه لبناً، وإن كان قتله شراً، ليمتصن به دماً)[1].

● وعن أبـي عبد الله الحداني أن حذيفة رضي الله عنه لما مرض مرضه الذي مات فيه، كان في بيته، وعنده رجل من أخصائه، وهو يكلم امرأته ويناجيها، ففتح عينيه وقال لهما: ما الأمر؟.

قالا: خير!.

قال: شيء تسرّانه دوني ليس خيراً؛

قال الرجل: لقد قتل عثمان.

قال حذيفة: إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم إني كنت من هذا الأمر بمعزل، فإن كان قتله خيراً، فهو لمن حضره، وأنا منه بريء، وإن كان قتله شراً، فهو لمن حضره، وأنا منه بريء، اليوم تغيرت القلوب يا عثمان، الحمد لله الذي سبق بـي الفتن، قادتها وعلوجها)[2].

(ز) رأي حذيفة فيمن خرج على عثمان رضي الله عنه:

كان حذيفة رضي الله عنه صريحاً في إبداء آراءه في المسائل التي تعترضه واضحاً كوضوح نفسيته، بعيداً عن المواربة والمداهنة، ولذلك يبدي رأيه بمنتهى الوضوح في قتلة عثمان رضي الله عنه والخارجين عليه، غير آبه بما قد يتعرض له من أخطار من هؤلاء المارقين.

● عن ربعي بن خراش:

---

(١) البداية والنهاية: (١٩٢/٤)، تاريخ المدينة المنورة: (١٢٤٨/٤)، الرياض النضرة: (١٧٩/٢).

(٢) البداية والنهاية: (١٩٢/٤).

(أنه أتى حذيفة بن اليمان بالمدائن يزوره، ويزور أخته.

قال: فقال حذيفة:

ما فعل قومك يا ربعي أخرج منهم أحد؟.

قال: نعم، في نفر، وذلك زمن خروج الناس إلى عثمان.

فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من خرج من الجماعة، واستذل الأمير لقي الله ولا وجه له عنده»[1].

● وعن زيد بن يثيع قال:

(تجهز ناس من بني عبس إلى عثمان يقاتلونه، فقال حذيفة:

ما سعى قوم ليذلوا سلطان الله في الأرض إلا أذلهم الله في الدنيا قبل أن يموتوا)[2].

(حـ) رأيه في عثمان رضي الله عنه بعد استشهاده:

لقد كان حذيفة رضي الله عنه مخلصاً غاية الإخلاص للنبي ﷺ في حياته، ولخلفائه من بعده ولذلك كان صريحاً معهم يعاتبهم ويناصحهم. كما يفعل سائر الصحابة، ولم يخطر ببال أحد منهم أن يخرج على أي خليفة منهم. ولذلك صرح حذيفة بن اليمان بهذه

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٨٧)، والحاكم في المستدرك: (١/ ١١٩) وقال الحاكم: صحيح. وقال الهيثمي في المجمع: (٥/ ٢٢٢) رواه أحمد ورجاله ثقات قلت: والحديث حسن لشواهده.

(٢) المعرفة والتاريخ للفسوي: (٢/ ٧٦٢).

الحقيقة بمنتهى الوضوح والجرأة:

● قال حذيفة حين علم بمقتل عثمان رضي الله عنه:

(اللهم العن قتلته وشُتَامَهُ، اللهم إنا كنا نعاتبه ويعاتبنا، فاتخذوا ذلك سلماً إلى الفتنة، اللهم لا تمتهم إلا بالسيوف)[1].

رابعاً ـ حذيفة مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

لم تتح الفرصة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أن يظهر إخلاصه للخليفة الراشد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلا في الحدود الدنيا من التعامل، وذلك لأنه لم يعايش فترة خلافته وانتقاله إلى الكوفة إلا فترة قصيرة من الزمن لا تزيد عن أربعين يوماً تقريباً، كان فيها الخليفة الراشد يحاول معالجة ما انفتق من الأمور بمقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، إلا أن حذيفة أبى إلا أن يعبر عن محبته وإخلاصه للخليفة الجديد في موقفين بارزين يدلان على ما يتمتع به حذيفة من إيمان صادق، وإخلاص نادر، وتفانٍ في خدمة دينه وعقيدته:

الموقف الأول: بيعته للخليفة الجديد علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

تعد البيعة من الأمور الأساسية التي تعبر عن مكنونات النفس في أداء فروض الطاعة، ونقضها وعدم القيام بها دليل على رفض الخليفة الجديد والوضع الجديد، ولأن حذيفة يعلم خطورة هذا المبدأ وهذا الركن من أركان العمل الإسلامي فقد قام بأداء البيعة بوضع إحدى يديه

(١) ابن الأثير في الكامل: (٣/ ٥١)، والطبري: (٤/ ٣٠٧).

في الأخرى، كمظهر على طاعته للخليفة الجديد، وذلك بسبب مرضه الذي أقعده فلم يستطع القدوم على الخليفة علي بن أبـي طالب ليبايعه:

- عن أبـي راشد قال:

لما انتهى إلى حذيفة بيعة علي قال:

بايع (يعني حذيفة) يديه إحداهما على الأخرى ثم قال:

(لا أبايع بعده أحداً من قريش! ما بعده إلا أحقر أو أبتر)[1].

الموقف الثاني: أمره لأبنائه بمبايعة علي رضي الله عنه:

ولم يكتف حذيفة رضي الله عنه بمبايعته هو لعلي بن أبـي طالب كرم الله وجهه، وإنما أمر أبناءه صفوان وسعيد بمبايعة الخليفة الجديد ونصرته وقد التزما بما أمرهما رضي الله عنهم جميعاً:

- بايعا علياً بوصية من أبيهما، وقاتلا معه حتى استشهدا يوم صفين رحمهما الله تعالى[2].

---

(١) المعرفة والتاريخ للفسوي: (٣/ ١٣٣).

(٢) الاستيعاب: (١/ ٣٣٤)، وقد جاء عن حذيفة ما يشعر بأن علياً رضي الله عنه سيكون على الحق فقد جاء عن زيد بن وهب قال: (بينما نحن حول حذيفة، إذ قال: كيف أنتم وقد خرج أهل بيت نبيكم فرقتين يضرب بعضكم وجوه بعض بالسيف؟ قلنا: يا أبا عبد الله وإن ذلك لكائن، فقال بعض أصحابه: يا أبا عبد الله فكيف نصنع إن أدركنا ذلك الزمان؟ قال: انظروا إلى الفرقة التي تدعو إلى أمر علي فالزموها فإنه على الهدى) أخرجه البزار في كشف الأستار برقم: (٣٢٨٣)، وقال الهيثمي في المجمع: (٧/ ٢٣٩) رواه البزار ورجاله ثقات.

(ب) حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما الجندي المجاهد والقائد المسؤول:

كان للعرب في أيام الجاهلية مزايا متميزة: الذكاء الفطري، وحب الحرية والمساواة، والشجاعة والإقدام، والكرم والسخاء، فعمل الإسلام على تطوير هذه المزايا وصقلها، وأفاد منها في أيام السلم والحرب، ونجح في مسعاه أعظم النجاح.

وكان لهم صفات رديئة: تفرق كلمتهم، وفقدان الضبط والنظام بينهم، وعبادة الأصنام والأوثان، وسيطرة روح القبيلة عليهم، فعمل الإسلام على محاربتها للقضاء عليها، وانتصر عليها انتصاراً باهراً.

لقد وجد الإسلام بتعاليمه التي تغرس الضبط والنظام في النفوس، وتدعو إلى توحيد الله وتوحيد الصفوف، وتأمر بالجهاد بالأموال والأنفس في سبيل الله، وتنهى عن التخلف والقعود والتولي يوم الزحف، أرضاً خصبة في العرب الذين كانت لهم خبرة طويلة في الحروب، والذين لا يهابون الموت ويتعشقون الحرية، فكان من فضل الإسلام على العرب أنه جمع شملهم ووحد قلوبهم وأشاع فيهم الضبط والنظام.

لقد دفعت عقيدة الإسلام العربي المسلم إلى التضحية والفداء، وجعلته صابراً في البأساء والضراء وحين البأس، وجعلته عنصراً مفيداً أعظم الفائدة للمجتمع الإسلامي، وجعلت من هذا المجتمع قوة عظيمة متماسكة تحرص على السلام، ولكنها لا تعرف الاستسلام، وتطلب الموت لتوهب لها الحياة.

ولقد كان حذيفة رضي الله عنه أحد عناصر ذلك المجتمع الإسلامي الذي تأثر بالعقيدة تأثراً كبيراً، فكان منضبطاً متميزاً بكل صفات الجندية الحقه حين يكون في مواقع الجندية، وكان حريصاً على مصلحة مرؤوسيه، محافظاً عليهم حين يكون في موقع القيادة، فكان جندياً مثالياً، وقائداً عظيماً، وفاتحاً مجاهداً وسنلحظ كل ذلك من خلال دراسة تطبيقية عملية نلحظها من مواقفه رضي الله عنه.

١ ـ حذيفة بن اليمان الجندي المثالي المتميز:

كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما يتمتع بكل الصفات المميزة للجندية الحقيقية التي تميز الجندي القوي الحق عن الجندي الضعيف، وهي الصفات التي تفيد ولا تضر، وتبني ولا تهدم، وتثبت ولا تدعو للفرار ومن هذه الصفات:

الطاعة والانضباط:

كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مطيعاً، يتحلى بالضبط المتين، ضرب أروع الأمثلة في الانضباط والطاعة للأوامر العسكرية الصادرة له. ففي غزوة الأحزاب التزم بالأمر الصادر له من قبل الرسول ﷺ التزاماً حرفياً دون أن يتجاوزه بأي شكل من الأشكال.

- فمن حديث حذيفة رضي الله عنه قال:

(... اذهب، فاتني بخبر القوم، ولا تذعرهم عليَّ.

فلما وليتُ من عنده جعلتُ كأنما أمشي في حمام، حتى أَتيتهم، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهماً في كبد القوس فأردت أن أرميه، فذكرت قول رسول الله ﷺ:

«لا تذعرهم عليَّ، ولو رميته لأصبته. . .)[1].

الصبـر:

ومن خصال الجندية الحقة الصبر على المشقات العسكرية في ميدان القتال، وكان حذيفة رضي الله عنه يتمتع بقدر كبير من الصبر يميزه ويرقى به إلى أعلى درجات الجندية الحقيقية: فها هو ينطلق لتنفيذ المهمة التي أوكلت إليه من قبل الرسول ﷺ رغم ما كان يعانيه من عوامل الخوف والجوع وشدة البرد، إلا أنه صبر على كل ذلك وأتم المهمة بنجاح.

- فمن حديث حذيفة رضي الله عنه قال:

(. . . فقال:

«من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع» يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة «أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة» فما قام رجل من القوم من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد.

فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد في القيام حين دعاني فقال:

«يا حذيفة فاذهب فادخل في القوم، فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا».

قال: فذهبت فدخلت في القوم. . .)[2].

---

(١) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب برقم: (١٧٨٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣)، وابن هشام في السيرة: (٣/ ٢٣١ ـ ٢٣٢)، والحاكم: (٣/ ٣١)، والبيهقي في الدلائل: (٣/ ٤٥٠ ـ ٤٥١) وإسناده حسن.

الثبـات والشجاعة:

وهي من أهم مزايا الجندي المسلم الحقيقي، فهو لا يجبن أبداً، ولا يتولى يوم الزحف، وهي مزية أساسية لا يكون النصر إلا بها، وحذيفة رضي الله عنه كان يتمتع بأعلى درجات الشجاعة النادرة، والثبات عند الأزمات، وكيف لا يكون ذلك وهو يقرأ في كتاب الله عز وجل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١).

وقد برزت هذه الصفة في حذيفة رضي الله عنه في يوم الأحزاب حين دخل ذلك الجمع الهائل من المشركين الذين يحاصرون المدينة، ويضيقون عليها الخناق، من أجل أن يأتي بأخبارهم، ويكتشف أحوالهم، على الرغم مما سيتعرض له من الخطر الشديد لو اكتشف أمره، لكنه قابل هذا الأمر بمنتهى الثبات والشجاعة، وأتى بخبر رحيلهم.

الحذر واليقظة:

وهي صفة تجعل من الصعب على العدو أن ينال(من الجندي الحق شيئاً، أو أن يباغته من مكان لا يتوقعه أو في زمان لا يتوقعه، وليس جندياً من ينام عن عدوه، لأن الاستهانة بالعدو تؤدي إلى الهزيمة، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان يتمتع بأعلى درجات الحذر واليقظة، فهو المبادر إلى السؤال يوم الأحزاب حين لحظ

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٤٥).

أبو سفيان ما يعانيه جيشه من الاضطراب يوم الأحزاب، فدعا من معه أن يسأل كل واحد منهم عن جليسه ويتعرف عليه.

● فعن حذيفة رضي الله عنه قال:

(. . . فقام أبو سفيان بن حرب فقال:

يا معشر قريش لينظر امرؤ إلى جليسه.

فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي جنبي.

فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان بن فلان. . .)(١).

أن يكون مدرباً على الفنون القتالية:

ومن الصفات الأساسية للجندية الحقه أن يكون متدرباً على فنون القتال المختلفة، ولا قيمة لجندي لا يحسن الفنون العسكرية، ولقد كان حذيفة رضي الله عنه يتميز بأنه يتقن فنون الحرب، من ركوب الخيل، ورمي السهام، وضرب بالسيف، وطعن بالرمح.

● فعن حذيفة رضي الله عنه قال:

(. . . فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهماً في كبد القوس فأردت أن أرميه، فذكرت قول الرسول ﷺ: «ولا تذعرهم عليَّ، ولو رميته لأصبته. . .»)(٢).

أن يجاهد بماله ونفسه في سبيل الله:

وقد كان حذيفة مجاهداً بنفسه وماله، فلم يتخلف عن

(١) انظر المصادر السابقة.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٧٨٨).

رسول الله ﷺ في مشهد من المشاهد سوى غزوة بدر وقد ذكرت سبب تخلفه وأنه كان بأمر رسول الله ﷺ ورضاه، وأما في زمن الخلفاء الراشدين فقد جاهد في كثير من المواطن، وقد أحسن اللواء الركن محمود شيث خطاب فذكر معاركه التي جاهد فيها زمن الخلفاء الراشدين فقال حفظه الله تحت عنوان: جهاده:

(١ ـ شهد حذيفة القادسية تحت لواء سعد بن أبـي وقاص، وشهد معه معارك الفتح الأخرى إلى معركة فتح المدائن، كما شهد فتح الجزيرة، ونزل نصيبين.

٢ ـ وشهد حذيفة معركة نهاوند الحاسمة بقيادة النعمان بن مقرن المزني الذي كان في جيشه وجوه أصحاب النبـي ﷺ، وكان حذيفة على رأس أهل الكوفة في هذا الجيش، وفي معركة نهاوند هذه قاد حذيفة إحدى مجنبتي المسلمين، فلما استشهد النعمان بن مقرن في عنفوان المعركة أخذ الراية حذيفة حسب أوامر عمر بن الخطاب الذي كتب إلى النعمان: (إن أُصبت فالأمير حذيفة... الخ) فقاد المعركة إلى الليل حيث انهزم الفرس وفتح المسلمون مدينة نهاوند.

٣ ـ وطارد نعيم بن مقرن المزني والقعقاع بن عمرو التميمي فلول المنهزمين من الفرس حتى وصلوا إلى همذان، فلما رأى قائدها ألاّ فائدة ترجى من المقاومة استأمنهم على الجزية، فراسلوا حذيفة فأجابهم إلى ما طلبوا.

٤ ـ وفتح حذيفة (الدينور) و (الري)، كما فتح (أذربيجان)، إذ كان قائداً عاماً على أهل البصرة والكوفة فأرسل قادته لفتح هذه البلاد، ففتح (الدينور) أبو موسى الأشعري، وفتح (الري) نعيم بن مقرن

المزني، وفتح (أذربيجان) عتبة بن فرقد السلمي وبكير بن عبد الله الليثي، ثم عاد حذيفة إلى الكوفة حيث ولاه عمر بن الخطاب على ما سقت (دجلة).

٥ ـ وفي أيام عثمان بن عفان، تولى حذيفة قيادة أهل (الكوفة) في معارك (أرمينية)، فغزا تلك المناطق ثلاث غزوات، وكان مشتبكاً بالعدو في الغزوة الثالثة حين ترامت إليه أنباء مقتل عثمان، وكان حذيفة قد شهد معارك (باب الأبواب) مدداً لعبد الرحمن بن ربيعة الباهلي)[١].

من كل ما سبق نلحظ أن صفات الجندية الحقيقية الخالدة كانت واضحة المعالم، منطبقة تمام الانطباق، ودون تكلف على شخصية حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، فكان نعم الجندي المنضبط، الشجاع الحذر، المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله.

٢ ـ حذيفة بن اليمان القائد الفاتح:

وفي هذا يقول اللواء محمود شيث خطاب حفظه الله تحت عنوان: القائد: (كان حذيفة كاتم سر رسول الله ﷺ في حياته، وبتعبير آخر، كان ضابط استخبارات الرسول ﷺ في حياته، اختاره دون غيره من بين أصحابه، لتمتعه بمزايا الكتمان الشديد فلا يفشي سره لأحد، وبحضور البديهة، فلا يرتبك عند الشدائد، وبتقديره العميق لأهمية صيانة المعلومات فلا يفشي نياته لبشر، وبالذكاء الخارق وبموهبة حب الاستطلاع.

---

(١) قادة فتح بلاد فارس: ص (١١١ ـ ١١٢).

هذه المزايا كلها، هي مزايا ضابط الاستخبارات المثالي، وقد كان لها أثر في حياته كلها؛ كلما وجد (خبراً) يؤثر في مصير الإسلام والمسلمين (أخبر) به المسؤولين فوراً، وقد رأيت كيف أخبر عمر بن الخطاب عندما وجد وخومة الجو تؤثر على صحة العرب. فكان حذيفة عاملاً من عوامل بناء الكوفة والبصرة، وقد رأيت كيف أخبر عثمان بن عفان عن اختلاف المسلمين في قراءات القرآن، فجمع عثمان المسلمين على مصحف واحد.

وهذه المزايا بالذات برزت في قيادة حذيفة، فلم يورط جيوشه في معارك دون أن يتبين موطىء قدمه ـ وذلك بالحصول على المعلومات عن العدو وعن طبيعة الأرض، وبذلك كانت خططه العسكرية مبنية دائماً على معلومات دقيقة وصحيحة، وكانت نتائجها دائماً في صالح المسلمين.

لقد كان صحيح القرار سريعه، يثق برجاله ويثقون به ويبادلونه حباً بحب وتقديراً بتقدير، وكان قوي الشخصية نافذ الإرادة، يعرف الناس حق المعرفة فيعامل كل واحد منهم بما يستحق ، وكان ذا نفسية لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار، له ماض ناصع مجيد)[1].

(جـ) حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما الوالي المتواضع:

إن الإنسان حين يلقي نظرة على مجتمعنا الذي نعيشه، والناس الذين نراهم فيه، ثم يمد الطرف بعيداً إلى رجالات الإسلام العظام،

(١) قادة فتح بلاد فارس: ص (١١٦).

يجد عجباً من العجب، وتستولي عليه الدهشة من ذلك البون الشاسع بين أولئك وهؤلاء.

فالواحد من كبار الناس هذه الأيام لا تجده مبدعاً إلا في مجال واحد، مبرزاً في علم واحد، لكنه جهول فيما تبقى، وقد لا يعرف الأساسيات والأولويات فيما عدا اختصاصه، خلا رجال يشذون عن هذه القاعدة.

بينما ترى في رجالات الإسلام الأوائل: الفقيه الكبير، المحدث المكثر، المعلم الفذ، الوالي الزاهد، القاضي العادل، السياسي المحنك، القائم على شؤون المال المجاهد في سبيل الله جندياً وقائداً، كل ذلك مع ربانية وورع، وزهد وتقوى، وتواضع جم، وبساطة في المعاش يخالطه دماثة في الخُلق.

ولقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما من هؤلاء الرجال، فلقد رأيناه فيما مضى مجاهداً في سبيل الله جندياً وقائداً. وسنلحظه فيما يلي من البحث والياً متواضعاً، وسنراه فقيهاً محدثاً، وسياسياً محنكاً، ومعلماً مربياً، وخبيراً في أمور الفتن لا يشق له غبار، مع كل ما كان يتمتع به من صفاء في النفس، وورع وزهد، وتواضع وبساطة، ودماثة في الأخلاق.

ويزول عجبنا أن كل ما ذكرنا من صفات الجيل الرباني الأول هو نتاج لتربية العقيدة، التي لا تعرف الدون من الأمور وإنما تحث على معاليها، وتعرف الحركة والانتشار وترفض الاستسلام والسكون والتقوقع على النفس، وحين نعلم أنهم نتاج التربية النبوية الكريمة التي رباهم عليها سيد الأولين والآخرين ﷺ.

كيفية قدوم حذيفة ليتولى ولاية المدائن:

● عن ابن سيرين قال:

(كان عمر بن الخطاب إذا بعث أميراً كتب إليهم:

إني قد بعثت إليكم فلاناً وأمرته بكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا، فلما بعث حذيفة إلى المدائن كتب إليهم:

إني قد بعثت إليكم فلاناً فأطيعوه.

فقالوا: هذا رجل له شأن، فركبوا ليتلقوه، فلقوه على بغل تحته إكاف، وهو معترض عليه رجلاه من جانب واحد، فلم يعرفوه، فأجازوه، فلقيهم الناسُ، فقالوا: أين الأمير؟.

فقالوا: هو الذي لقيتم، قال: فركضوا في إثره فأدركوه، وفي يده رغيف. وفي الأخرى عِرق وهو يأكل.

فسلموا عليه فنظر إلى عظيمٍ منهم فناوله العِرْق والرغيف، قال: فلما غَفَلَ ألقاه ـ أو قال ـ أعطاه خادمه)[1].

اهتمامه بمصلحة رعيته:

● عن كردوس قال:

(خطب حذيفة بالمدائن فقال:

أيها الناس تعاهدوا ضرائب غلمانكم، فإن كانت من حلال

---

(١) أبو نعيم في الحلية: (١/٢٧٧)، تهذيب الكمال: (٥/٥٠٦)، ابن سعد: (٧/٣١٧) أسد الغابة: (١/٤٦٩)، كنز العمال: (١٣/٣٤٣).

فكلوها، وإن كانت من غير ذلك فارفضوها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنه ليس لحم ينبت من سُحْتٍ فيدخل الجنة»[1].

الوالي الزاهد:

● قال ابن سيرين:

(بعث عمر حذيفة على المدائن، فقرأ عهده عليهم.

فقالوا: سل ما شئت، قال: طعاماً آكله، وعلف حماري هذا ـ ما دمت فيكم ـ من تبن.

فأقام فيهم، ما شاء الله، ثم كتب إليه عمر: أقدم.

فلما بلغ عمر قدومه، كمن له على الطريق، فلما رآه على الحال التي خرج عليها، أتاه فالتزمه، وقال:

أنت أخي، وأنا أخوك)[2].

---

(١) أبو نعيم في الحلية: (١/ ٢٨١).

(٢) سير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٦٦).

الفَصْل الرابع

حذيفة بن اليمان
أخلاق وسجايا

إن صفات حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما الخُلُقية كثيرة، وهي في مجملها تدل على تمتعه بأكمل الصفات، وأجمل الخصال، وأنبل المزايا، ليحقق التطبيق العملي للدعوة الإسلامية في مكارم الأخلاق، والتأسي الصحيح بخُلق المصطفى عليه الصلاة والسلام، القائل:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1].

والذي وصفه ربه عز وجل ومدحه في القرآن العظيم فقال تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم: (٢٧٣)، وابن سعد: (١/ ١٩٢)، وأحمد في المسند: (٢/ ٣٨١)، والبزار برقم: (٢٤٧٠)، والبيهقي في السنن الكبرى: (١٠/ ١٩١ ـ ١٩٢)، وشعب الإيمان: (٧٩٧٨)، والحاكم: (٢/ ٦١٣) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي جميعاً من حديث أبي هريرة، والحديث صحيح.

(٢) سورة القمر: الآية (٤).

وكيف لا يكون حذيفة رضي الله عنه على هذا المستوى الرفيع من الأخلاق، وهو خريج مدرسة النبوة حيث تعلم في رحابها كيف يجعل حياته كلها بأحاسيسها ونوازعها وشهواتها وأفكارها، بالخفي منها والظاهر، مع الناس أو مع نفسه، رهناً لشريعة الله، فكان لا يتكلم ولا يفكر ولا يحس، ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام إلا إذا أذن له الشرع بذلك، أو أن قدوته رسول الله ﷺ أقر ذلك أو فعله.

ولأن حذيفة رضي الله عنه كان يعلم أن الأخلاق من ثمرات الإيمان، وهي علامة عملية على ما يعمر قلب صاحبها من إيمان وتقوى وبر، وكلما قوي الإيمان، واستولى على القلب، وتمكن منه، وملأه بنوره، ارتفعت أخلاق صاحبها واتسعت، وغطت قطاعاً واسعاً من جوانب الحياة.

وسأذكر في هذا الفصل بعض أخلاق حذيفة رضي الله عنه موضحاً لهذه الأخلاق من خلال أحداث حياة هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه، مكتفياً بهذه الأحداث دونما تعليق في كثير من الأحيان.

١ - أدبه ومحبته واحترامه للنبي ﷺ:

لقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ممن يجل رسول الله ﷺ ويحبه ويحترمه، ويقدره أعظم التقدير والاحترام، ولذلك كان عظيم الأدب معه صلوات الله عليه ومن مظاهر هذا الأدب والاحترام:

- يحيد عن طريق النبي حتى لا يسلم عليه وهو على جنابة:

● عن حذيفة قال: كانَ رسول الله ﷺ إذا لقيَ الرجلَ من أصحابه، مسحَهُ ودعا لهُ.

قال: فرأيتهُ يوماً بُكرةً، فحدثتُ عنه، ثم أتيته حين ارتفع النهار، فقال:

(إني رأيتكَ، فحدثتَ عني).

فقلتُ: إني كنت جُنباً، فخشيتُ أن تمسَّني، فقال رسول الله ﷺ:

«إن المسلمُ لا ينجسُ»[1].

- لا يبدأ بالطعام حتى يبدأ الرسول عليه السلام:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

كُنَّا إذا حَضَرنا مَعَ النَّبـي ﷺ طعاماً لَمْ نَضَعْ أَيدِيَنَا، حَتّى يَبدأَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ فيضعَ يدَهُ.

وإنّا حَضرنا مَعهُ، مَرةً طَعَاماً فجاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنّها تُدفَعُ[2] فَذهَبَتْ لتضعَ يَدَهَا في الطَّعَامِ، فأَخَذَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا.

ثُمَّ جَاءَ أَعْرابيٌّ كأنَّمَا يُدفَعُ، فأخذ بِيَدِهِ.

فقالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إنَّ الشَّيطَانَ يَستَحِلُّ الطَّعامَ أَنْ لا يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيهِ، وإنهُ جاءَ بهذهِ الجاريةِ لِيَستَحِلَّ بها، فأخذتُ بِيَدِهَا، فجاءَ بِهَذا الأعرابـي ليستحلَّ

(١) أخرجه النسائي: (١/ ١٤٥)، وأبو داود برقم: (٢٣٠)، وابن ماجه برقم: (٥٣٥)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٤) والحديث إسناده صحيح.

(٢) كأنها تدفع: كأنها تطرد، يعني لشدة سرعتها.

بِهِ، فأخذتُ بِيَدِهِ، والذي نَفْسي بِيدِهِ إنَّ يَدَهُ في يَدي مَعَ يَدِهَا»[1].

إسناد رأس الرسول ﷺ إلى صدره:

● عَنْ حذيفةَ رضيَ اللَّهُ عَنهُ قالَ:

(أَسندتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ إلى صَدريْ فقالَ: «من قالَ لا إلَه إلاّ اللَّهُ، إبتغاءَ وجه اللَّهِ، خُتِمَ لهُ بها، دَخلَ الجنة، ومن صامَ يوماً ابتغاءَ وجه اللَّهِ خُتمَ لهُ بها، دخلَ الجنة، ومن تصدقَ بِصدقةٍ ابتغاء وجه الله خُتمَ له بها دخلَ الجنة)[2].

٢ ـ تمسك بالسنة:

كان حذيفة رضي الله عنه حريصاً كل الحرص على التمسك بالسنة الواردة عن النبي ﷺ، ويغضب غضباً شديداً حين يحاول بعض من يتعامل معه أن يجعله يخالف السنة ومن ذلك:

● عن عبد الله بن عُكَيْمٍ، قال:

(استسقى حذيفةُ من دِهقانْ بالمدائنِ، فأَتاهُ بشرابٍ في إناءٍ مِنْ فضةٍ، فَحذَفَهُ بها.

فَهِبْنَا حُذَيفَةَ أَنْ نُكَلِّمهُ فلما سَكَنَ الغَضَبُ عنهُ، قال: اعْتَذِرُ إليكم

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٠١٧)، وأبو داود برقم: (٣٧٦٦)، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم: (٢٧٣)، وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم: (٤٦٠)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨)، والحاكم: (٤/ ١٠٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٩١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: (٢/ ٣٢٤) رواه أحمد وروى البزار طرفاً منه في الصيام فقط ورجاله موثقون، قلت: والحديث إسناده حسن.

من هذا، إني كنتُ تقدمتُ إليه أنْ لا يسقيني في هذا، ثُم قالَ:

إنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قام فينا خطيباً قالَ: «لا تَشْرَبُوا في إناءِ الفِضَّةِ ولا الذَّهَبِ، ولا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ والدِّيبَاجَ، فإنهُ لَهُمْ في الدُّنيا ولَكُمْ في الآخِرَة»[1].

٣ ـ عبادتـة وصلاتـه:

كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما حريصاً على الاقتداء بالرسول ﷺ في كل أحواله، ولذلك كان يتعلم منه ويلازمه، وتأثر به في عبادته ولذلك كان يفعل كما يفعل النبـي ﷺ دون أي شكوى بل يحتمل ذلك لارضاء الله سبحانه وتعالى.

صلاتـه بالليـل:

- عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(صليت مع النبـي ﷺ ذاتَ ليلةٍ فافتتح البقرة، فقلتُ: يركعُ عند المئة. فقلت: يُصلي بها في ركعة، فمضى. فقلت: يركع بها.

ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأُ مترسلاً، إذا مَرَ بآيةٍ فيها تسبيح سبح، وإذا مَرَ بسؤالٍ، سأل، وإذا مَرَ بتعوذٍ تعوذ، ثُم ركع فجعل يقول:

سبحان ربـي العظيم، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ربنا لكَ الحمد، ثم قام قياماً طويلاً قريباً مما

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٦٧)، والحميدي برقم: (٤٤٠)، والنسائي: (٨/١٩٨ ـ ١٩٩)، وابن الجارود في المنتقى: برقم: (٨٦٥).
والدهقان: عظيم القرية، أو عظيم من عظماء المدائن.

ركع، ثم سجد، فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريباً من قيامه)[1].

● وعن حذيفة رضي الله عنه:

(أنه صلى معَ رسول الله ﷺ من الليل، فلما دخل في الصلاةِ قالَ:

اللهُ أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياءِ والعظمة.

قال: ثم قرأ البقرة، ثم ركع وكان ركوعه نحواً من قيامه، وكان يقول: سبحان ربي العظيم.

ثم رفع رأسه فكان قيامه نحواً من ركوعه، وكان يقول: لربي الحمد، لربي الحمد.

ثم سجد فكان سجوده نحواً من قيامه، وكان يقول: سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي الأعلى.

ثم رفع رأسه فكان ما بين السجدتين نحواً من السجود، وكان يقول: رب اغفر لي، رب اغفر لي.

قال: حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام)[2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٧٢)، والترمذي برقم: (٢٦٢)، والنسائي: (٤/٢٢٤)، وأبو داود برقم: (٨٧١)، والطيالسي برقم: (٤١٥، ٤١٦)، وأحمد في المسند: (٥/٣٩٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٥/٣٩٨)، والنسائي: (٢/٢٣١)، وأبو داود برقم: (٨٧٤)، والطيالسي برقم: (٥٦)، والزهد لابن المبارك: ص (٣٤) وإسناده صحيح رجاله ثقات.

صـومـه:

● عن زر بن حبيش قال:

(تسحرت ثم انطلقت إلى المسجد، فمررت بمنزل حذيفة بن اليمان، فدخلت عليه، فأمر بلقحة فحلبت، وبقدر فسخنت ثم قال: أُدنُ فكُل.

فقلت: إني أُريدُ الصوم.

فقال وأنا أُريد الصوم.

فأكلنا وشربنا، ثم أتينا المسجد، فأُقيمت الصلاة. ثم قال حذيفة: هكذا فعل بـي رسولِ الله ﷺ.

قلتُ: أبعد الصبح؟ قال: نعم، هو الصبح غير أن لم تطلع الشمس.

قال: وبين بيت حذيفة وبين المسجد، كما بين مسجد ثابت، وبستان حوط)[1].

٤ ـ صبره وتسامحه:

صبره حين قُتل والده خطأ وتسامحه بديته:

● عن عائشة رضي الله عنها قالت:

(لما كان يوم أُحد هُزم المشركون، فصرخ إبليس لعنة الله عليه:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٣٩٦/٥)، والطحاوي في شرح معاني الآثار: (٥٢/٢)، والنسائي في السنن الصغرى: (١٤٢/٤)، وابن ماجه برقم: (١٦٩٥) والطحاوي في مشكل الآثار حديث رقم: (٥٥٠٥) والحديث إسناده حسن.

أي عباد الله، أُخراكم.

فرجعت أُولاهم فاجتلدت هي وأخراهم.

فبَصُرَ حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان، فقال: أي عباد الله أبي أبي.

قال: قالت: فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه.

فقال حذيفة: يغفر الله لكم.

قال عروة: فوالله ما زالت في حذيفة بقيةً من خير حتى لحق بالله)[١] وقد جاء ما يدل على عفة نفسه وتسامحه رضي الله عنه، حين سامح المسلمين بدية أبيه.

● قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد:

(فقال حذيفة: قتلتم أبي! قتلتم أبي!

قالوا: والله ما عرفناه، وصدقوا.

فقال حذيفة: يغفر الله لكم، فأراد رسول الله ﷺ أن يَديَّه، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً)[٢]

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٠٦٥، ٣٨٢٤)، وابن سعد في الطبقات: (٢/ ٤٥)، والحاكم: (٣/ ٣٧٩)، والبيهقي في الدلائل: (٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣١).

(٢) أخرجه ابن هشام في السيرة: (٢/ ٨٧ ـ ٨٨)، والطبري في تاريخه: (٢/ ٥٣٠)، من طريق ابن إسحاق، وسنده حسن رجاله ثقات، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث فسنده متصل.

صبره على أمه حين أنبته لعدم ملازمته للنبي:

● من حديث حذيفة رضي الله عنه قال:

سألتني أُمي: منذ متى عهدك بالنبي ﷺ؟

قال: فقلت لها: منذ كذا وكذا؟

قال: فنالت مني وسبتني.

قال: فقلت لها: دعيني فإني آتي النبي ﷺ، فأصلي معه المغرب، ثم لا أدعه حتى يستغفر لي ولك؟

قال: فأتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب، فصلى النبي ﷺ العشاء، ثم أنفتل فتبعته، فعرض له عارض فناجاه، ثم ذهب فاتبعته، فسمع صوتي.

فقال: من هذا؟

فقلت: حذيفة، قال: مالَك؟ فحدثته بالأمر.

فقال: غفر الله لك ولأمك...)(1).

٥ ـ ذكاؤه وفطنته:

إن من مظاهر ذكاء وفطنة حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما سرعة البديهة عنده يوم الأحزاب، حين أمر أبو سفيان كل رجل في جيشه أن يمسك بيد صاحبه ويسأله عن اسمه، فسارع حذيفة إلى هذا فأنسى ذلك من بجواره أن يسأله عن اسمه، ومن مظاهر فطنته اقتراحه ببناء الكوفة

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٣٨٧١)، والنسائي في فضائل الصحابة برقم: (١٩٣)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٩١، ٣٩٢)، والحاكم: (٣/ ٣٨١)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، والحديث إسناده صحيح.

لتأثر المسلمين بجو المدائن:

سؤاله لصاحبه يوم الأحزاب:

● عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال:

(... فقام أبو سفيان بن حرب فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ إلى جليسه.

فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي جنبي.

فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان بن فلان...)[١].

رأيه في اختيار بناء الكوفة:

● عن الشعبي قال: كتب حذيفة إلى عمر:

(إن العرب قد أُترفت بطونها، وخفت أعضادها، وتغيرت ألوانها)[٢].

● قال الطبري: كتب عمر إلى سعد:

(أنبئني ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم؟

فكتب إليه: إن العرب خدَّدهم وكفى ألوانهم، وخومة المدائن ودجلة) فكتب إليه عمر: إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان، فابعث سلمان رائداً وحذيفة - وكانا رائدي الجيش - فليرتادا منزلاً برياً بحرياً، ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/٣٩٢ - ٣٩٣)، وابن هشام في السيرة: (٣/٢٣١ - ٢٣٢، والحاكم (٣/٣١)، والبيهقي في الدلائل: (٣/٤٥٠ - ٤٥١) وإسناده حسن.

(٢) تاريخ الطبري: (٤/١٨٩).

ولم يكن بقي من أمر الجيش شيء إلا وقد أسنده إلى رجل، فبعث سعد حذيفة وسلمان.

فخرج سلمان حتى يأتي الأنبار فسار في غربـي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، وخرج حذيفة في شرقي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة...)[1].

٦ ـ صراحتــــه:

لقد اتصف حذيفة رضي الله عنه بصراحة نادرة لم تتوفر لغيره من أهل عصره إلا لقلة قليلة من الناس، ولقد بلغت صراحته حداً كان يتحدث عن نفسه بكل جرأة، ويتحدث عمن حوله كذلك بنفس الصراحة والجرأة، لا يهمه ما قد يلاقي نتيجة لذلك ومن أمثله صراحته:

حديث الأمانة وفقدانها في الناس:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر:

حدثنا أنَّ الأمانة نزلت في جَذْرِ[2] قلوبِ الرجال، ثم نزلَ القرآن فعلموا من القرآنِ، وعلموا من السنة.

ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال:

«ينامُ الرجلُ النَّومَةَ فَتُقْبَضُ الأمانة من قَلْبِهِ، فيظلُ أثرها مثل الوَكْت[3]، ثم ينامُ النَّومَةَ فَتُقْبَضُ الأمانةِ من قَلْبِهِ، فيظلُ أثرها مثل أثر

---

(١) تاريخ الطبري: (٤/١٨٩)، ابن الأثير: (٢/٢٠٤).

(٢) الجذر: هو أصل الشيء.

(٣) الوكت: الأثر اليسير.

المَجْلِ[١]، كجمرٍ دحرجْتَهُ على رِجْلِكَ فَنَفِطَ فتراهُ مُنتبراً[٢]، وليس فيه شيءٌ» ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله، «فيصبح الناس يتبايعون، ولا يكاد أحدٌ يؤدي الأمانة حتى يُقالَ: إن في بني فُلانٍ رجلاً أميناً، حتى يُقال للرَجُلِ: ما أَجْلَدَهُ ما أظرفَهآمـا أَعقله! وما في قَلْبه مثقالُ حبةٍ من خَرْدَلٍ من إيمان.

ولقدْ أتى عليَّ زمانٌ وما أُبالي أَيُكُمْ بايعت، لئن كان مسلماً لَيَرُدَّنَّهُ عليَّ دينُهُ، ولئن كان نصرانياً أو يهودياً ليردَّنَّهُ عَلَيَّ ساعيه، وأمّا اليَومَ فما كُنتُ أُبايعُ مِنكُمْ إلاّ فلاناً وفلاناً»[٣].

صراحته مع تلاميذه وأصحابه:

● عن شتير بن شكل، وعن صلة بن زفر، وعن سليك بن مسحل الغطفاني قالوا:

خرج علينا حذيفة ونحن نتحدث فقال:

(إنكم لتتكلمون كلاماً، كنا لنعده على عهد رسول الله ﷺ النفاق)[٤].

---

(١) المجل: هو تنفط في اليد ونحوها من أثر عمل وغيره.

(٢) منتبراً: مرتفعاً.

(٣) أخرجه البخاري في الفتن باب إذا بقي في حثالة من الناس حديث رقم: (٧٠٨٦)، ومسلم في الإيمان حديث رقم: (١٤٣)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٣).

(٤) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٨٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (١٠/ ٢٩٧) رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن ليث بن أبـي سليم مدلس، قلت والحديث حسن لشواهده.

صراحته مع جاسوس الأمراء:

● عن هَمَّام بنِ الحارث، قال:

كَانَ رَجُلٌ يَنْقُلُ الحديث إلى السُّلطانِ، فكنا جلوساً مَعَ حُذيفةَ، فمرَّ ذلكَ الرجُلُ، قيل:

هُوَ هذا، فقال حذيفة: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ»[1].

صراحته مع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

● عن شقيق قال:

(سمعت حذيفة ـ رضي الله عنه قال: كُنَّا جُلوساً عند عُمر رضي الله عنه فقال: أَيكُمْ يَحفَظُ قَولَ رسولِ الله ﷺ في الفتنة؟

قلتُ: أَنا، كما قاله.

قالَ: إنك عليه ـ أو عليها ـ لجريءٌ.

قلت: فتنة الرجل في أَهلِهِ ومالِه وولدِه وجارِه، يكفرها الصلاةُ والصومُ. والصدقة، والأمرُ والنهي.

قال: ليسَ هذا أُريدُ، ولكن الفتنة التي تموجُ كَمَا يموجُ البحرُ.

قال: ليس عليك منها بأس يا أَميرَ المؤمنين، إنَّ بينك وبينها باباً مغلقاً.

قال ايُكسرُ أَمْ يفتح؟

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب برقم: (٦٠٥٦)، ومسلم في الإيمان برقم: (١٠٥) وأبو داود برقم: (٤٨٧١)، والترمذي برقم: (٢٠٢٦)، وأحمد: (٥/ ٣٨٢، ٣٨٩).

قال: يُكسر.

قال: إذاً لا يغلقُ أبداً.

قلنا: أكان عمر يعلمُ الباب.

قال: نعم، كما أنَّ دونَ الغدِ الليلة، إني حدثتهُ لحديثٍ ليسَ بالأغاليط.

فهبنا أنَّ نسألَ حذيفة، فأمرنا مسروقاً فسأله فقال: الباب عمر)[1]

صراحته مع قومه من بني عبس في المدائن:

● عن ربعي بن خراش أنه: أتى حذيفة بن اليمان بالمدائن يزوره، ويزور أخته.

قال: فقال حذيفة:

ما فعل قومك يا ربعي أخرج منهم أحد؟

قال: نعم، في نفر، وذلك زمن خروج الناس إلى عثمان.

فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ خَرجَ من الجماعة، واستذلَ الأميرَ لقيَ اللّهَ ولا وجهَ له عنده»[2].

● وعن زيد بن يثيع قال:

---

(١) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة حديث رقم: (٥٢٥)، ومسلم برقم: (١٤٤)، والترمذي في الفتن برقم: (٢٢٨٥)، وابن ماجه في الفتن برقم: (٣٩٥٥) وأحمد في المسند: (٥/ ٤٠١ ـ ٤٠٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٨٧)، والحاكم في المستدرك: (١/ ١١٩) وقال الحاكم: صحيح، وقال الهيثمي في المجمع: (٥/ ٢٢٢) رواه أحمد ورجاله ثقات قلت: والحديث حسن لشواهده.

(تجهز ناس من بني عبس إلى عثمان يقاتلونه، فقال حذيفة: ما سعى قوم ليذلوا سلطان الله في الأرض إلاّ أذلهُم اللَّهُ في الدنيا قبلَ أن يموتوا)[1].

صراحته عما يصيب مضر من البلاء:

● عن عمرو بن حنظلة، قال:

قال حُذيفة رضي الله عنهُ: «لا تَدَعُ مُضَر عبداً لله مُؤْمناً إلا فَتَنوه أو قَتَلُوه، أَو يَضرِبَهُم الله عز وجل والملائكةُ والمؤمنونَ حتى لا يَمْنَعُوا ذَنَبَ تلعة).

فقال له رجل: يا أبا عبد الله، تقول هذا وأَنتَ رجلٌ من مُضَرَ؟

فقال: أَلا أَقولُ ما قال رسول الله ﷺ)[2].

صراحته في الحديث عن نفسه:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

كانَ في لساني ذربٌ على أهلي، لم أَعده إلى غيره، فذكرتُ ذلكَ للنبـي ﷺ قال:

«أَينَ أَنت من الاستغفار يا حذيفة، إني لأَستغفرُ الله كلَ يومٍ مائة

---

(١) المعرفة والتاريخ للفسوي: (٢/ ٧٦٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٩٠، ٣٩٥)، وابن أبي شيبة في المصنف: (١٥/ ١١١)، والحاكم: (٤/ ٤٧٠)، والبزار برقم: ٣٣٦١، والطيالسي برقم: ٤٢٠، وقال الهيثمي في المجمع: (٧/ ٣١٣)، وزاد نسبته للطبراني في الأوسط: أحد أسانيد أحمد وأحد أسانيد البزار رجاله رجال الصحيح، قلت: والحديث صحيح.

مرة، وأتوبُ إليه»[1].

٧ ـ زهـــــده:

قال الجرجاني: الزهد في اللغة: ترك الميل إلى الشيء. وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هو بغض الدنيا والاعراض عنها، وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة، وقيل: هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك)[2].

والزهد من أصل الشرع، وهو صفة ملازمة للجيل الأول من السلف الصالح، لأنهم كانوا ينظرون إلى الدنيا أنها مزرعة للآخرة، وأنها ممر وليست مقراً، وأن الحياة الدنيا متاع قليل، وهدفهم الأساسي في نيل مرضاة الله لينالوا بذلك نعيم الآخرة، سواء تملك الواحد منهم القليل أم الكثير، وسواء عاشَ في رغد العيش أَم في شظفه، فالمهم أنه لا يتعلق بالدنيا وأموالها ومتاعها، ويتمسك بأهدابها، ويعض عليها بالنواجذ.

ولقد عاش حذيفة رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ المعلم المربي، فرأى من نماذج زهده ما جعل الدنيا كلها لا تعدل في عينيه جناح بعوضة أو أكثر.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٩٤، ٣٩٦)، وابن ماجه برقم: (٣٨١٧)، والدارمي: (٢/ ٣٠٢)، وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم: (١٤١)، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم: (٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠)، والحاكم: (٢/ ٤٥٧) والحديث حسن لغيره.

(٢) التعريفات للجرجاني: ص (١٠١ ـ ١٠٢).

وعاصر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان أزهد ما يكون في الدنيا، فكان ولاته على الأمصار لا يقلون زهداً منه، وكان حذيفة من أولئك النفر الذين لم تغير الدنيا قلوبهم، ولكنه بقي محافظاً على نظرته لها دون أن يصيبها أي نوعٍ من التغير، وأسوق بعض المشاهد التي توضح زهد حذيفة رضي الله عنه.

أمنيته أن لا يكون في بيته شيء:

● عن ساعدة بن سعد: أَنَّ حذيفةَ ـ رضي الله عنه ـ كان يقول:

(ما من يومٍ أقرَّ لعيني، ولا أحبَّ لنفسي من يومٍ آتي أهلي فلا أجد عندهم طعاماً، ويقولون ما نقدر على قليل ولا كثير، وذلك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن الله أَشد حمية للمؤمن من الدنيا، من المريض أهله الطعام، واللَّهُ تعالى أَشد تعاهداً للمؤمن بالبلاء[1] من الوالد لولده بالخير»)[2].

ترغيبه للناس بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة:

● عن أبي عبد الرحمن السلمي قال:

انطلقت إلى الجمعة مع أبي بالمدائن، وبيننا وبينها فرسخ، وحذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ على المدائن ـ أَي كان أميراً عليها ـ فصعد المنبر فحمد الله وأَثنى عليه ثم قال:

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[3].

---

(١) يتعهده بالبلاء: يجلبه له.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (١/ ٢٧٧).

(٣) سورة القمر: الآية (١).

ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق.

فقلت لأبي: ما يعني بالسباق؟ فقال: من سبق إلى الجنة.

وفي رواية (فقلت لأبي: أيستبق الناس غداً؟ فقال: يا بني إنك لجاهل وإنما هو السباق بالأعمال.

ثم جاءت الجمعة الأخرى فحضرنا، فخطب حذيفة فقال:

ألا إن الله عز وجل يقول: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار، وغداً السباق، ألا وإن الغاية النار والسابق من سبق إلى الجنة)[1].

حوار مع سلمان الفارسي يكشف عن زهده:

● عن الأعمش قال: سمعتهم يذكرون أن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال لسلمان ـ رضي الله عنه ـ:

يا أبا عبد الله ألا أبني لك بيتاً؟.

قال: فكره ذلك.

قال: رويدك حتى أخبرك: إني أبني لك بيتاً إذا أضجعت فيه رأسك من هذا الجانب، ورجلاك من الجانب الآخر، وإذا قمت أصاب رأسك.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (١/ ٢٨١) والحاكم في المستدرك: (٤/ ٦٠٩) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

قال سلمان: (كأنك في نفسي)[1].

بقاؤه على حالته في الزهد وهو في منصب الوالي:

● عن ابن سيرين قال:

بعث عمر حذيفة على المدائن، فقرأ عهده عليهم، فقالوا: سل ما شئت.

قال: طعاماً آكله، وعَلفَ حماري هذا ـ ما دمت فيكم ـ من تبن.

فأقام فيهم، ما شاء الله، ثم كتب إليه عمر: اقدم.

فلما بلغ عمر قدومه، كَمنَ له على الطريق، فلما رآه على الحال التي خرج عليها، أتاه فالتزمه، وقال:

(أَنتَ أَخي، وأَنا أَخوك)[2].

٨ ـ ورعــه:

قال الجرجاني في تعريف الورع:

(هو اجتناب الشبهات، خوفاً من الوقوع في المحرمات، وقيل: ملازمة الأعمال الجميلة)[3].

والورع من أعلى خصال الأخلاق الإسلامية، ومن الصفات

---

(١) أبو نعيم في الحلية: (١/ ٢٠٢).
(٢) سير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٦٦)، أسد الغابة: (١/ ٣٩٠)، وذكره في كنز العمال: (١٣/ ٣٤٣) ونسبه إلى ابن سعد، وابن عساكر.
(٣) التعريفات للجرجاني ص (٢٢٤).

الحميدة التي يدعو إليها الإسلام، ويثني على صاحبها، وينال بها الأجر الكبير، والمكانة العظيمة، لوقوف صاحبها عند أحكام الشرع، واجتناب المنهيات، ويؤدي إلى التقوى والإخلاص، والورع فضيلة للمسلم العادي، ولكنه يأتي في قمة الواجبات وصفات العالم والداعية.

والورع صلة مباشرة بين الإنسان وربه، ويكسب صاحبه الثواب والأجر، ولكنه يفعل سحره العجيب في التأثير بالناس الذين يرقبون العلماء، وتتعلق أنظارهم بهم، للتعلم من عملهم، والاقتداء بسلوكهم.

والناظر في شخصية حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما سيلحظ أنه كان ورعاً تقياً، بل شديد الورع بالالتزام بالحلال، والبعد عن الحرام، واجتناب الشبهات في أعماله وتصرفاته، وفي مناصبه ومواقفه، وفي كسبه ورزقه وإنفاقه، وفي عبادات ومعاملاته، ومما يدل على ورعه كثير من التصرفات التي ذكرتها في عباداته وصلاته، وزهده، ومنها وقوفه عند أحكام الشرع في نفسه وتمسكه بالسنة، وسأذكر فيما يلي بعض المواقف التي تؤيد ما ذكرت آنفاً، وتؤيد ما ذهبت إليه:

حديثين يرويهما في الخوف والرجاء وتعليق منه يدل على ورعه:

- عن حذيفة رضي الله عنه قال:

حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر:

حدثنا أن الأمانة نزلت في جَذرِ قلوبِ الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة.

ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال:

«ينامُ الرجلُ النَّومَةَ فَتُقْبَضُ الأمانة من قَلبِهِ، فيظلُّ أثرها مثل

الوكتِ، ثم ينامُ النَّومَةَ فَتُقْبَضُ الأمانة منْ قَلْبِه، فيظلُ أثرها مثل أثر المَجْلِ، كجمرٍ دحرجتَهُ على رِجْلِكَ فَنَفِطَ فتراه مُنتبراً، وليس فيه شيءٌ» ثُمَّ أَخذَ حصاةً فدحرجها على رجله، «فَيُصبحُ الناسُ يتبايعون، ولا يكاد أحدٌ يؤدي الأمانة حتى يُقالَ: إن في بني فلان رجلاً أميناً، حتى يُقالَ للرجلِ: ما أَجلَدَهُ ما أَظرفه، ما أَعقله! وما في قلبه مثقال حبةٍ من خَرْدَلٍ من إيمان، ولقد أتى عليَّ زمانٌ وما أُبالي أَيَّكُمْ بايعت، لئن كان مسلماً لَيَرُدَّنَّه عليَّ دِينُهُ، ولئن كان نصرانياً أو يهودياً لَيَرُدَّنَّه عَلَيَّ ساعيه، وأَمّا اليَومَ فما كنتُ أُبايعُ مِنكُمْ إلا فلاناً وفلاناً»[1].

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ:

«يُدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، لا يُدرى ما صيام ولا صدقة ولا نُسك، ويُسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، ويبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها».

فقال صلة ـ يعني ابن زفر ـ: فما تغني عنهم لا إله إلا الله لا يدرون ما صيام ولا صدقه ولا نسك؟!.

فأعرض عنه حذيفة ـ رضي الله عنه ـ: فردّ عليه ثلاثاً كل ذلك

---

(١) أخرجه البخاري في الفتن باب إذا بقي في حثالة من الناس حديث رقم: (٧٠٨٦)، ومسلم في الإيمان حديث رقم: (١٤٣)، وأحمد في المسند: (٣٨٣/٥).

فأعرض عنه، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال:

(يا صلةُ تنجيهم من النار، تنجيهم من النار، تنجيهم من النار)[1].

حثه أهل المدائن على تجنب الحرام:

● عن كردوس قال:

خطب حذيفة بالمدائن فقال:

أيها الناس تعاهدوا ضرائب غلمانكم، فإن كانت من حلال فكلوها، وإن كانت من غير ذلك فارفضوها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنه ليس لحم ينبتُ من سُحْتٍ فيدخل الجنة»[2].

تحرجه من الفتيا:

● عن علقمة قال:

(كنت جالساً عند حذيفة وأبي مسعود الأنصاري، فجاء رجل فجلس بين أيديهما، فسألهما عن فريضة، فجعل كل واحد منهما ينظر إلى صاحبه، ولم يردا عليه شيئاً.

فقال لهما الرجل: ألا تجيباني عما سألتكما عنه؟.

فسكتا فلم يردا عليه شيئاً.

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم: (٤٠٤٩)، والحاكم: (٤/٤٧٣، ٥٤٥) وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات. والحديث صحيح كما قالوا.

(٢) أبو نعيم في الحلية: (١/٢٨١).

فقلت لهما: إن شئت أنبأتكما ما كان عبد الله ـ يعني ابن مسعود ـ يقول فيها؟.

قالا: وإن فيكم من يحفظ قوله؟.

قلت: نعم، كان عبد الله يقول كذا وكذا.

فقالا: لقد روينا أنها كذلك ولكنا خشينا أن نكون قد نسينا)[1].

٩ ـ تواضعه:

مشاركته في بناء خيمة النعمان بن مقرن رضي الله عنه:

● عن أبي بكر الهذلي قال:

«... وقد توافى إليهم بنهاوند كل من غاب عن القادسية، والأيام من أهل الثغور وأمرائها، وأعلام من أعلامهم ليسوا بدون من شهد الأيام والقوادس، وعلى خيولهم أنوشق، فلما رآهم النعمان كبر وكبر الناس معه فتزلزلت الأعاجم.

فأمر النعمان وهو واقف بحط الأثقال، وبضرب الفسطاط، فضُرب وهو واقف، فابتدره أشراف أهل الكوفة، فبنوا له فسطاطاً سابقوا أكفاءهم فسبقوهم، وهم أربعة عشر منهم:

حذيفة بن اليمان، وعقبة بن عمرو، والمغيرة بن شعبة، وبشير بن الخصاصية، وحنظلة الكاتب ابن الربيع، وابن الهوبر، وربعي بن عامر، وعامر بن مطر، وجرير بن عبد الله الحميري، والأقرع بن

(١) المعرفة والتاريخ للفسوي: (٢/ ٥٥٤).

عبد الله الحميري، وجرير بن عبد الله البجلي، والأشعث بن قيس الكندي، وسعيد بن قيس الهمذاني، ووائل بن حجر، فلم يُرَ بناءُ فسطاط بالعراق كهؤلاء. . .)[1].

حالته المتواضعة حين دخل المدائن والياً عليها:

● عن ابن سيرين قال:

(كان عمر بن الخطاب إذا بعث أميراً كتب إليهم:

إني قد بعثت إليكم فلاناً وأمَّرته بكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا: فلما بعث حذيفة إلى المدائن كتب إليهم:

(إني قد بعثت إليكم فلاناً فأطيعوه).

فقالوا: إن هذا رجل له شأن، فركبوا ليتلقوه فلقوه على بغل تحته إكاف، وهو معترضٌ عليه رجلاه من جانب واحدٍ، فلم يعرفوه، فأجازوه، فلقيهم الناسُ.

فقالوا: أين الأمير؟ فقالوا: هو الذي لقيتم.

قال: فركضوا في أثره فأدركوه، وفي يده رغيفٌ وفي الأخرى عِرق وهو يأكل، فسلَّموا عليه، فنظر إلى عظيم منهم، فناوله العِرق والرغيف.

قال: فلما غفلَ ألقاهُ ـ أو قال ـ أعطاه خادمه)[2].

---

(١) تاريخ الطبري: (٤/ ٢٤٠)، تاريخ ابن خلدون: ص (٩٧٤ ـ ٩٧٥)، الكامل في التاريخ: (٣/ ٩).

(٢) تهذيب الكمال: (٥/ ٥٠٦)، أبو نعيم في الحلية: (١/ ٢٧٧)، وابن سعد في=

١٠ ـ إخلاصه:

لقد كان حذيفة مخلصاً غاية الإخلاص للنبي ﷺ في حياته ولمبادئه بعد التحاقه بالرفيق الأعلى، وقد لحظنا هذا الإخلاص في فصل سابق تحت عنوان «حذيفة مع النبي ﷺ».

وكان حذيفة مخلصاً غاية الإخلاص للخلفاء الراشدين من بعده وقد ذكرت الكثير من مظاهر هذا الإخلاص في فصل سابق تحت عنوان «حذيفة مع الخلفاء الراشدين» وفيما يلي أذكر مظهرين من مظاهر هذا الإخلاص:

رأيه في عمر بعد استشهاده:

● قال حذيفة رضي الله عنه:

(إنما مثل الإسلام أيام عمر مثل أمرٍ مقبل لم يزل في إقبال، فلما قتل أدبر فلم يزل في إدبار)[١].

رأيه في عثمان بعد استشهاده:

قال حذيفة رضي الله عنه:

(اللهم العن قتلته وشتّامه، اللهم إنا كنا نعاتبه ويعاتبنا، فاتخذوا ذلك سُلماً إلى الفتنة، اللهم لا تمتهم إلا بالسيوف)[٢].

= الطبقات: (٧/٣١٧)، وأسد الغابة: (١/٤٦٩)، كنز العمال: (١٣/٣٤٣)، تاريخ بغداد: (١/١٦٢)

(١) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص (١٧٦).

(٢) الكامل لابن الأثير: (٣/٥١)، الطبري: (٤/٣٠٧).

١١ ـ جوده وكرمه:

كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما جواداً كريماً مضيافاً، لا يريد من الدنيا أكثر مما يوصله إلى مرضاة الله عز وجل، وكيف لا يكون كذلك وهو الذي صاحب رسول الله ﷺ ولازمه، ورأى بأم عينيه جوده وكرمه اللذان لم يكن لهما حد، فقد كان صلوات الله عليه وسلامه في جوده كالريح المرسلة بالخير، فتعلم حذيفة الجود والكرم من سيد المرسلين ﷺ.

حديث في فضل صنع المعروف:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

قال نبيكم ﷺ:

«كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»(١).

إكرامه لزواره في أي وقت يأتونه:

● عن زِرِ بن حبيش قال:

(تسحرت ثم انطلقت إلى المسجد، فمررت بمنزل حذيفة بن اليمان، فدخلت عليه، فأمر بلقحة فحلبت، وبقدرٍ فسخنت ثم قال: أَدنُ فكُل.

---

(١) أخرجه مسلم في الزكاة: باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ،حديث رقم: (١٠٠٥)، وأبو داود برقم: (٤٩٤٧)، والبخاري في الأدب المفرد برقم: (٣٣٣)، وابن أبي شيبة: (٨/٤٨)، وأحمد في المسند: (٣٨٣/٥، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٥).

فقلت: إني أُريدُ الصوم.

فقال: وأنا أُريدُ الصوم.

فأكلنا وشربنا، ثم أتينا المسجد، فأقيمت الصلاة. ثم قال حذيفة: هكذا فعل بي رسول الله ﷺ.

قلتُ: أبعد الصبح؟ قال: نعم، هو الصبح غير أن لم تطلع الشمس.

قال: وبين بيت حذيفة وبين المسجد، كما بين مسجد ثابت، وبستان حوط)[1].

١٢ ـ هيبته:

كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مهيباً في شخصيته، وكان هذا يظهر في دروسه وخطبه، وفي اجتماعه مع الناس، ومعاملته مع طلابه وتلاميذه، حتى كانوا لا يتجرؤون على سؤاله والاستفسار منه عما يريدون.

● عن عبد الله بن عُكَيْم، قال:

(استسقى حذيفة من دِهقان بالمدائن، فأتاهُ بشراب في إناءٍ من فضةٍ، فحذفهُ بها.

فَهِبْنَا حُذَيفَة أَنْ نُكَلِّمه فلما سَكَنَ الغَضَبُ عنهُ، قال: أَعتذِرُ إِليكُم

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/٣٩٦)، والطحاوي في شرح معاني الآثار: (٢/٥٢) والنسائي: (٤/١٤٢)، وابن ماجه برقم: (١٦٩٥)، والطحاوي في مشكل الآثار حديث رقم: (٥٥٠٥)، والحديث إسناده حسن.

من هذا، إني كنتُ تقدمت إليه أنْ لا يسقيني في هذا، ثم قالَ:

إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قام فينا خطيباً قال:

«لا تشربوا في إناء الفضَّة ولا الذَّهَبِ، ولا تلبسوا الحريرَ. والدِّيباجَ، فإنهُ لَهُم في الدنيا ولَكُمْ في الآخِرَة»[1].

● وفي رواية لعبد الرحمن بن أبـي ليلى، قال:

(خرجت مع حذيفة إلى بعض هذا السواد، فاستسقى، فأتاه دهقان بإناء من فضة، قال: فرماه به في وجهه.

قال: قلنا: اسكتوا، اسكتوا، وإنا إن سألناه لم يحدثنا، قال: فسكتنا. . .)[2].

● وعن شقيق قال:

سمعت حذيفة رضي الله عنه قال:

(كنا جلوساً عند عمر رضي الله عنه فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟.

قلتُ: أنا، كما قاله.

قالَ: إنك عليه ـ أو عليها ـ لجريءٌ.

قلت: فتنة الرجل في أهلِهِ ومالِهِ وولدِهِ وجارِهِ، يكفرها الصلاةُ

---

(1) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٦٧)، والحميدي برقم: (٤٤٠)، والنسائي: (٨/ ١٩٨ ـ ١٩٩)، وابن الجارود في المنتقى: برقم: (٨٦٥).

(2) أخرجه البخاري برقم: (٥٤٢٦، ٥٦٣٣)، ومسلم برقم: (٢٠٦٧)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٩٧)، والدارمي: (٢/ ١٢١)، وابن ماجه: (٣٤١٤).

والصومُ والصدقة، والأمرُ والنهي.

قال: ليسَ هذا أُريدُ، ولكن الفتنة التي تموجُ كمَا يموج البحرُ.

قال: ليس عليك منها بأسٌ يا أَمير المؤمنين، إنّ بينك وبينها باباً مغلقاً.

قال: أَيكسر أَمْ يفتح؟

قال: يكسر.

قال: إذاً لا يغلقُ أبداً.

قلنا: أكان عمر يعلمُ الباب.

قال: نعم، كما أن دونَ الغدِ الليلة، إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط.

فهبنا أن نسألَ حذيفة، فأَمرنا مسروقاً فسأله فقال: الباب عمر)[1].

● عن نصر بن عاصم الليثي قال:

(أتيت اليشكري في رهط من بني ليث.

قال: فقال: من القوم؟ قال: قلنا: ليث.

قال: فسألناه وسألنا، ثم قلنا: أتيناك نسألك عن حديث حذيفة.

قال: أقبلنا مع أبـي موسى قافلين، وغلت الدواب بالكوفة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٢٥)، ومسلم برقم: (١٤٤)، والترمذي برقم: (٢٢٨٥)، وابن ماجه برقم: (٣٩٥٥)، وأحمد في المسند: (٥/٤٠١ - ٤٠٢).

فاستأذنت أنا وصاحب لي أبا موسى، فأذن لنا، فقدمنا الكوفة باكراً من النهار.

فقلت لصاحبي: إني داخل المسجد فإذا قامت السوق خرجت إليك.

قال: فدخلت المسجد فإذا فيه حلقة كأنما قطعت رؤوسهم يستمعون إلى حديث رجل، قال: فقمت عليهم.

قال: فجاء رجل فقام إلى جنبي؟ قال: قلت: من هذا الرجل؟

قال: أبصري أنت؟ قال: قلت: نعم، قال: قد عرفتُ لو كنت كوفياً لم تسأل عن هذا، هذا حذيفة بن اليمان، فدنوت منه...)[1].

١٣ ـ أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أركان الإسلام الأساسية، وفريضة من فرائض هذا الدين، ومن أعظم وظائف العلماء، ومن واجبات كل مسلم، وقد جاءت الآيات الكريمة الكثيرة، والأحاديث النبوية الصحيحة حاثة على القيام بهذه الفريضة، ومحذرة أشد التحذير من تركها والتهاون فيها.

وتعد فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الأسس لصلاح الفرد، وتربية الإنسان، وصلاح المجتمع، وتجنيبه المخاطر والمزالق، والمفاسد والأزمات.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٣٨٦/٥)، والحاكم في المستدرك: (٤٣٢/٤). وأبو داود برقم: (٤٢٤٦)، والطيالسي ص (٥٩)، والحديث صحيح.

ولقد كان حذيفة رضي الله عنه حريصاً أشد الحرص على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكيف لا يفعل وهو الذي يروي حديثاً صحيحاً عن النبي ﷺ يحذر من العاقبة السيئة لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد جاء:

● عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال:

عن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ ولَتَنْهَوُنَّ عَنِ المنكر أو ليوشكَنَّ الله أن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عذاباً مِنْهُ فَتَدْعُونَهُ فلا يستجيبُ لكم»[1].

ولقد خشي حذيفة رضي الله عنه على المسلمين أن يتركوا فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيذلوا ويغلبهم أعداؤهم، ولذلك بادر بالسؤال عن أهمية هذه الفريضة، وعن عاقبة من يتركونها حتى تتعلم الأجيال من بعده، وقد قام رضي الله عنه بهذه الفريضة خير قيام معطياً من نفسه وسلوكه نموذجاً عملياً، ولبيان مدى اهتمام حذيفة رضي الله عنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أورد هذه المشاهد:

سؤال عن أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(قلت للنبي ﷺ: يا رسول الله، متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما سيدا أعمال أهل البر؟

قال: إذا أصابكم ما أصاب بني إسرائيل؟

---

(١) أخرجه الترمذي في الفتن حديث رقم: (٢١٧٦)، وأبو داود في الملاحم برقم: (٤٣٣٨) وابن ماجه في الفتن برقم: (٤٠٠٥) والحديث حسن.

قلت: يا رسول الله، وما أصاب بني إسرائيل؟

قال: إذا داهن خياركم فجاركم، وصار الفقر في شراركم، وصار الملك في صغاركم، فعند ذلك تلبسكم فتنة تكرون ويُكَرُّ عليكم)[١].

حث حذيفة لتلاميذه ليأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر:

● عن أبي الرقاد الجهني قال:

(خرجت مع مولاي وأنا غلام، فَدُفعتُ إلى حذيفة وهو يقول: كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ، فيصير بها منافقاً، وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتحضُنَّ على الخير، أو ليسحتكم الله جميعاً بعذاب، أو ليؤمَرَنَّ عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم)[٢].

تحذير من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(لعن الله من ليس منا، والله لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتناهَوْنَّ عن المنكر، أو لتقتتلن بينكم، فيظهرنَّ شراركم على خياركم، فليقتُلنَّهم حتى لا يبقى أحد يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، ثم تدعون الله

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٦/٧) رواه الطبراني في الأوسط وفيه عمار بن سيف وثقه العجلي وغيره وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٢٧٩/١)، وأحمد في المسند: (٣٨٦/٥، ٣٩٠)، وقال الهيثمي في المجمع: (٢٩٧/١٠) رواه أحمد وفيه أبو الرقاد الجهني ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات، والحديث حسن لغيره.

عز وجل فلا يجيبكم بمقتكم)[1].

● وعنه رضي الله عنه قال:

(ليأتين عليكم زمان خيركم فيه من لم يأمر بمعروف وينهَ عن منكر)[2].

صور من أمره بالمعروف وإنكاره المنكر:

● انكار باليد واللسان:

(عن عبد الله بن عكيم قال: استسقى حذيفة من دهقان بالمدائن، فأتاه بشرابٍ في إناءٍ من فضة، فحذفه بها.

فهبنا حذيفة أن نكلمه فلما سكن الغضبُ عنه، قال: أَعتذرُ إليكم من هذا، إني كنتُ تقدمتُ إليه أن لا يسقيني في هذا ثم قال:

إن رسول الله ﷺ قام فينا خطيباً قال: «لا تشربوا في إناءِ الفضةِ ولا الذهب، ولا تلبسوا الحرير والديباج، فإنهُ لَهُمْ في الدنيا ولكم في الآخرة»)[3].

إنكاره على جاسوس الأمراء:

● عن همام بن الحارث، قال:

(كانَ رَجُلٌ ينقلُ الحديثَ إلى السُّلطان، فكنا جلوساً مَعَ حُذيفة، فمرَّ ذلك الرجُلُ. قيل:

---

(١) أبو نعيم في الحلية: (١/ ٢٧٩).
(٢) أبو نعيم في الحلية: (١/ ٢٨٠).
(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٦٧)، والحميدي برقم: (٤٤٠)، والنسائي: (٨/ ١٩٨ ـ ١٩٩) وابن الجارود في المنتقى برقم: ٨٦٥.

هو هذا، فقال حذيفة: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات»[1].

إنكاره في الخروج على الأمراء:

● عن زيد بن يثيع قال:

(تجهز ناس من بني عبس إلى عثمان يقاتلونه، فقال حذيفة: ما سعى قوم ليذلوا سلطان الله في الأرض، إلا أذلهم الله في الدنيا قبل أن يموتوا)[2].

● عن زيد بن وهب قال:

(أنكر الناس على أمير في زمن حذيفة رضي الله عنه شيئاً فأقبل رجل في المسجد ـ المسجد الأعظم ـ يتخلل الناس حتى انتهى إلى حذيفة، وهو قاعد في حلقة، فقام على رأسه، فقال: يا صاحب رسول الله ﷺ، ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟

فرفع حذيفة رأسه فعرفَ ما أراد، فقال له حذيفة: إنَّ الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر لحسن، وليس من السنة أن تشهر السلاح على أميرك)[3].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٥٦)، ومسلم برقم: (١٠٥)، وأبو داود برقم: (٤٨٧١)، والترمذي برقم: (٢٠٢٦)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٢، ٣٨٩).

(٢) المعرفة والتاريخ للفسوي: (٢/ ٧٦٢).

(٣) أخرجه البزار كما في كشف الأستار برقم: (١٦٣٣)، وقال الهيثمي في المجمع: (٥/ ٢٢٤) وقال رواه البزار وفيه حبيب بن خالد وثقه ابن حبان، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي.

إنكاره على القراء وحثه لهم على التزام الطريق القويم:

● عن حذيفة رضي الله عنه أنه كان يقول:

(اتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم، فلعمري لئن اتبعتموه فلقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً)[1].

انكاره على العلماء الذين يردون أبواب الأمراء:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(إياكم ومواقف الفتن، قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟

قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدِّقُه بالكذب، ويقول له ما ليس فيه)[2].

إنكاره على الرجل الذي لا يحسن الصلاة:

● عن زيد بن وهب قال:

(كنا مع حذيفة، فجاءه رجل من أبواب كندة (في المسجد) صلى صلاة جعل ينقر فيها، ولا يتم ركوعه.

فقال له حذيفة: منذ كم صليتَ هذه الصلاة؟

قال: منذ أربعين سنة، قال: ما صليت منذ أربعين سنة، ولو مت

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: (٢/٩٧) تهذيب الكمال: (٥/٥٠٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (١/٢٢٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: (١/١٦٧). عبد الرزاق في المصنف: (١١/٣١٧).

لمت على غير الفطرة التي فطر عليها محمد ﷺ.

ثم قال حذيفة: إن الرجل ليخفف الصلاة ثم يتم الركوع والسجود) اللفظ لعبد الرزاق[1].

١٤ ـ حذيفة ناصحاً أميناً:

كان حذيفة رضي الله عنه يدرك إدراكاً عميقاً أهمية النصح والإرشاد تحقيقاً لقول رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»[2].

وقام حذيفة رضي الله عنه بهذا الواجب الجليل في جميع مراحل حياته، ومن خلال وعظه وخطابته، وولايته على المدائن، وتعليمه لتلاميذه، ونصحه للخلفاء بمراسلتهم، أو محاورتهم، أو الرحيل إليهم لتبليغهم ما يريد ونصحهم بما يعلم أنه الحق، فقد كان نصحه عاماً شاملاً، نصح لله في دينه، وكتابه القرآن حين سعى إلى الخليفة عثمان رضي الله عنه يستحثه على جمعه، ولرسوله ﷺ من خلال قيامه بكل ما طلبه منه الحبيب دون أي تجاوز أو مخالفة ولائمة المسلمين من الخلفاء من خلال مواقفه معهم في مواطن كانوا يحتاجون فيها إلى النصيحة.

ولقد أوردت الكثير من مواقفه في النصح والإرشاد ضمن فصلين

---

(١) أخرجه البخاري مختصراً برقم: (٧٩١، ٨٠٨)، وعبد الرزاق برقم: (٣٧٣٢، ٣٧٣٣)، وابن أبي شيبة: (١/ ٢٨٩)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٤)، والبيهقي: (٢/ ٣٨٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٥٥)، والنسائي: (٧/ ١٥٦ ـ ١٥٧)، والبيهقي في الآداب برقم: (٢٤٦)، وأحمد في المسند: (٤/ ١٠٢ ـ ١٠٣).

سابقين (حذيفة مع النبـي) و(حذيفة مع الخلفاء) وفي إيرادهما هناك غنية عن اعادتهما هنا فلتنظر.

حذيفة وتطابق الأقوال والأفعال:

هذه بعض الصفات والأخلاق التي تحلى بها حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، تؤكد التطابق بين الأقوال والأفعال، وبين السلوك العملي وما جاءت به الشريعة الغراء، ليعطي حذيفة بن اليمان صورة متميزة عن التربية النبوية، ومثالاً عملياً للداعية المسلم الصادق.

فقد كان حذيفة رضي الله عنه يتمثل اخلاق القرآن، وهدي النبـي الكريم ﷺ، وأحكام الدين على نفسه، ويدعو غيره لتطبيقها، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر على كافة المستويات، وينصح ويرشد لإدراكه العميق لأهمية النصيحة ووجوبها، وخاصة للذين عايشوا جو النبوة من العلماء والفقهاء والدعاة، ولانها عماد الدين وقوامه.

كان حذيفة رضي الله عنه يدور مع الحق حيث دار، ويعمل ضد الباطل أينما اتجه، فهو يؤازر ويؤيد وينصر من يحمل الحق، ويعادي من ينصر الباطل بغض النظر عن الذي يحمله وينصره.

وكان جريئاً في قول الحق، لا يخاف في الله لومة لائم، صريحاً واضحاً كوضوح نفسه التي لا تعرف المحاباة ولا المداهنة، مبغضاً للنفاق وأهله. محباً للخير وأهله.

كان زاهداً متواضعاً، ولكن هذا لم يعز له عن الحياة، فلذلك نراه يخوض ميادين الجهاد مجاهداً في سبيل الله، ولا علاء كلمة الله، فكان جندياً مثالياً، وقائداً فاتحاً عظيماً، ووالياً يدير شؤون ولايته بحنكة

وذكاء. كريماً، مضيافاً، غيوراً على مصلحة المسلمين.

فخلاصة القول فيه أنه كان حاذق الرأي، خبيراً بتصريف الأمور إذا تأزمت، سريع البادرة، ثابت اليقين، راسخ الإيمان، فطن الفطرة، ذكي الفؤاد، متماسك الشخصية.

وهكذا نلحظ أنه كان مثالاً صادقاً للتطابق بين الأقوال والأفعال، وبين السلوك والأخلاق، وما يدعو إليه بلسانه وبيانه.

الفَصْلُ الخَامِسُ

حذيفة بن اليمان محدثاً

لقد كان رسول الله ﷺ يتنزل عليه الوحي من ربه عز وجل، فيحفظ ما يتنزّل عليه دونَ أن يخشى النسيان، لأن الله سبحانه وتعالى وعده في كتابه بقوله: ﴿ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[1]، ثم كان ﷺ يبلغ ما أُنزل عليه، ويأمر كتاب الوحي أن يكتبوه ويدونونه في موضعه من كتاب الله عز وجل، كما كان يأمره به جبريل عليه السلام.

وكان ﷺ يفسر آيات القرآن، ويبين مقاصدها ويوضح مراميها، ويفصل مجملها، بألفاظه الكريمة، ليكون ما يقوله ويفعله ويقرره بمثابة بيان للقرآن الكريم، وليكون رديفاً للمصدر الأول، فكل ما ينطق به ﷺ وحي من عند الله تعالى من حيث المعنى، ويمتاز بالفصاحة والبلاغة والبيان العربي الرفيع، ولتشكل هذه الأحاديث مع سيرته العملية ترجمة عملية للقرآن الكريم، وتعطي صورة المجتمع الإسلامي الكامل، والمثل الأعلى في مجال العقيدة والإيمان، وفي الأخلاق والسلوك، وفي جميع المجالات في الحياة الزوجية، والاجتماعية،

(١) سورة الأعلى: الآية (٦).

والعاطفية، والروحية، والسياسية، والعسكرية، والعلاقات الدولية.

وكان صحابة النبـي الكريم رضوان الله عليهم يحفظون ما يقوله نبيهم ﷺ في شتى المناسبات والأحوال، ويفرقون بين ما يقوله عليه السلام، وبين آيات القرآن الكريم، ولا يخلطون بينهما، ولم يكونوا جميعاً على مستوى واحد في حفظ ما جاء عن النبـي ﷺ، فكان منهم المكثر في روايته، وفيهم المقل الذي كان يروي الحديث الواحد أو الحديثين، ومنهم الذي لازمه ﷺ ملازمة طويلة. ومنهم الذي صحبه لفترات قليلة، ومنهم الذي أخذ منه مشافهة، وفيهم من أخذ عنه وعن أصحابه رضوان الله عليهم.

ونتيجة لهذا كله اختلف الصحابة في مقدار تبليغهم لما جاء عنه ﷺ، فمنهم الذي حفظ الآلآف الكثيرة من أحاديثه ﷺ كأبـي هريرة رضي الله عنه، وعبد الله بن عمر، وانس بن مالك وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم جميعاً، ومنهم من خفظ المئات كعبد الله بن مسعود وعمر بن الخطاب وعلي بن أبـي طالب، وحذيفة بن اليمان رضوان الله عليهم، ومنهم من لم يبلغ عن رسول الله إلا الحديث الواحد كعبد الرحمن بن عائش الحضرمي، وجندب بن عبد الله، وطارق بن شهاب وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً.

ولقد كان حذيفة رضي الله عنه من أولئك الذين أكثروا من الرواية عنه ﷺ، من خلال اتباعه وسائل مختلفة، وأساليب متعددة، تدل على ما يتمتع به من ذكاء خارق، وذهن سيال:

ومن هذه الوسائل:

(أ) وسائل تلقيه العلم عن النبي ﷺ:

١ ـ سؤال النبي ﷺ:

● عن أبي الطفيل قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول:

(يا أيها الناس ألا تسألوني، فإن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، إن الله بعث نبيه ﷺ، فدعا الناس من الكفر إلى الإيمان، ومن الضلالة إلى الهدى، فاستجاب من استجاب فحيِيَ بالحق من كان ميتاً، ومات بالباطل ما كان حياً، ثم ذهبت النبوة فكانت الخلافة على منهاج النبوة)[١].

● وعن عبد الله بن يزيد الخُطمي، عن حذيفة قال:

(أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيء إلا قد سألته، إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة)[٢].

● عن عبد الله بن الصامت، عن حذيفة رضي الله عنه قال:

قُلتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، هل بَعْدَ هذا الخَيْرِ الذي نَحْنُ فيهِ مِنْ شَرٍّ نَحْذَرُهُ؟

قال: «يَا حُذَيْفَة، عليكَ بِكتَابِ اللَّهِ فَتَعَلَّمْهُ، وَاتَّبِعْ ما فيه خيراً لكَ»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٤٠٤)، إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة باب أخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة برقم: (٢٨٩١)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٦)، والطيالسي: ص (٥٨).

(٣) أخرجه أبو داود برقم: (٤٢٤٦) مطولاً، وأحمد في المسند (٥/ ٤٠٦)، =

٢ ـ **تحديث النبي في مشهد من الصحابة معهم حذيفة:**

كان حذيفة رضي الله عنه يحضر في مشهد من الصحابة عند رسول الله ﷺ، فيحدثهم النبي صلوات الله عليه فيسمع حذيفة ويعي ما يسمع، ويودعه قلبه فيحفظه عن النبي ﷺ.

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(قامَ فينا رسولُ اللَّهِ ﷺ مقاماً، ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حَدَّث به، حَفِظه مَنْ حفظه، ونَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قد عَلِمَهُ أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيءُ قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرَّجلُ وجه الرَّجُل إذا غاب عنه، ثم إذا أُراه عرفه)[١].

● وعن ربعي بن حراش، عن حذيفة رضي الله عنه قال:

كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال:

«إني لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر»[٢].

= والحاكم: (٤/ ٤٣٢)، وابن حبان برقم: (١١٧)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وإسناده صحيح.

(١) أخرجه البخاري في القدر باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً برقم: (٦٦٠٤) ومسلم في الفتن وأشراط الساعة باب أخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة برقم: (٢٨٩١)، وأبو داود برقم: (٤٢٤٠)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٥، ٣٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب برقم: (٣٦٨٣)، وابن ماجه في المقدمة برقم: (٩٧)، والحميدي برقم: (٤٤٩)، وابن أبي شيبة في المصنف: (١٤/ ١١)، والحديث صحيح.

٣ ـ إذا سأل سائل يعي ذلك وينقله:

● عن أبي إدريس عائذ الله بن عبد الله الخَولاَنيّ قال: سمعت حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما يقول:

(والله إني لأعلمُ الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما ذاك أن يكون رسول الله ﷺ حدثني من ذلك شيئاً أسره إليَّ لم يكن حدثَ به غيري.

ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه سُئِلَ عن الفتن، وهو يعد الفتن:

«فيهن ثلاث لا يذرنَّ شيئاً، منهن كرياح الصيف، منها صغار، ومنها كبار».

قال حذيفة: (فذهب أولئك الرَّهطُ كُلُهم غيري)[١].

٤ ـ النبي يحدث حذيفة ويعلمه:

● عن مسلم بن نُذَيْرٍ، عن حذيفة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بعضلةِ ساقي، فقال:

«ها هنا مَوْضِـعُ الإزارِ، فإن أَبَيْتَ، فهاهنا، ولا حَقَّ للإزارِ في الكعبين»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة: باب أخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة برقم: (٢٨٩١)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٨، ٤٠٧)، والحاكم في المستدرك: (٢/ ٤٧١).

(٢) أخرجه الترمذي في اللباس برقم: (١٧٨٣)، والنسائي في الزينة: (٨/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧)، وابن ماجه برقم: (٣٥٧٢)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٢، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠٠ ـ ٤٠١)، والحديث إسناده قوي.

٥ ـ صحبة طويلة، وملازمة في أكثر الأوقات:

حض والدته له على ملازمة النبـي ﷺ:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

سألتني أُمي: منذُ متى عهدكَ بالنبـي ﷺ؟

قال: فقلت لها: منذ كذا وكذا؟

قال: فنالت مني وسبتني، قال: فقلت لها: دعيني فإني آتي النبـي ﷺ، فأُصلي معه المغرب، ثم لا أَدعه حتى يستغفر لي ولك؟

قال: فأتيت النبـي ﷺ فصليتُ معه المغرب، فصلى النبـي ﷺ حتى العشاء، ثم انفتل، فتبعته، فعرض له عارض فناجاه، ثم ذهب فاتبعته، فسمع صوتي، فقال: «من هذا؟»

فقلت: حذيفة، قال: «ما لكَ؟». فحدثته بالأمر.

فقال: «غفر الله لكَ ولأُمكَ». ثم قال: «أما رأيت العارض الذي عرض لي قبيل» قال: قلت: بلى.

قال: «فهو مَلكٌ من الملائكة لم يهبط الأرض قبل هذه الليلة، فاستأذن ربه ـ عز وجل ـ أن يُسلم عليَّ، ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة رضي الله عنهم»[١].

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٣٧٨١)، والنسائي في فضائل الصحابة برقم: ١٩٣، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٩١، ٣٩٢) والحاكم: (٣/ ٣٨١)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي والحديث إسناده صحيح.

مصاحبته حتى عند الحاجات الضرورية:

● عن أبـي وائل، قال: كان أبو موسى يُشدِّدُ في البَوْلِ، ويقول: (إنَّ بني إسرائيلَ كان إذا أصابَ جِلْدَ أَحَدِهِمْ بَوْلٌ قَرَضَهُ بالمقراضِ. فقالَ حُذيفةُ: لوددتُ أَنَّ صاحبكم لا يُشدِّدُ هذا التشديدَ، لقد رأيتني أنا ورسول الله ﷺ، نَتَماشى، فأتى سُباطَةَ قومٍ خلفَ حائِط، فقام كما يقوم أَحَدُكُمْ، فبال، قالَ: فاستَتَرتُ مِنهُ، فأشار إليَّ، فجئتُ، فقُمْتُ عِنْدَ عقبه حتى فرغ)[1].

٦ ـ نقله لأمثلة رائعة من حديث النبـي:

كان رسول الله ﷺ يضرب الأمثال ليوصل ما يريد من أفكار إلى أذهان صحابته الكرام، ومن تلك الأمثال التي ضربها ما ينقله لنا حذيفة رضي الله عنه وهو يحدث أصحابه:

● عن ربعي بن خراش قال:

سمعتُ حُذيفةَ يقول: ضرب لنا رسول الله ﷺ أمثالاً، واحداً، وثلاثة، وخمسة، وسبعة، وتسعة، وأحد عشر.

قال: فضرب لنا رسول الله ﷺ منها مثلاً، وترك سائرها، قال:

«إن قوماً كانوا أهل ضعف ومسكنة، قاتلهم أهل تجبر وعدد، فأظهر الله أهل الضعف عليهم، فعمدوا إلى عدوهم فاستعملوهم

---

(١) أخرجه البخاري في الوضوء برقم: (٢٢٥)، ومسلم في الطهارة برقم: (٢٧٣)، والبيهقي في السنن: (١/١٠٠)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٢، ٤٠٢)، والنسـائـي: (١/٢٥)، والطيـالسـي: (١/ ٤٥)، وأبـو عـوانـة: (١/١٩٧)، وابن أبـي شيبة: (١/ ١٢٢).

وسلطوهم، فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه. . . »[1].

(ب) منهجه في الرواية:

تحريه في رواية الحديث:

وحين توفي رسول الله ﷺ، توزع الصحابة الكرام على مختلف الولايات والأقطار المفتوحة، يعلمون أهلها تعاليم الإسلام، ويبينون لهم الحلال والحرام، وكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما من أولئك الذين توجهوا إلى العراق وبلاد فارس، فشارك في فتوحاتها جندياً مجاهداً، وقائداً فاتحاً، ولم ينس طيلة مدة إقامته من بداية الفتوحات أيام القادسية عام سبعة عشر للهجرة، حتى توفاه الله في بداية خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. أن يقوم بواجبه التعليمي، بنشر العلم وبثه بين أهلها، ففاض منه علم غزير يدل على عميق فهمه، وبعد نظره. وكان من بين ذلك العلم الذي بَلَّغَه أحاديث المصطفى ﷺ التي حفظها ووعاها، وكان يرفض كل الرفض ويأبى كل الأباء أن يتجاوزها أو يخالفها، بل وكان يتحرى الدقة والصدق في كل ما كان ينقله عن النبي ﷺ. ومن مظاهر تحريه ودقته، وتمسكه بالسنة وعدم تجاوزها، وتحرجه من الإكثار من الحديث عن النبي ﷺ.

صدقه في حديثه عن النبي ﷺ:

- عن ربعي بن خراش قال:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/٤٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٥/٢٣٢) رواه أحمد وفيه الأجلح الكندي وهو ثقة وقد ضعف وبقية رجاله ثقات» قلت: وهو حسن الحديث إن شاء الله.

حدثني من لم يكذبني يعني حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: لقي النبي ﷺ جبريل عليه السلام وهو عند أحجار المراء، فقال:

(إن أُمتك يقرؤون القرآن على سبعة أحرف، فمن قرأ منهم على حرف فليقرأ كما علم ولا يرجع عنه)[1].

قوله عن نفسه فيما حفظه عن رسول الله:

● **عن** ربعي بن خراش قال:

(سمعت رجلاً في جنازة حذيفة ـ رضي الله عنه ـ يقول: سمعت صاحب هذا السرير يقول: ما بي بأس مما سمعت من رسول الله ﷺ، ولئن اقتتلتم لأدخلن بيتي، فلئن دُخل عليَّ لأقولن هابُؤ بإثمي وإثمك)[2].

حفظه الأحاديث ودليلها من القرآن:

إن النبي ﷺ كان يحدث مفسراً لآيات القرآن الكريم، وموضحاً لأحكام الكتاب العزيز ولذلك كان يستشهد بالآية المراد تفسيرها في طيات حديثه صلوات الله عليه، ولقد حرص حذيفة رضي الله عنه بدقته

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٣٨٥/٥، ٤٠١)، والطبراني في الكبير: (٣٠١٨)، والبزار برقم: (٢٣١٠) وقال ابن كثير في التفسير: (١٨/٤): إسناده صحيح ولم يخرجوه، قلت والحديث حسن الإسناد فقط وله شواهد ومتابعات.

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٣٨٩/٥، ٣٩٣). والطيالسي: ص (٥٦)، والحاكم في المستدرك (٤٤٥/٤)، وقال الهيثمي في المجمع: (٣٠١/٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير الرجل المبهم، وصححه الحاكم وسكت عليه الذهبي.

المعروفة، أن ينقل الأحاديث عن النبي ﷺ بألفاظها، ولذلك كان يورد الآية مستشهداً بها كما أوردها رسول الله ﷺ:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(أُتيَ اللَّهُ تعالى، بعبدٍ من عبادِهِ آتاه الله مالاً، فقال له: (ماذا عملت في الدنيا؟).

قال: ـ ولا يكتمون الله حديثاً ـ قال:

يا رب آتيتني مَالَكَ، فكُنتُ أُبايع الناسَ، وكان من خُلُقي الجَوَازَ، فكُنتُ أُيسِّرُ على الموسِر، وأُنظِرُ المُعْسِرَ. فقال الله تعالى: أنا أحق بذا منك تجاوزوا عن عبدي) فقال عقبة بن عامر، وأبو مسعود الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ هكذا سمعناه من رسول الله ﷺ[1].

وهذه شهادة من عقبة بن عامر، وأبي مسعود الأنصاري لحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما بدقة حفظه حيث قالا: هكذا سمعناه من رسول الله ﷺ.

● عن عبيد الله بن إياد بن لغيط قال: سمعت أبي يذكر عن حذيفة قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة؟

فقال: «﴿... عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ...﴾[2]. ولكن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (١٥٦٠)، والحاكم: (٣٠٦/٢) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٨٧).

أخبركم بمشاريطها ، وما يكون بين يديها ، إن بين يديها فتنة وهرجاً».

قالوا: يا رسول الله الفتنة قد عرفناها فالهرج ما هو؟

قال: «بلسان الحبشة القتل، ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحد أن يعرف أحد. . .»[1].

حبه للتعليم وحرصه على تبليغ ما سمع بدقة:

كان حذيفة رضي الله عنه حريصاً على تبليغ كل ما سمع من رسول الله ﷺ للمسلمين الذين فتحت بلادهم، ولذلك نراه ينتهز الفرص ليفعل هذا، بل ويستحث من حوله على أن يسألوه حتى يجيبهم، وهذا يدل على مدى محبته لتعليم الناس.

● عن أبي الطفيل قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول:

(يا أيها الناس ألا تسألوني، فإن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، إن الله بعث نبيه ﷺ، فدعا الناس من الكفر إلى الإيمان، ومن الضلالة إلى الهدى، فاستجاب من استجاب، فحييَ بالحق من كان ميتاً، ومات بالباطل ما كان حياً، ثم ذهبت النبوة فكانت الخلافة على منهاج النبوة)[2].

● عن هزيل ـ يعني بن شرحبيل الأودي ـ قال:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٣٨٩/٥)، وعزاه في كنز العمال: (٢٣٨/١٤)، لأحمد وسعيد بن منصور، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٣٠٩/٧)، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. قلت: والحديث إسناده حسن. .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٤٠٤/٥)، وإسناده صحيح رجاله ثقات.

(قام حذيفة خطيباً في دار عامر بن حنظلة، فيها التميمي والمضري فقال:

ليأتين على مضر يوماً لا يدعون لله عبداً يعبده إلا قتلوه، أو ليضربن ضرباً لا يمنعون ذنب تلعة أو أسفل تلعة).

فقيل: يا أبا عبد الله تقول هذا لقومك، أو لقوم أنت ـ يعني ـ منهم: قال: لا أقول يعني إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول)[1].

(جـ) مكانته في الحديث بين الصحابة:

كان حذيفة ـ رضي الله عنه ـ يتمتع بمكانة عالية بين الصحابة في نقل الحديث وتبليغه إلى المسلمين، وإن كان ما نقل إلينا من مروياته أقل مما يتوقعه طالب العلم مقارنة مع طول صحبته للنبي ﷺ، وشدة ملازمته له، هذا إذا قورنت مروياته مع مرويات الصحابة المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ، لأن ذلك يعود إلى أسباب عدة منها:

(أ) تقدم وفاته رضي الله عنه حيث توفي في أوائل خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بينما امتد العمر بأولئك الصحابة المكثرين رضي الله عنهم حتى أكثروا من الرواية عن النبي ﷺ، ولو امتد به العمر لبلغ الكثير مما سأل عنه النبي ﷺ من مسائل متنوعة كان

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٩٠، ٣٩٥، ٤٠٤)، وابن أبي شيبة في المصنف: (١٥/ ١١١)، والحاكم: (٤/ ٤٧٠)، والبزار برقم: (٣٣٦١)، والطيالسي برقم: (٤٢٠)، وقال الهيثمي في المجمع: (٧/ ٣١٣)، وزاد نسبته للطبراني في الأوسط، أحد أسانيد أحمد وأحد أسانيد البزار، رجاله رجال الصحيح، قلت: والحديث صحيح.

حريصاً على السؤال عنها وتعلمها من النبي ﷺ.

(ب) انشغاله في معظم فترات حياته في زمن الخلفاء الراشدين الذين عاصرهم بالجهاد والفتوحات جندياً في جيش الإسلام، وقائداً فاتحاً عظيماً، مما أدى إلى طغيان هذا الجانب على حياته، رغم أنه حاول أن يوصل رسالته التعليمية، إلا أن الوقت لم يسعفه، فأوصل إلينا ثروة حديثية ليست بالهينة، وخاصة ما أوصله وبلغه للأمة الإسلامية من أحاديث الفتن.

(جـ) تحريه وتثبته في الرواية، جعلته يتحرج من الإكثار من التحديث عن رسول الله ﷺ، فإذا وجد أحداً من الصحابة يكفيه ما يُسأل عنه سكت وحول السؤال إليه، وإلا اضطر للإجابة على ذلك إن كان عنده العلم حول ما يسأل عنه.

كل هذه الأسباب جعلت ما نقل إلينا من مروياته عن النبي ﷺ قليلاً مقارنة مع طول صحبته وشدة ملازمته للنبي ﷺ، وسأورد مكانته بين الصحابة في الرواية عن النبي ﷺ كما ذكره ابن حزم في رسالته «أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد، ثم أشير بعد ذلك إلى عدم دقة ما ذكره ابن حزم رحمه الله:

(قال أبو محمد رحمه الله تعالى:

هذا بابٌ من ذِكرِ مَنْ روى عن النبي ﷺ من الصحابة، رضوان الله عليهم ، حديثاً فما فوقه ، مِمّن نُقِلَ الحديثُ عنهم، على مراتبهم في ذلك: أصحاب الألوف وما زاد منهم، ثم أصحاب الألفين وما زاد. . .) إلى أن قال:

(د) أصحاب المئتين وشيء:

أبو ذر الغفاري: مائتا حديث وواحد وثمانون حديثاً.

سعد بن أبـي وقاص: مائتا حديث وواحد وسبعون حديثاً.

أبو أمامة الباهلي: مائتا حديث وسبعون حديثاً.

حذيفة بن اليمان: مائتا حديث وخمسة وعشرون حديثاً)[١].

والحق أنَّ له من الروايات أكثر من هذا الرقم الذي ذكره ابن حزم رحمه الله، وقد تبين لي هذا أثناء البحث والاستقصاء حول مرويات حذيفة رضي الله عنه وقد يزيد ما رواه رضي الله عنه عن ثلاثمائة حديث، وإن لم أصل إلى الرقم بدقة بعد[٢].

فالأولى أن يرفع حذيفة رضي الله عنه إلى الدرجة الرابعة عند ابن حزم، وهي الدرجة أو المرتبة التي يروي أصحابها المئين وشيء. وهي المرتبة التي يروي أصحابها أكثر من ثلاثمائة حديث ولم تصل أحاديثهم إلى ألف حديث.

وفيما يلي أورد هذا الجدول لمرويات حذيفة رضي الله عنه في أهم المصنفات الحديثية كما قمت بإحصائه، مقارنة مع إحصائيات العلماء السابقين رحمهم الله.

---

(١) جوامع السير لابن حزم: ص (٢٧٥ ـ ٢٧٧).

(٢) لئن أعانني الله تعالى لأجمعن مرويات حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرتبة على الكتب الفقهية وذلك من خلال المصنفات الحديثية فالله الموفق.

اسم المصنف	رقمي	الذهبي	المزي	ابن الأثير
المتفق عليه (خ م)	١٢	١٢	١٢	١٣
انفرد به البخاري	١٣	٨	١٣	
انفرد به مسلم	٢٢	١٧	١٨	١٠
أبو داود	٢٩			
الترمذي	٢٢			
النسائي	٤٠			
ابن ماجه	٣١			
أحمد في المسند	٢٢٣			
ابن حبان في الإحسان	٥٧			
الحاكم في المستدرك	٨٤			

عمن روى حذيفة رضي الله عنه:

● (روى حذيفة رضي الله عنه عن النبـي ﷺ في معظم رواياته، وعن أبـي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب)[1].

من روى عن حذيفة من الصحابة:

● روى عن حذيفة رضي الله عنه من أصحاب رسول الله ﷺ جماعة هم:

(١) تهذيب الكمال: (٥/٤٩٧)، تهذيب التهذيب: (٢/٢٢٠)، الحاكم في المستدرك: (٤/٥١٩).

١ ـ عمر بن الخطاب.

٢ ـ علي بن أبـي طالب.

٣ ـ عمار بن ياسر.

٤ ـ أنس بن مالك.

٥ ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب.

٦ ـ جابر بن عبد الله الأنصاري.

٧ ـ عقبة بن عمرو أبو مسعود الأنصاري.

٨ ـ أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي.

٩ ـ عبد الله بن يزيد الخطمي.

١٠ ـ الطفيل بن عبد الله بن سخبرة.

١١ ـ ثعلبة بن زهدم اليربوعي.

١٢ ـ قبيصة بن ذؤيب الخزاعي.

١٣ ـ جندب بن عبد الله البجلي.

١٤ ـ سعيد بن العاص الأموي.

١٥ ـ طارق بن شهاب.

١٦ ـ عمرو بن صليع المحاربـي...)[(١)].

من روى عنه من التابعين:

● وأما من روى عنه من التابعين فجماعة كثيرة أذكر قائمة بأسمائهم، ومقابل كل اسم درجته في التوثيق والتضعيف:

---

(١) تهذيب الكمال: (٥/٤٩٧ ـ ٥٠٠)، تهذيب التهذيب: (٢/٢٢٠)، تهذيب الأسماء واللغات: (١/١٥٤)، الحاكم: (٤/٥٢٨).

الرقم	الاسم	درجته التوثيقية
١ ـ	علقمة بن قيس النخعي	ثقة ثبت
٢ ـ	عمرو بن أبـي قرة الكندي	ثقة مخضرم
٣ ـ	عبد الرحمن بن قرط	مجهول
٤ ـ	صلة بن زفر العبسي	ثقة جليل
٥ ـ	شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي	ثقة مخضرم
٦ ـ	مسلم بن نذير الكوفي	مقبول
٧ ـ	ربعي بن خراش العبسي	ثقة
٨ ـ	همام بن الحارث النخعي	ثقة عابد
٩ ـ	سلمة بن الهيثم بن صهيب الهمذاني	ثقة
١٠ ـ	زيد بن وهب الجهني	ثقة جليل
١١ ـ	شتير بن شكل العبسي	ثقة
١٢ ـ	سليك بن مسحل الغطفاني	ثقة
١٣ ـ	أبو مجلز لاحق بن حميد السدوسي	ثقة ثبت
١٤ ـ	بلال بن يحيـى العبسي	صدوق
١٥ ـ	عبد الرحمن بن أبـي ليلى الأنصاري	ثقة
١٦ ـ	هلال مولى ربعي بن خراش	مقبول
١٧ ـ	أبو الرقاد العبسي	مقبول
١٨ ـ	سبيع بن خالد اليشكري	مقبول
١٩ ـ	زر بن حبيش الأسدي	مخضرم كثير الحديث

الرقم	الاسم	درجته التوثيقية
٢٠ ـ	علي بن يزيد الألهاني	ضعيف
٢١ ـ	أبو عبيدة بن حذيفة بن اليمان	مقبول
٢٢ ـ	عائذ الله بن عبدالله أبو إدريس الخولاني	تابعي ثقة فقيه
٢٣ ـ	مولى شرحبيل بن حسنة	لم أجد له ترجمة
٢٤ ـ	عبد الله بن غالب	ثقة
٢٥ ـ	عبد العزيز أخو حذيفة ويقال ابن أخيه	وثقه ابن حبان
٢٦ ـ	ابن عم لحذيفة	لم أجد له ترجمة
٢٧ ـ	عبد الله بن عبد الرحمن الأشهلي	مقبول
٢٨ ـ	أياد بن لغيط السدوسي	ثقة
٢٩ ـ	واصل بن حبان الأحدب	ثقة ثبت
٣٠ ـ	يزيد بن شريك التيمي	ثقة أدرك الجاهلية
٣١ ـ	أبو بردة بن أبـي موسى الأشعري	ثقة
٣٢ ـ	قيس بن أبـي حازم البجلي	ثقة مخضرم
٣٣ ـ	مرة الطيب بن شراحيل الهمذاني	ثقة عابد
٣٤ ـ	سلمة بن صهيب أبو حذيفة الأرجي	ثقة
٣٥ ـ	ممطور أبو سلام الأسود الحبشي	ثقة يرسل
٣٦ ـ	أبو عائشة الأموي مولى عمرو بن سعيد	مقبول
٣٧ ـ	عبد الله بن فيروز الديلمي	ثقة من كبار التابعين
٣٨ ـ	عبد الله بن عكيم الجهني	مخضرم من الثانية
٣٩ ـ	الأسود بن يزيد النخعي	ثقة مكثر فقيه

الرقم	الاسم	درجته التوثيقية
٤٠	حصين بن جندب الجنبي	ثقة
٤١	خالد بن الربيع العبسي	مقبول
٤٢	عبد الرحمن بن ملّ أبو عثمان النهدي	ثقة ثبت عابد
٤٣	السفر بن بشير الأزدي	ضعيف
٤٤	عامر بن شراحيل الشعبي	ثقة فقيه مشهور
٤٥	محمد بن كعب القرظي	ثقة
٤٦	سعيد بن المسيب القرشي	ثقة
٤٧	نهيك بن عبد الله السلولي	ثقة
٤٨	عبد الله بن يسار الجهني	ثقة
٤٩	أبو ثور الحدائي	مقبول
٥٠	عمرو بن حنظلة	مجهول
٥١	عبد الرحمن بن يزيد النخعي	ثقة جليل
٥٢	معاذ بن عمرو الشيباني	ثقة
٥٣	مخمل بن دماث	مجهول
٥٤	عبيد بن المغيرة أبو المغيرة البجلي	مجهول
٥٥	سعيد بن فيروز أبو البختري الطائي	ثقة ثبت
٥٦	نصر بن عاصم الليثي	ثقة
٥٧	طلحة بن يزيد الأنصاري	وثقه النسائي
٥٨	عاصم بن بهدلة	صدوق له أوهام
٥٩	أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي	ثقة فاضل كثير الإرسال

الرقم	الاسم	درجته التوثيقية
٦٠	العيزار بن حريث العبدي	ثقة
٦١	محمد بن سيرين الأنصاري	ثقة ثبت
٦٢	هزيل بن شرحيل الأودي	ثقة مخضرم
٦٣	المغيرة بن حذف	ثقة
٦٤	زاذان أبو عمر الكندي	صدوق يرسل
٦٥	سليم بن أسود المحاربي	ثقة باتفاق
٦٦	ضبيعة بن حصين الثعلبي	مقبول
٦٧	عبد الله بن الصامت الغفاري	ثقة
٦٨	النزال بن سبرة الهلالي	ثقة
٦٩	أبو الأزهر المصري	مقبول
٧٠	سماك بن حذيفة بن اليمان	لم أجد له ترجمة[١]

وأما من روى عنه من أبنائه فهم:

- (أبو عبيدة بن حذيفة بن اليمان.
- سماك بن حذيفة بن اليمان)[٢].

---

(١) تهذيب الكمال: (٥/ ٤٩٧ ـ ٤٩٩)، تهذيب التهذيب: (٢/ ٢٢٠)، تهذيب الأسماء واللغات: (١/ ١٥٤)، سير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٦١)، مسند أحمد: (٥/ ٣٨٢ ـ ٤٠٨)، مختصر زوائد البزار برقم: (١٦، ١٧).

(٢) تهذيب الكمال: (٥/ ٤٩٩)، مسند أحمد: (٥/ ٣٨٧)، مختصر زوائد البزار برقم: (١٦، ١٧).

نماذج من مروياته:

شملت مرويات حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما جوانب الإسلام وتشريعاته، فقد تحدثت عن شتى جوانبه، وأحاطت بأصوله وكلياته، من صلاة، وصيام، وزكاة، وفرائض، وعلامات الساعة، وآداب اللباس والزينة، وآداب الأطعمة والأشربة، وترقيق للقلوب، وآداب عامة، وجهاد، وأحكام الإمارة، وغيرها كثير من جوانب التشريع الإسلامي، وقد اخترت نماذج من هذه المرويات:

١ ـ الترهيب من تعلم العلم للمباهاة:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لا تَعَلَّمُوا العِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ العُلَمَاء، أو لِتُمارُوا به السُّفَهاء، أَو لتَصْرِفُوا وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلكَ، فَهُوَ في النَّارِ»[1].

٢ ـ فضل الأمة الإسلامية:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ: جُعِلَتِ الأَرضُ كُلُّهَا مَسْجِداً، وَجُعِلَ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُوراً، وَجُعِلَتْ صفوفنا كَصُفُوفِ الملائِكَةِ، وأُوتيتُ هَؤُلاءِ الآياتِ مِنْ آخِرِ سُورةِ البَقَرةِ مِنْ كنزٍ تحتَ العَرشِ لَمْ يُعْطَهُ أَحدٌ قبلي، ولا يُعْطَى أَحدٌ بعدي»[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب الانتفاع بالعلم والعمل به برقم: (٢٥٩)، والحديث حسن لغيره.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف: (٣/ ٢٧)، وأبو عوانة: (١/ ٣٠٣)، والبيهقي: (١/ ٢١٣)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٣)، =

٣ ـ في فضل الصدقة:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال نبيكم ﷺ:

«كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»[(١)].

٤ ـ الترهيب من إطالة الإزار:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(أَخذَ رسولُ الله ﷺ بعضلة ساقي، فقال: «هاهُنا مَوْضِعُ الإزارِ، فإنْ أَبَيْتَ، فهاهُنا، ولا حق للإزارِ في الكَعْبَيْن»)[(٢)].

٥ ـ من آداب النوم:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

كَانَ النبـيُّ ﷺ إذا أَوى إلى فِرَاشِهِ قالَ:

«اللَّهُمَّ باسمِكَ أَمُوتُ وأَحيا».

وإذا اسْتَيْقَظَ، قالَ:

= والطيالسي برقم: (٤١٨) وإسناده صحيح، وقد أخرجه مختصراً: مسلم برقم: (٥٢٢)، والبيهقي: (١/ ٢١٣).

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠٠٥)، والبخاري في الأدب المفرد: (٢٣٣)، وأبو داود برقم: (٤٩٤٧)، ابن أبي شيبة: (٨/ ٥٤٨)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٣، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٨٢، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٠)، وابن ماجه برقم: (٣٥٧٢)، والترمذي (١٧٨٣) والنسائي: (٨/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧)، وإسناده حسن.

«الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَما أَماتَنَا وإِلَيْهِالنُّشُورُ»[1].

٦ ـ في النهي عن النميمة:

● عن هَمَّام بنِ الحارثِ قال:

كَانَ رَجُلٌ يَنْقُلُ الحَديثَ إِلى السُّلطانِ، فكُنا جلوساً مَعَ حُذيفةَ، فمرَّ ذلكَ الرَّجُلُ، قيلَ: هُوَ هذا، فقالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ»[2].

٧ ـ أسماء النبـي ﷺ:

● عن حُذَيْفَةَ بن اليمان رضي الله عنهما قالَ:

سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول في سِكَّةٍ مِنْ سِكَكِ المَدينةِ:

«أَنا محمَّدٌ وأَحمدُ والحاشِرُ والمُقَفَّى ونبـيُّ الرَّحْمَةِ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٣١٢)، وأبو داود برقم: (٥٠٤٩)، وابن ماجه برقم: (٣٨٨٠)، والترمذي: (٧/ ٣٤)، وابن أبـي شيبة: (١٠/٢٤٧)، وأحمد في المسند: (٥/٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٥٦)، مسلم برقم: (١٠٥)، أبو داود برقم: (٤٨٧١)، والترمذي برقم: (٢٠٦٦)، والبيهقي: (١٠/٢٤٧)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٢، ٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤٠٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٤٠٥)، والترمذي في الشمائل برقم: (٣٦٠)، وابن أبـي شيبة: (١١/٤٥٧)، والبزار برقم: (٢٣٧٩)، والآجري في الشريعة: ص (٤٦٢)، وقال الهيثمي في المجمع: (٨/ ٢٨٤): رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه سوء حفظ. قلت: وإسناده حسن.

٨ ـ **صفة الحوض يوم القيامة:**

● عن حذيفة رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ:

«إنَّ حَوْضِي لأَبْعَدُ مِنْ أَيلةَ إلى عَدَنٍ، والذي نفسي بيده، لآنيتُهُ أكثرُ مِنْ عددِ النجومِ، ولَهُوَ أَشدُّ بياضاً من اللَّبن، وأَحلى من العَسَل، والذي نَفْسي بيدِه إني لأذودُ عنهُ الرِّجَالَ كما يَذُودُ الرَّجُلُ الإبلَ الغريبةَ عَنْ حَوْضِهِ».

فقيلَ: يا رسولَ اللَّهِ، وتَعْرِفُنا؟.

قال: «نَعم تَرِدُونَ عليَّ غُراً مُحجَّلينَ مِنْ آثارِ الوضوءِ لَيْسَ لأَحَدٍ غَيرِكُمْ»[1].

٩ ـ **شفاعة إبراهيم للمسلمين:**

● عن حُذيفةَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«يقول إبراهيمُ ﷺ يومَ القيامةِ: يا رَبَّاهُ، فيقول الرَّبُّ جَلَّ وعلا: يا لَبّيْكاهُ، فيقول إبراهيمُ: يا ربِّ، حَرَّقْتَ بَنِيَّ، فيقولُ: أخرجوا من النارِ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ ذَرَّةً أو شَعيرةً مِنْ إيمانٍ»[2].

١٠ ـ **إقبال الله عز وجل على العبد في صلاته:**

● عن أبي وائل:

أَنَّ شبث بن ربعي صلى إلى جنب حذيفة ـ رضي الله عنه ـ فبزق

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٤٨)، وابن ماجه برقم: (٤٣٠٢)، وابن حبان برقم: (٧٢٤١).

(٢) أخرجه ابن حبان برقم: (٧٣٧٩)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

بين يديه، فقال حذيفة أن رسول الله ﷺ نهانا عن ذلكَ قال:

«إنَّ الرجلَ إذا دَخلَ في صلاتِه أَقبلَ اللَّهُ بوجهه، فلا ينصرفَ عنهُ حتى يَنْصرفَ عنهُ، أَو يحدثَ حدثاً»[1].

١١ ـ الرؤيا الصالحة من مبشرات النبوة:

● عن حُذيفةَ، عن النبـي ﷺ قال:

«لم يَبْقَ من مُبشراتِ النبوةِ إلاَّ الرُّؤيا الصالحةُ يَرَاهَا المسلمُ أَو تُرى لَهُ»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٣٨٢٤)، والبيهقي في السنن: (٣/٧٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢/٣٦٥)، وابن خزيمة في صحيحه برقم: (٩٢٥، ١٣١٤، ١٦٦٣)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير: (٣/١٧٩)، برقم: (٣٠٥)، والبزار في كشف الأستار برقم: (٢١٢١)، وقال الهيثمي في المجمع: (٧/١٧٣) رواه الطبراني والبزار ورجال الطبراني ثقات.



الفَصْل السَّادِس

حذيفة بن اليمان
فقيهاً

الفقه أحد العلوم الشرعية الأساسية، ومن أكثر العلوم شهرة واتساعاً، وصلة بجميع الناس، وتطبيقاً عملياً في الحياة.

والفقه يمثل شريعة السماء للأرض والإنسان، وهو المنهج الإلهي في سيرة الحياة، وهو الأحكام العملية التي تغطي تصرفات الإنسان، لذلك اتسعت دائرته، وأصبح أوسع تراث حضاري وتشريعي في العالم أجمع.

ولقد عرّف الإمام الشافعي الفقه فقال:

(هو العلم بالأحكام الشرعية العملية، المكتسب من أدلتها التفصيلية) ولذلك فإن الفقه الإسلامي يشمل جميع نواحي الحياة، ويبين الحكم لكل ما يحتاجه الفرد والمجتمع، وينظم علاقة الفرد بربه، وعلاقة الإنسان بمجتمعه، وعلاقته بنفسه، ويسعى لتحقيق صلاح الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة.

ولقد اجتمع لحذيفة رضي الله عنه من الوسائل لتحصيل هذا العلم والبروز فيه ما لم يجتمع لغيره من أصحاب رسول الله ﷺ ومن ذلك:

- صحبته الطويلة وملازمته اللصيقة لرسول الله ﷺ مما أكسبه معرفة واسعة، وثروة وافرة، في شتى القضايا والعلوم.

- ذكاء خارق وفطنة، جعلته ينقب عن أخطر القضايا وأكثرها مساساً بحياة الأمة، فسأل عنها وأخذ الجواب واضحاً وجلياً من الحبيب ﷺ.

- اتباع وتأسي بالحبيب ﷺ جعلته يلتزم سنته في المسائل التي يُسأل عنها، ولا يخرج عن ذلك إلى رأي أحد من الناس، حتى ولو كان رأيه الشخصي.

- حفظ لكتاب الله عز وجل حيث كان من كتاب الوحي الذين كان رسول الله ﷺ يعتمد عليهم في كتابة القرآن.

- قدرة فذة على الربط بين محفوظه من الكتاب العظيم، ومن أحاديث رسول الله ﷺ وبين واقع الحياة وما يحتاجه الناس من أمور تمس حياتهم العملية.

وسأورد فيما يلي أهم الجوانب التي تبرز شخصية حذيفة رضي الله عنه وكونه من أصحاب الفتيا في عصرهم، وممن كانوا يعتد برأيهم في هذا الباب.

(١) حذيفة من أصحاب الفتيا:

إن أول من قام بمنصب الفتيا رسول الله ﷺ، فكانت فتاويه ﷺ

جوامع الأحكام، ومشتملة على فصل الخطاب، فلما قبض رسول الله ﷺ، قام صحابته رضوان الله عليهم بهذه المهمة من بعده، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

(ثم قام بالفتوى بعده بركُ الإسلام[1] وعصابة الإيمان، وعسكر القرآن، وجند الرحمن، أولئك أصحابه ﷺ، ألين الأُمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأحسنها بياناً، وأصدقها إيماناً، وأعمها نصيحة، وأقربها إلى الله وسيلة، وكانوا بين مكثر منها ومُقِل ومتوسط، إلى أن قال:

المقلون من الفتيا: والباقون منهم مقلون في الفتيا، لا يروى عن الواحد منهم إلا المسألة والمسألتان، والزيادة اليسيرة على ذلك. يمكن أن يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير فقط بعد التقصي والبحث، وهم: أبو الدرداء، وأبو اليسر...) إلى أن قال: (وحبيب بن مسلمة، وعبد الله بن أنيس، وحذيفة بن اليمان)[2].

فقد اعتبر ابن القيم رحمه الله حذيفة رضي الله عنه من المقلين من أصحاب الفتيا من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو في ذلك متابع لما قال ابن حزم رحمه الله في «الإحكام»[3].

إلا أن ابن حزم رحمه الله خالف ما قاله في الأحكام وعد حذيفة رضي الله عنه من المتوسطين في الفتيا، وذلك في رسالته (أصحاب

---

(١) بركُ الإسلام: صدر كل شيء، والمراد أنهم المقدمون من المؤمنين، يقصد بهم الصحابة رضي الله عنهم.

(٢) أعلام الموقعين: (١/ ١١ ـ ١٣).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام: (١٧٦/٤).

الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا) فقال رحمه الله:

(باب في تسمية من روي عنهم من أصحاب رسول الله ﷺ على مراتبهم في كثرة الفتيا فقط، وفيمن بعدهم إلى زماننا على مراتبهم في كثرة الفتيا فقط، وكيف تيسر فيمن تقاربت فتياهم رضوان الله عليهم:

عائشة أم المؤمنين، عمر بن الخطاب، علي بن أبي طالب، ابن مسعود، ابن عمر، زيد بن ثابت، عبد الله بن عباس، عثمان بن عفان، سعد بن أبي وقاص، أبو بكر الصديق، أبو بكرة، جابر بن عبد الله، حذيفة بن اليمان. . .)[1].

وهذا القول من ابن حزم هو ما أميل إلى ترجيحه بعد البحث والاستقصاء حول ما صدر من حذيفة من فتاوى، وسنرى في موضع قادم أن حذيفة لم يكن ممن يروى عنه المسألة والزيادة اليسيرة على ذلك كما قال ابن القيم رحمه الله، متابعة منه لابن حزم رحمه الله في كتابه الإحكام في أصول الأحكام، ولعل ابن حزم رحمه الله عاد عن هذا القول بعد البحث والاستقصاء، رحمهم الله جميعاً.

(٢) من هم أصحاب الفتيا في رأي حذيفة:

ومما يوضح لنا السبب الرئيسي لقلة ممارسة حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما لمهمة الفتيا أنه كان يرى أن من يفتي هو واحد من ثلاثة، ولعله رضي الله عنه تواضعاً منه، كان يرى أنه ليس من هؤلاء الثلاثة:

---

(١) جوامع السيرة لابن حزم، الرسالة الثانية: ص (٣١٩).

● عن أيوب، عن أبن سيرين: سئل حذيفة عن شيء، فقال: إنما يفتي أحد ثلاثة:

(من عرف الناسخ والمنسوخ، أو رجلٌ وَلِيَ سلطاناً فلا يجد من ذلك بُدّاً، ومُتَكَلِفٌ)[1].

(٣) تحرجه في الفتيا واحتياطه فيها:

إن من أبرز صفات الذي يتصدر لإفتاء الناس، وحل مشاكلهم، والإجابة عن تساؤلاتهم، مراقبة الله عز وجل، والتريث في إصدار الفتيا، وعدم الإسراع في ذلك، مع البعد عن التنطع وإيقاع الناس في الحرج.

ومما يصور ورع حذيفة رضي الله عنه وتحرجه من الفتوى: ما جاء:

● عن علقمة قال:

(كنت جالساً عند حذيفة وأبي مسعود الأنصاري، فجاء رجل فجلس بين أيديهما، فسألهما عن فريضة، فجعل كل واحد منهما ينظر إلى صاحبه، ولم يردا عليه شيئاً.

فقال لهما الرجل: ألا تجيباني عما سألتكما عنه؟

فسكتا فلم يردا عليه شيئاً.

فقلت لهما: إن شئتما أنبأتكما ما كان عبد الله بن مسعود يقول فيها.

---

(١) تهذيب الكمال: (٥٠٨/٥)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم: (١٦٦/٢).

قالا: وإن فيكم من يحفظ قوله؟

قلت: نعم، كان عبد الله يقول كذا وكذا.

فقالا: لقد روينا أنها كذلك، ولكنا خشينا أن نكون قد نسينا)[1].

(٤) من معالم منهج حذيفة في الافتاء:

كان صحابة رسول الله ﷺ هم الفئة الذين اختارهم الله عز وجل ليشاهدوا تنزل الوحي، ويسمعوا من رسول الله ﷺ أقواله وأفعاله، ويأتمروا بأوامره مباشرة ويسترشدوا بتوجيهاته، ويقتدوا بتطبيقاته، فهم الذين عاشوا عصر النبوة، كما عاشوا الإسلام خالصاً نقياً.

لذا فإن أفعالهم وأقوالهم نماذج عملية تحتذى لإرادة تطبيق الإسلام النقي الصافي. ولقد استمد حذيفة رضي الله عنه معالم منهجه في الفتيا من طول ملازمته للرسول الأعظم ﷺ، ومن أبرز معالم هذا المنهج ما يلي:

(أ) اليسر ورفض التشدد في الفتيا:

تعلم أصحاب النبي ﷺ من نبيهم الكريم التيسير والبعد عن التشديد. فهو صلوات الله عليه كان دائماً يختار الأيسر من الأمور ما لم يكن إثماً، فإنه عند ذلك يكون من أبعد الناس عنه.

● عن عائشة رضي الله عنها قالت:

(ما خُير رسولُ اللَّهِ ﷺ بين أمرين إلا أَخَذَ أَيسَرَهُمَا ما لم يكن

(١) المعرفة والتاريخ: (٢/ ٥٥٤).

إثماً، فإن كان إثماً كان أَبعد الناسِ منه، وما انتقم رسولُ الله ﷺ لنفسِهِ، إلا أن تُنْتَهكَ حُرمةُ اللّهِ فيَنتَقِمَ لله بها)[1]

وها هو أحد الصحابة رضي الله عنهم يصف منهج إخوانه من الصحابة ويحث على الاقتداء بهم حيث يقول:

● عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

(من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد كانوا أفضل هذه الأمة أبرها قلوباً، وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم وسيرتهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[2].

ويقول أيضاً: (إياكم والتنطع إياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق)[3].

ويعني: ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

ومن صور أمره بالتيسير في الفتيا ما جاء:

● عن أبي وائل. قال:

(كان أبو موسى يُشدِّدُ في البَوْلِ، ويقول: إنَّ بني إسرائيلَ كان إذا

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب برقم: (٣٥٦٠)، وبأرقام: (٦١٢٦، ٦٧٨٦، ٦٨٥٣).

(٢) إغاثة اللهفان: (١/١٥٩).

(٣) جامع العلوم والحكم: ص (٢٧٠ ـ ٢٧١).

أصابَ جِلْدَ أَحَدِهُمْ بَوْلٌ قَرَضَهُ بالمقراض.

فقالَ حذيفةُ: لوددتُ أَنَّ صاحبكم لا يُشدِّدُ هذا التشديدَ، لقد رأيتني أنا ورسول الله ﷺ، نَتَماشى، فأتى سُباطَةَ قومٍ خلفَ حائطٍ، فقام كما يقومُ أَحَدكُمْ، فبال، قال: فاستَترتُ مِنهُ، فأشارَ إليّ، فَجئتُ، فقُمْتُ عِنْدَ عقبه حتى فرغ)[1].

(ب) شدة تمسكه بالسنة:

وبالرغم من منهج التيسير في الفتيا الذي كان يسلكه، فقد كان يعتبر هذا التيسير مقروناً بالتزام سنة النبي ﷺ، ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه حريصاً كل الحرص على التمسك بالسنة الواردة عن النبي ﷺ، ويرفض كل الرفض كل أمر قد يتسبب في مخالفته لهذه السنة، بل ويشتد غضبه ممن يحاول أن يتسبب في مخالفة السنة، وقد يؤدبه بيده إن استطاع ذلك.

ومن المشاهد التي توضح ما ذهبت إليه:

- عن عبد الله بن عُكيمٍ، قال:

(استسقى حذيفةُ من دهقان بالمدائنِ، فأتاه بشرابٍ في إناءٍ مِنْ فضةٍ، فحذفَهُ بها.

فَهِبْنَا حُذَيفة أَنْ نُكَلِّمهُ فلما سكَنَ الغَضَبُ عنه، قال: أَعتذرُ إليكم من هذا، إني كنتُ تقدمتُ إليه أَنْ لا يسقيني في هذا. ثُمَّ قالَ:

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٢٥)، ومسلم برقم: (٢٧٣)، والنسائي: (١/ ٢٥)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٢، ٤٠٢). وابن أبي شيبة: (١/ ١٢٢).

إن رسول الله ﷺ قام فينا خطيباً قالَ: «لا تَشْرَبُوا في إناءِ الفِضَّةِ والذَّهَبِ، ولا تَلْبَسُوا الحريرَ والدِّيبَاجَ، فإنَّهُ لَهُمْ في الدُّنْيَا وَلَكُمْ في الآخِرَةِ»(١).

(جـ) رجوعه إلى الصواب وتراجعه عن خطأه:

كان حذيفة رضي الله عنه وقافاً عند حدود الله تعالى، رجاعاً إلى الحق والصواب إن ثبت له أنه على خطأ، وأن من أشار عليه بالرجوع على صواب، وهذه صفة بارزة في أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً. ومن صور رجوعه إلى الحق والصواب:

● عن همام قال:

(صَلَّي بِنَا حُذَيْفَةُ على دُكَان مرتفع، فَسَجَدَ عليه، فجبذه أبو مسعود، فتابعه حذيفة، فَلَمَّا قَضَى الصَّلاَةَ، قال أبو مَسْعُود: أَلَيْسَ قَدْ نُهِيَ عَنْ هذا؟.

فقال له حُذيفةُ: أَلَمْ تَرَني قد تابَعْتُكَ؟)(٢).

(د) شدته في الحق عند الفتيا والقضاء بين الناس:

لقد كان حذيفة رضي الله عنه مؤهلاً للتصدر للفتوى وتفقيه الناس، وتحديثهم وتعليمهم، وكان له مكانة رفيعة في قلوب الصحابة

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٠٦٧)، والحميدي برقم: (٤٤٠)، والنسائي: (٨/ ١٩٨ ـ ١٩٩)، وابن الجارود في المنتقى برقم: (٨٦٥).

(٢) أخرجه أبو داود برقم: (٥٩٧)، وابن الجارود برقم: (٣١٣)، وابن خزيمة برقم: (١٥٢٣)، والبيهقي: (٣/ ١٠٨)، والحاكم: (١/ ٢١٠) وصححه ووافقه الذهبي والحديث إسناده صحيح على شرط مسلم.

لشدته وصلابته في الحق، ولعلمه الوافر الذي اكتسبه من طول ملازمته للنبي ﷺ، ولذلك كان الصحابة يرتضونه ليحكم بينهم إذا اختلفوا، فقد اختاره العباس بن عبد المطلب كي يقضي بينه وبين عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعاً:

● عن زيد بن أسلم، عن أبيه:

(عن عمر بن الخطاب أنه قال للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تزد في المسجد»، ودارك قريبة من المسجد فأعطناها نزدها في المسجد، واقطع لك أوسع منها.

قال: لا أفعل.

قال إذاً أغلبك عليها.

قال: ليس ذاك لك، فاجعل بيني وبينكَ من يقضي بالحق.

قال: ومن هو؟.

قال: حذيفة بن اليمان.

قال: فجاؤوا إلى حذيفة، فقصوا عليه.

فقال حذيفة: عندي في هذا خبر.

قال: وما ذاك.

قال: إن داود النبي صلوات الله عليه أراد أن يزيد في بيت المقدس، وقد كان بين قريب من المسجد ليتيم، فطلب إليه فأبى، فأراد داود أن يأخذها منه فأوحى الله عز وجل إليه: أن نزه البيوت عن الظلم لبيتي.

قال: فتركه.

فقال له العباس: فبقي شيء؟ قال: لا.

قال: فدخل المسجد، فإذا ميزابٌ للعباس شارع في مسجد رسول الله ﷺ ليسيل ماءُ المطر منه في مسجد رسول الله ﷺ. فقال عمر بيده فقلع الميزاب. فقال: هذا الميزاب لا يسيل في مسجد رسول الله ﷺ.

فقال له العباس: والذي بعث محمداً بالحق أنه هو الذي وضع الميزاب في هذا المكان، ونزعته أَنتَ يا عمر.

فقال عمر: ضع رجليك على عنقي لترده إلى مكانه هذا، ففعل ذلك العباس.

ثم قال العباس: قد، أعطيتك الدار تزيدها في مسجد رسول الله ﷺ.

فزادها عمر في المسجد، ثم قطع للعباس داراً أوسع منها بالزوراء)[1].

(٥) نماذج من نقوله الفقهية عن رسول الله ﷺ:

ولطول مصاحبة حذيفة رضي الله عنه للنبّي ﷺ فقد نقل عنه الكثير من فتاويه، في مسائل شتى، وقضايا مختلفة كثيرة أَسوق نماذج منها فيما يلي:

١ ـ استعمال السواك ليلاً:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه: (٣/ ٣٣١).

(كانَ رسول الله ﷺ إذا قامَ مِن اللَّيْل يَشوصُ فاهُ بالسِّوَاكِ)[1].

٢ ـ البـول قائمـاً:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(أَنَّ رسول الله ﷺ أتى سُباطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قائماً، ثُمَّ توضأَ وَمَسَحَ على خُفَّيْهِ)[2].

٣ ـ التفل في القِبلة:

● عن حُذَيْفَةَ بنِ اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ تَفَلَ تُجَاهَ القِبْلَةِ، جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَتَفْلَتُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ»[3].

٤ ـ النهي عن القدوم إلى الصلاة بعد أكل الثوم:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال: عن رسول الله ﷺ، قال:

«مَنْ أَكَلَ مِنْ هذِهِ البَقْلَةِ الخَبِيثةِ، فلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا ثلاثاً»[4].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٥)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٢، ٣٩٧، ٤٠٧)، والبخاري برقم: (٢٤٥)، والنسائي: (٣/ ٢١٢)، وابن ماجه برقم: (٢٨٦) والبيهقي في السنن: (١/ ٣٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٢٢٤)، ومسلم برقم: (٢٧٣)، وأبو داود برقم: (٢٣)، والنسائي: (١/ ٢٥)، والترمذي: (١٣)، وابن ماجه برقم: (٣٠٥). وأحمد في المسند: (٥/ ٣٩٤).

(٣) أخرجه أبو داود برقم: (٣٨٢٤)، والبيهقي في السنن: (٣/ ٧٦)، وابن أبي شيبة: (٢/ ٣٦٥)، وابن خزيمة في صحيحه برقم: (٩٢٥، ١٣١٤، ١٦٦٣) وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود برقم: (٣٨٢٤)، والبيهقي: في السنن: (٣/ ٧٦)، وابن خزيمة برقم: (١٦٦٣)، وابن حبان برقم: (١٦٤٣)، وإسناده صحيح على شرطهما.

٥ ـ ما يقول في الركوع والسجود:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(صليتُ مع رسول الله ﷺ، فَلَمَّا رَكَعَ جَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» ثم سجَدَ فقال: «سُبْحانَ رَبِّي الأَعْلَى»)[١].

٦ ـ صلاة الخوف:

● عن ثعلبة بن زَهْدَم قال: كنا مَعَ سعيد بنِ العاص بطَبرِستان، فقالَ: أيكم صلَّى مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف؟

فقال حُذَيْفَةُ: أنا، قال: فقام حُذَيْفَةُ، وَصَفَّ الناسَ خلفَهُ صَفَّيْن: صَفّاً خلفَهُ، وصفّاً مُوازِيَ العَدُوِّ، فصلَّى بالذين خلفَه ركعةً ثمَّ انْصَرَفَ هؤلاء مكانَ هؤلاءِ، وجاءَ أُولئكَ فصلى بهم ركعة ولم يقضوا)[٢].

٧ ـ ما جاء في كراهية النعي:

● عن بلالَ بن يَحْيَى العَبْسِيِّ، عن حُذَيفةَ رضي الله عنه قَالَ:

(إذا مِتُّ فلا تُؤْذِنوا بـي أَحداً، فأني أخافُ أَن يكُونَ نَعياً، وإني سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَنْهَى عن النعي)[٣].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٧٢)، وأبو داود برقم: (٨٧١)، والترمذي برقم: (٢٦٢) والنسائي: (٣/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٢، ٣٨٤).

(٢) أخرجه أبو داود برقم: (١٢٤٦)، والنسائي: (٣/ ١٨٦)، والبيهقي: (٣/ ٢٦١)، وعبد الرزاق: (٤٢٤٩)، وابن أبي شيبة: (٢/ ٤٦١ ـ ٤٦٢)، والحاكم في المستدرك: (١/ ٣٣٥) ووافقه الذهبي على تصحيحه، وهو صحيح كما قالا.

(٣) أخرجه الترمذي برقم: (٩٨٨)، وابن ماجه برقم: (١٤٧٦)، وقال الترمذي حسن صحيح..

٨ ـ الصيام لرؤية الهلال:

● عن حذيفةَ. قال: قالَ رسول الله ﷺ:

«لا تَقَدَّمُوا الشَّهْرَ حتى تَرَوُا الهِلالَ، أو تُكمِلُوا العِدَّةَ، ثُمَّ صُوموا حتَّى تَرَوُا الهِلاَل أو تُكْمِلُوا العِدَّةَ»(١).

٩ ـ الرسول لا يُورث:

● عن رِبْعيٍّ، عن حُذَيفةَ رضي الله عنهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما تَرَكْناهُ صَدَقَةٌ»(٢).

١٠ ـ الاستثناء في المخاطبة:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقُولوا ما شاءَ اللَّهُ وشَاءَ فُلان، ولكن قولوا ما شاءَ اللَّهُ ثُمَّ شاءَ فُلان»(٣).

(٦) مسائل وآراء فقهية لحذيفة رضي الله عنه:

تعتبر آراء الصحابة الاجتهادية، وفتاويهم من المصادر الهامة في

---

(١) أخرجه النسائي: (٤/ ١٣٥)، وأبو داود برقم: (٢٣٢٦)، وابن خزيمة برقم: (١٩١١)، والبزار برقم: (٩٦٩)، والبيهقي: ٤/٢٠٨، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار: (١٣٨٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه أبو داود برقم: (٤٩٨٠). والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم: (٩٨٥). وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٩٨٥)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨)، وإسناده صحيح.

التشريع الإسلامي وذلك لأنهم أقرب الأجيال عهداً برسالة النبـي الكريم صلوات الله عليه وسلامه، وأعلم الناس بأحوال النبـي ﷺ وسأعرض نماذج من آراء حذيفة بن اليمان في عدة جوانب من الفقه الإسلامي لإبراز معالم فقه هذا الصحابـي الكبير رضوان الله عليه.

(أ) الطهارة والوضوء:

١ ـ الاكتفاء بالاستنجاء بالحجارة دون الماء بخارج العمران:

● عن همام عن حذيفة رضي الله عنه قال: سئل عن الاستنجاء بالماء، فقال: (إذاً لا تزال يدي في نتن)[١].

٢ ـ عدم الوضوء بعد الغسل:

● عن إبراهيم عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(ما يكفي أحدكم أن يغسل من لدن قرنه إلى قدمه حتى يتوضأ)[٢].

٣ ـ عدم الوضوء من مس الذكر:

● عن المخارق بن أحمد الكلاعي قال: سمعت حذيفة بن اليمان. وعن أياد بن لقيط قال: حدثنا البراء بن قيس قال: سمعت حذيفة وسأله رجل عن مس الذكر في الصلاة؟

فقال: (ما أُبالي مسسته أو مسست أنفي)[٣].

---

(١) ابن أبـي شيبة في المصنف: (١/ ١٥٧).
(٢) ابن أبـي شيبة في المصنف: (١/ ٦٩).
(٣) عبد الرزاق برقم: (٤٢٩)، وابن أبـي شيبة: (١/ ١٦٤، ١٦٥)، والدارقطني في السنن: (١/ ١٥٠)، ومسدد في المطالب العالية: (١/ ٤٢).

٤ـ الماء لا ينجس:

● عن كعب بن عبد الله قال:

خرجنا أو كنا مع حذيفة فانتهينا إلى غدير تطرح فيه الميتة، وتغتسل فيه الحائض.

فقال حذيفة رضي الله عنه: (توضؤوا منه فإن الماء لا يخبث)[1].

٥ ـ الاستنجاء بالماء:

● عن حنظلة قال: (كان حذيفة يستنجي بالماء إذا خرج من الخلاء)[2].

● عن نجية عن عمته فريعة وكانت تحت حذيفة رضي الله عنه أنها قالت: (كان حذيفة يستنجي بالماء)[3].

٦ ـ تخليل الشعر بالماء أثناء الغسل:

● عن همام قال:

قال حذيفة رضي الله عنه لامرأته: (خللي شعرك بالماء، لا تخلله نار قليل بقاؤه عليها)[4].

---

(١) ابن أبي شيبة في المصنف: (١/١٤٢ ـ ١٤٣)، الأوسط لابن المنذر: (١/٢٦٧).

(٢) الأوسط: (١/٣٤٨).

(٣) ابن أبي شيبة في المصنف: (١/ ١٥٢)، والدارمي في الوضوء: (١/ ١٧٣).

(٤) ابن أبي شيبة: (١/ ٧٤)، عبد الرزاق برقم: (١٠٥٣)، والبيهقي في السنن: (١/ ١٨٠).

٧ ـ البلل يجده الرجل في صلاته:

● عن ابن التيمي عن أبيه:

أن حذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، والحسن، وعطاء: (كانوا لا يرون بأساً بالبلل يجده الرجل في الصلاة، ما لم يقطر)[١].

٨ ـ تأخير غسل الجنابة بعد النوم:

● عن إبراهيم بن أبي معمر:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: (نومة قبل الغسل أوعب لخروجه)[٢].

يعني: أحرى أن يخرج كل ما بقي في الذكر ويستقصيه.

٩ ـ المسح على الخفين:

● عن إبراهيم:

أن عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما كانا يقولان:

يمسح المسافر على الخفين ثلاثة أيام ولياليهن، وللمقيم يوم وليلة[٣].

(ب) الصلاة وأحكامها:

١٠ ـ كراهية السمر بعد صلاة العشاء:

● عن أبي وائل قال:

---

(١) عبد الرزاق برقم: (٥٩٢).
(٢) ابن أبي شيبة: (١/ ٦٢).
(٣) عبد الرزاق برقم: (٧٩٨).

طلبت حذيفة رضي الله عنه فقال: لم طلبتني؟

قلت: للحديث. فقال حذيفة رضي الله عنه: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يجدب (يجدب: أي يكرهه ويعيبه) بالحديث بعد صلاة النور (لعلها صلاة العشاء)[1].

١١ ـ كراهية التفل في القبلة:

● عن أبي وائل قال:

كنا عند حذيفة، فقام شبث بن ربعي يصلي، فبصق بين يديه، فلما انصرف قال حذيفة:

(يا شبث، لا تبصق بين يديك، ولا عن يمينك، فإن عن يمينك كاتب الحسنات، وابصق عن شمالك وخلفك، فإن الرجل إذا توضأ فأحسن الوضوء أو قام إلى الصلاة، استقبله الله بوجهه يناجيه، فلا ينصرف عنه حتى يكون هو الذي ينصرف، أو يحدث حدث سوء)[2]

١٢ ـ المرء يصلي وحده ثم يدرك الجماعة:

● عن صلة بن زفر، (عن حذيفة رضي الله عنه أنه صلى الصلوات ثم مر بمساجد فصلى فيها، ثم صلى المغرب فشفع بركعة)[3].

١٣ ـ نهيه عن كف الشعر والثياب في الصلاة:

● عن مجاهد قال:

---

(١) عبد الرزاق في المصنف برقم: (٢١٣٦).

(٢) عبد الرزاق في المصنف برقم: (١٦٨٩)، وابن أبي شيبة: (٢/ ٣٦٤).

(٣) عبد الرزاق في المصنف برقم: (٣٩٣٥)، وابن أبي شيبة: (٢/ ٢٧٦)، وابن المنذر في الأوسط: (٢/ ٤٠١) برقم: (١١١٠).

مر حذيفة بابن له قد عقص شعره، وله ضفران إذا سجد وقاهما من التراب، فأخذ بشفرة فقطع أحدهما ثم قال: اصنع بالآخر إن شئت كذا أودع.

قال: (ومر عمر بن الخطاب برجل قائم وهو عاقص شعره من خلفه، فجبذه حتى صرعه)[1].

١٤ ـ صاحب البيت أحق بالإمامة:

● عن قتادة رضي الله عنه:

(أن أبا سعيد مولى بني أسيد ـ رضي الله عنه ـ صنع طعاماً، ثم دعا أبا ذر وحذيفة وابن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ فحضرت الصلاة، فتقدم أبو ذر ليصلي بهم.

فقال له حذيفة: وراءك ربُّ البيت أَحق بالإمامة.

فقال له أبو ذر: كذلك يا ابن مسعود؟

قال: نعم، فتأخر أبو ذر.

قال أبو سعيد: فقدموني وأنا مملوك فأممتهم)[2].

١٥ ـ لا يقطع الصلاة شيء:

● عن كعب بن عبد الله قال:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: (لا يقطع الصلاة شيء وادرؤوا ما استطعتم)[3].

---

(١) عبد الرزاق برقم: (٢٩٩٥، ٢٩٩٢)، وابن المنذر في الأوسط: (٣/ ١٨٣) برقم: (١٤٦٦).

(٢) عبد الرزاق في المصنف برقم: (٣٨١٨)، البيهقي في السنن: (٣/ ١٢٦).

(٣) ابن أبي شيبة في المصنف: (١/ ٢٨٠).

١٦ ـ السجود على اللوح والوسادة:

● عن مالك بن عمير قال:

(عن رجل عن حذيفة رضي الله عنه أنه مرض فكان يصلي، وقد جعل له وسادة، وجعل له لوح يسجد عليه)[١].

١٧ ـ كراهية للإمامة في الصلاة:

● عن أبي ظبيان قال:

(عن حذيفة رضي الله عنه أنه خرج في سفر فتقدم فأمهم، ثم قال: لتلتمسن إماماً غيري، أو لتصلن وحداناً)[٢].

١٨ ـ كراهية التوكأ على الشيء أو التعلق به في الصلاة:

● عن عمرو بن مرة قال:

عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(إنما يفعل ذلك اليهود يعني التعلق من أسفل هكذا)[٣].

١٩ ـ كراهية الصلاة بين الأساطين:

● عن هلال بن يساف قال:

(عن حذيفة أنه كان يكره الصف بين الأسطوانتين في الصلاة المكتوبة)[٤].

---

(١) ابن أبي شيبة في المصنف: (١/ ٢٧٥)، وابن المنذر في الأوسط: (٤/ ٣٨٢) برقم: (٢٣١٨).

(٢) ابن أبي شيبة في المصنف: (١/ ٤٠٨).

(٣) ابن أبي شيبة في المصنف: (١/ ٣٣٧).

(٤) ابن أبي شيبة في المصنف: (٢/ ٣٧٠).

٢٠ ـ الوتر على أهل القرآن:

● عن سالم بن أبي الجعد قال: عن حذيفة رضي الله عنه قال: (إنما الوتر على أهل القرآن)[١].

٢١ ـ القصر في الصلاة:

● عن عبد الكريم قال:

عن أبي سعيد وحذيفة ـ رضي الله عنهما ـ انهما كانا يقولان لأهل الكوفة: (لا يضرنكم جشركم ولا سوادكم، لا تقصروا الصلاة إلى سواد.

قال: وبينهم وبين السواد ثلاثون فرسخاً)[٢]. السواد: أرض العراق الخصبة.

٢٢ ـ كراهية رفع الرأس إلى السماء في الصلاة:

● عن ابن بشار قال:

قال حذيفة رضي الله عنه: (أما يخشى أحدكم إذا رفع بصره إلى السماء، أن لا يرجع إليه بصره ـ يعني وهو في الصلاة)[٣].

٢٣ ـ على من تجب الجمعة:

● عن إبراهيم قال:

---

(١) ابن أبي شيبة في المصنف: (٢/٢٩٨). عبد الرزاق في المصنف برقم: (٤٥٧٧).

(٢) عبد الرزاق في المصنف برقم: (٤٢٨٨).

(٣) ابن أبي شيبة في المصنف: (٢/٢٤٠).

عن حذيفة رضي الله عنه قال: (ليس على أهل القرى جمعة، إنما الجمعة على أهل الامصار مثل المدائن)[1].

● وعن إبراهيم قال:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: (ليس على من على رأس ميل جمعة)[2].

٢٤ ـ التكبير في صلاة العيدين أربع تكبيرات:

● عن أبـي عائشة مولى سعيد بن العاص قال:

(بعثه سعيد بن العاص إلى حذيفة، وأبـي موسى الأشعري فسألهما عن التكبير في العيدين.

فقالا: كالتكبير على الجنائز أربع أربع)[3].

٢٥ ـ النهي عن الصلاة يوم العيد قبل خروج الإمام:

● عن أبـي التياح ومعاوية بن قرة:

(أن ابن مسعود، وحذيفة كانا ينهيان الناس يوم العيد عن الصلاة قبل خروج الإمام)[4].

٢٦ ـ كراهية المبالغة في الكفن:

● عن صلة بن زفر قال:

---

(١) ابن أبـي شيبة في المصنف: (٢/ ١٠١).

(٢) ابن أبـي شيبة في المصنف: (٢/ ١٠٤).

(٣) ابن أبـي شيبة في المصنف: (٢/ ١٧٣)، وابن المنذر في الأوسط: (٤/ ٢٧٧).

(٤) ابن المنذر في الأوسط: (٤/ ٢٦٦) برقم: (٢١٣٥)، والطبراني في الكبير كما جاء في مجمع الزوائد: (٢/ ٢٠٢)، رواه الطبراني بأسانيد، وعبد الرزاق في المصنف برقم: (٥٦٠٦).

(أرسلني حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنهما ـ ورجلاً آخر، نشتري له كفناً، فاشتريت له حلة حمراء جيدة، بثلاثمائة درهم.

فلما أتيناه قال: أروني ما اشتريتم.

فأريناه فقال: ردوها، ولا تغالوا في الكفن. اشتروا لي ثوبين أبيضين نقيين، فانهما لن يتركا عليَّ إلاّ قليلاً، حتى ألبس خيراً منهما، أو شراً منهما)[1].

٢٧ ـ رأي في موت الفجأة:

● عن يحيى بن أبي كثير قال:

(أن حذيفة رضي الله عنه كان يشدد في موت الفجأة، أخذة على سخط)[2].

(جـ) الصيام:

٢٨ ـ جواز نية الصيام بعد الزوال:

● عن سعد بن عبيدة:

(عن حذيفة رضي الله عنه قال: من بدا له الصيام بعدما تزول الشمس فليصم)[3].

٢٩ ـ من مبطلات الصيام:

● عن خيثمة بن عبد الرحمن:

عن حذيفة رضي الله عنه قال:

---

(١) عبد الرزاق في المصنف برقم: (٦٢١٠).

(٢) عبد الرزاق في المصنف برقم: (٦٧٧٩).

(٣) عبد الرزاق في المصنف برقم: (٧٧٨٠)، والبيهقي في السنن: (٤/ ٢٠٤).

(من تأمل خلق امرأة وهو صائم بطل صومه)[1].

(د) الجهــاد:

٣٠ ـ من قاتل في سبيل الله فله الجنة.

● عن أبـي عبيدة بن حذيفة قال:

(جاء رجل إلى أبـي موسى الأشعري وحذيفة عنده، فقال: أرأيت رجلاً أخذ سيفه فقاتل به حتى قتل، أله الجنة؟

قال الأشعري: نعم، فقال حذيفة: استفهم الرجل وأفهمه. فقال أبو موسى: كيف قلت؟ فأعاد عليه مثل قوله الأول.

فقال له أبو موسى مثل قوله الأول. فقال حذيفة أيضاً: استفهم الرجل وأفهمه، فقال أبو موسى: كيف قلت؟ فأعاد عليه مثل قوله، فقال أبو موسى: ما عندي إلا هذا.

فقال حذيفة: ليدخلن النار من فعل هذا كذا وكذا، ولكن من ضرب بسيفه في سبيل الله، يصيب الحق فله الجنة، فقال أبو موسى: صدق)[2].

(هـ) الطـــلاق:

٣١ ـ الزواج من الكتابية:

● عن أبـي وائل رحمه الله:

(أن حذيفة تزوج يهودية، فكتب إليه عمر أن يفارقها)[3].

---

(١) عبد الرزاق في المصنف برقم: (٧٤٥٢).

(٢) عبد الرزاق في المصنف برقم: (٩٥٦٥).

(٣) عبد الرزاق في المصنف برقم: (١٢٧٦٠).

(و) البيوع:

۳۲ ـ جواز بيع الفضولي:

● عن ابن سيرين رحمه الله:

(أن حذيفة بن اليمان بعث رجلاً له يشتري غلامين، نعتهما له، فلم يجد على نحو ما نعت له، فاشترى غلامين، فربح فيهما ثمانمائة درهم.

فقال حذيفة: رد إلينا رأس مالنا)[1].

(ز) الأشربة:

۳۳ ـ حرمة استعمال الخمور:

● عن إبراهيم رحمه الله تعالى:

(عن حذيفة قال: ذكر نساء يمتشطن بالخمر ـ أو يتطيبن بالخمر ـ فقال: لا طيبهن الله)[2].

● عن أبي داود الأحمري قال:

خطبنا حذيفة بالمدائن فقال: يا أيها الناس: تفقدوا أرقاءكم واعلموا من أين يأتونكم بضرائبهم، فإن لحماً نبت من سحت لن يدخل الجنة أبداً.

واعلموا أن بائع الخمر، ومبتاعه، وساقيه، ومسقيه، كشاربه.

واعلموا أن بائع الخنزير، ومبتاعه، ومقتنيه، كآكله)[3].

---

(١) عبد الرزاق في المصنف برقم: (١٤٨٣٠).

(٢) عبد الرزاق برقم: (١٧٠٩٥).

(٣) عبد الرزاق برقم: (١٧٠٧٣).

(٧) مسائل خالف فيها الجمهور:

خالف حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما جمهور الصحابة في مسألتين هامتين، ولولا أهميتهما لما ذكرتهما، وسأذكر رأي حذيفة رضي الله عنه، ثم أذكر سبب مخالفته، ومن قال بغير قوله والدليل من سنة رسول الله ﷺ، وهاتان المسألتان هما:

المسألة الأولى: قوله أن النبي ﷺ لم يصل في بيت المقدس في رحلة الإسراء والمعراج.

- عن زر بن حُبَيْش:

(عن حُذيفة بن اليمان، أن رسول الله ﷺ قال: «أُتيتُ بالبُراق، وهو دابةٌ طويلٌ أبيضٌ يضعُ حافِرَهُ عندَ منتهى طرفِهِ، فلم يُزَايلْ ظهره هو وجبريل صلى الله عليهما حتى أَتينا بيتَ المقدس، فَفُتِحَتْ أبوابُ السماء، فرأى الجنة والنارَ».

قال حذيفةُ: ولم يُصَلِّ في بيت المقدس، قلت: بَلْ صَلَّى.

قال حذيفة: ما اسمُك يا أَصْلَعُ؟ فإني أَعرفُ وجهك. ولا أعرف اسمكَ، قال: قلتُ: أنا زِرُّ بنُ حُبَيْش.

قال: وما يُدريكَ أَنه قد صلى فيه؟

قال: قلت: يقولُ الله عز وجل: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[1].

قال: فهل تجده صلَّى؟! قلت: لا.

---

(١) سورة الإسراء: الآية (١).

قال: إنه لو كان صلى فيه، لصليتم فيه، كما تُصلُّون في المسجد الحرام، قال: فقيل له: إنَّه رَبَط الدابةَ بالحلقة التي يربطُ بها الأنبياء ﷺ.

قال حذيفة: أو كان يخافُ أن يذهب، وقد أتاه الله عز وجل بها)[1].

وهذا الرأي من حذيفة رضي الله عنه يتعارض مع ما ثبت عن الرسول ﷺ أنه صلى في بيت المقدس، ويمكن مناقشة هذه المسألة من عدة وجوه:

الوجه الأول: لقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه صلى في بيت المقدس، وجاء النفي من حذيفة رضي الله عنه بأن يكون رسول الله ﷺ قد صلى هناك، والمثبت مقدم على النافي كما هو مقرر في علم الأصول ولأن إثبات الأشياء أولى من نفيها كما يقول الإمام الطحاوي رحمه الله.

الوجه الثاني: وحسبما يقول ابن جرير رحمه الله فإن ما قاله حذيفة رضي الله عنه، قول منه قاله تأولاً منه لظاهر ما في التلاوة، وذلك أنه لا ذكر في القرآن. أن رسول الله ﷺ صلى في بيت المقدس، فقال ذلك بحسب ما كان عنده من علم ذلك.

الوجه الثالث: إن احتجاج حذيفة رضي الله عنه بالآية، بأن

---

(١) أخرجه الطيالسي برقم: (٤١١)، وأحمد: (٥/ ٣٩٢ ـ ٣٩٤)، والحميدي: (٤٤٨)، والترمذي: (٣١٤٧)، والنسائي في الكبرى: (١١٢٨٠)، وابن حبان برقم: (٤٥)، والطحاوي في مشكل الآثار برقم: (٥٠١٤)، وإسناده حسن.

النبـي ﷺ لم يصل في بيـت المقدس ليس فيه من الحجة، إلا وفيه لمـن قال أنه صلى فيه مثلها، وذلك أنه لا خبر فيه من الله تعالى عن رسوله على أنه صلى فيه، ولا أنه لم يصلِ فيه، ولا أنه نزل عن البراق، ولا أنه لم ينزل عنه، ولا أنه ربطه، ولا أنه لم يربطه، وإنما فيه الخبر عن أنه أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليريه من آياته.

الوجه الرابع: إن ما قاله حذيفة رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ لو كان صلى هناك لوجب على أمته أن يأتوا ذلك المكان، ويصلوا فيه، كما فعل رسول الله ﷺ، لا حجة فيه لحذيفة، إذا كان رسول الله ﷺ يأتي مواضع ويصلي فيها، ثم لم يُكتب علينا إتيانها، ولا الصلاة فيها، بل قد نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن تتبع تلك المواضع والصلاة فيه، فقد جاء عن معرور بن سويد الأسدي، قال:

(وأتيت المَوْسِمَ مع أمير المؤمنينَ عُمَرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه فلما انصرف إلى المدينة، انصرفت معه، فصلى لنا صلاة الغَدَاةِ، فقرأ فيها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾[1]. و ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾[2]، ثم رأى أُناساً يذهبون مذهباً، فقال: أين يذهبون هؤلاء؟. قالوا: يأتون مسجداً ها هنا صلى فيه رسول الله ﷺ.

قال: إنما أُهْلِكَ مَنْ كان قبلَكُم بأشباهِ هذا يتبعون آثار أنبيائهم، فاتخذوها كنائس وبيعاً، من أدركته الصلاة في شيء من هذه المساجد

---

(١) سورة الفيل: الآية (١).
(٢) سورة قريش: الآية (١).

التي صلى فيها رسول الله، فليصل فيها، ولا يتعمَّدَنَّها)[1].

الوجه الخامس: ليس في أخبار النبي ﷺ عن نفسه بأنه صلى في بين المقدس أي مخالفة لشيء من أخبار الله عنه الذي ذكره في قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2] بل إن ذلك يكون تحقيقاً لما في هذه الآية، أشبه من أن يكون مخالفاً لها، وذلك أن إحياء جمع الأنبياء الذين ماتوا قبله بآلاف السنين فصلى بهم إماماً، وخاطبوه وخاطبهم، وكلموه وكلمهم أعظم آية وأجل عبرة.

الوجه السادس: وما قيل في قضية صلاته ﷺ ببيت المقدس، والاحتجاج الذي ذكرناه، يقال أيضاً في نزوله عن الدابة، وفي ربطها بالحلقة التي كانت تربط به الأنبياء. فالإثبات مقدم على النفي كما ذكرت ذلك في الوجه الأول.

الوجه السابع: لقد قال حذيفة رضي الله عنه ما قال بحسب ما كان عنده من علم بذلك، ولعله أن لا يكون قد سمع من النبي ﷺ إخباره عن نفسه أنه صلى في بيت المقدس تلك الليلة، أو أن يكون سمعه يخبر بذلك ثم نسيه[3].

---

(١) الطحاوي في مشكل الآثار: (١٢/ ٥٤٤ ـ ٥٤٥)، وابن كثير في مسند الفاروق (١/ ١٤٢)، وعزاه لإسماعيل بن محمد الصفار في مسنده، وإسناده صحيح.

(٢) سورة الإسراء: الآية (١).

(٣) انظر مزيداً من التفصيل حول هذه القضية في كتاب تهذيب الآثار لابن جرير الطبري مسند عبد الله بن عباس (١/ ٤٤٤) وما بعدها، ومشكل الآثار للطحاوي: (١٢/ ٥٣٧ ـ ٥٤٦).

الوجه الثامن: قد جاءت صلاة النبي ﷺ في بيت المقدس من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأنس بن مالك رضي الله عنه، فأما ما جاء:

● عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ في حديث الإسراء به إلى بيت المقدس، قال:

(وَلَقَدْ رأيتُني في جماعةٍ من الأنبياءِ صلواتُ الله عليهم، فإذا موسى عليه السلام قائمٌ يُصلي، رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كأنه من رجال شنوءة، ورأيتُ عيسى ابن مريم ﷺ قائماً يُصلِّي، أقربُ من رأيتُ به شبهاً عُروةُ بنُ مسعود الثقفي، وإذا إبراهيمُ ﷺ قائمٌ يُصلِّي، أَقربُ من رأيت به شبهاً صاحبُكم ـ يعني نفسه ـ صلى الله عليهما.

فحانت الصلاةُ فأَممتُهم، فلما فرغتُ من الصلاة، قال قائل: يا مُحمَّدُ، هذا مالِكٌ خازِنُ النار يُسَلِّمُ عليك، فالتفتُّ إليه، فنادى بالسلام)[1]

● وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (. . . ثُمَّ دَخَلتُ بَيْتَ الْمَقْدس فَجُمِعَ ليَّ الأَنْبياءُ عليهم السلام فَقَدَّمني جِبريلُ حَتَّى أَمَمْتُهُمْ. . .)[2].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٧٢)، والنسائي في الكبرى: (١١٤٨٠)، والبيهقي في الدلائل: (٣٥٨/٢)، والطحاوي في مشكل الآثار برقم: (٥٠١١).

(٢) أخرجه النسائي: (٢٢١/١ ـ ٢٢٢)، والبيهقي في الدلائل: (٣٦١/٢ ـ ٣٦٢)، وابن جرير الطبري في التفسير: (٦/١٥)، والطحاوي في مشكل الآثار برقم: (٥٠٠٩) وإسناده لا بأس به، وقد حسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

● وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«أُتيتُه بالبُراقِ، وهو دابةٌ أبيضُ فوقَ الحمارِ ودُون البغلِ، يضع حافرهُ عند منتهى طرفِهِ، فركبته، فسار بي حتى أتينا بين المقدس، فربطتُ الدابة بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت فصليت، ثم خرجت»[1].

المسألة الثاني: قوله أنه لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ، ومسجدِ بيت المقدس.

وسأورد نص ما جاء عن حذيفة رضي الله عنه، ثم أورد ما ذكره الأستاذ الشيخ شعيب الأرناؤوط حفظه الله في ذلك، فإن ما ذكره نفيس في بابه في تعليقه على كتاب (مشكل الآثار للطحاوي) حديث رقم: (٢٧٧١) (٧/ ٢٠١ ـ ٢٠٥):

● عن أبي وائل قال:

قال حذيفةُ لعبدِ الله: عكوفٌ بين دارك ودار أبي موسى لا تُغَيِّرُ! وقد عَلِمْتَ أن رسول الله ﷺ قال:

«لا اعْتِكافَ إلا في المساجد الثَّلاثةِ: المسجد الحرامِ، ومسجد النبيِّ ـ ﷺ ـ ومسجد بيت المقدس» قال عبدُ الله: لعلَّك نسيتَ وحَفِظُوا، وأخطأْتَ وأصابوا».

قال الشيخ حفظه الله: «فيه هشام بن عمار قال فيه أبو حاتم:

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٦٢)، وأحمد في المسند: (٣/ ١٤٨ ـ ١٤٩)، والبيهقي في الدلائل: (٢/ ٣٨٢ ـ ٣٨٤)، والطحاوي في مشكل الآثار برقم: (٥٠١٠).

صدوق. ولما كبر تغيَّر حفظه، وكلما دفع إليه قرأه، وكلما لُقِّنَ تَلَقَّنَ.

ورواه البيهقي (٤/٣١٦) والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/ ٨١) من طريق محمود بن آدم المروزي (ولم يوثقه غير ابن حبان) حدثنا سفيان بن عيينة، بهذا الإسناد ولفظه: وقد علمتَ أن رسول الله ﷺ قال: (لا اعتكاف إلا في المسجد الحرام ـ أو قال ـ إلا في المساجد الثلاثة) فقال عبد الله: لعلك نسيت وحفظوا، أو أخطأت وأصابوا، الشك مني.

وقول الذهبي بإثره: صحيح غريب عالٍ، يريد بالغرابة غرابة متنه.

ورواه الاسماعيلي في (معجمه) (٣٣٦) من طريق محمد بن الفرج (وهو صدوق) عن سفيان بن عيينة به.

فهؤلاء الثلاثة: هشام بن عمار، ومحمود بن آدم، ومحمد بن الفرج رفعوا الحديث، وقد خالفهم من هو أَوثق منهم، فرواه على الشك سعيد بن منصور في (سننه) فيما نقله عنه ابن حزم في (المحلى) (٥/ ١٩٥) حدثنا سفيان بن عيينة، عن جامع بن أبي راشد، عن شقيق بن سلمة، قال: قال حذيفة لعبد الله بن مسعود: قد علمت أن رسول الله ﷺ قال: (لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة ـ أو قال ـ: مسجد جماعة).

قال ابن حزم: هذا شكٌ من حذيفة أو ممن دونه، ولا يقطع على رسول الله ﷺ بشك، ولو أنه عليه السلام قال: لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة، لحفظه الله عليه، ولم يُدخل فيه شكاً، فصح يقيناً أنه عليه السلام لم يقله قط.

رواه موقوفاً على حذيفة عبد الرزاق (٨٠١٦) ومن طريق الطبراني في الكبير (٩٥١١) عن سفيان بن عيينة بهذا الإسناد.

ورواه عبد الرزاق (٨٠١٤) ومن طريقه الطبراني (٩٥١٠) وابن أبي شيبة (٣/ ٩١) عن سفيان الثوري، عن واصل الأحدب، عن إبراهيم النخعي قال: جاء حذيفة إلى عبد الله، فقال: ألَا أعجبك من ناس عكوف بين دارك ودار الأشعري؟ قال عبد الله: فلعلهم أصابوا واخطأت، فقال حذيفة: ما أبالي أفيه أعتكف أو في بيوتكم هذه؟ إنما الاعتكاف في هذه المساجد الثلاثة؛ مسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصى، وكان الذين اعتكفوا ـ فعاب عليهم حذيفة ـ في مسجد الكوفة الأكبر.

وهذا سند رجاله ثقات رجال الشيخين. ولا يضره أن إبراهيم النخعي أرسله عن حذيفة وعبد الله، فقد ثبت عنه كما في تهذيب الكمال أنه قال: إذا حدثتكم عن عبد الله، فهو الذي سمعت، وإذا قلت قال عبد الله فهو عن غير واحد عن عبد الله.

قال الحافظ ابن رجب في (شرح العلل) (١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥): (وهذا يقتضي ترجيح المرسل على المسند، لكن عن النخعي خاصة فيما أرسله عن ابن مسعود خاصة) قلت: وهذا الحديث منها.

فرواية من رواه على الشك، ورواية من وقفه على حذيفة أصح وأقوى وأثبت.

ورواه الطبراني (٩٥٠٩) عن علي بن عبد العزيز البغوي، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا أبو عوانة، عن مغيرة، عن إبراهيم: أن حذيفة

قال لابن مسعود: ألا تعجب من قوم بين دارك ودار أبـي موسى يزعمون أنهم معتكفون، قال: فلعلهم أصابوا وأخطأت، أو حفظوا ونسيت.

قال: أما أنا فقد علمت أنه لا اعتكاف إلا في مسجد جماعة.

وقال الإمام البخاري في (صحيحه) في أول كتاب الاعتكاف (٤/ ٢٧١) بشرح الفتح: باب الاعتكاف في العشر الأواخر، والاعتكاف في المساجد كلها لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾.

قال الإمام العيني في (عمدة القاري) (١١/ ١٤١): قيد الاعتكاف بالمساجد، لأنه لا يصح في غير المساجد، وجمع المساجد وأكثرها بلفظ (كلها) إشارة إلى أن الاعتكاف لا يختص بمسجد دون مسجد وفيه خلاف. فقال حذيفة: لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة: مسجد مكة والمدينة والأقصى وقال سعيد بن المسيب: لا اعتكاف إلا في مسجد منى، وفي الصوم لابن أبـي عاصم بإسناده إلى حذيفة: لا اعتكاف إلا في مسجد رسول الله ﷺ. . .

وذهبت طائفة إلى أنه لا يصح الاعتكاف إلا في مسجد تقام فيه الجمعة، روي ذلك عن علي وابن مسعود وعروة وعطاء والحسن والزهري، وهو قول مالك في (المدونة) قال: أما من تلزمه الجمعة، فلا يعتكف إلا في الجامع.

وقالت طائفة: الاعتكاف يصح في كل مسجد، روي ذلك عن النخعي وأبي سلمة والشعبي، وهو قول أبـي حنيفة والثوري والشافعي في (الجديد) وأحمد واسحاق وأبـي ثور وداود، وهو قول مالك في (الموطأ) وهو قول الجمهور والبخاري أيضاً، حيث استدل بعموم الآية في سائر المساجد.

وقال صاحب (الهداية): الاعتكاف لا يصح إلا في مسجد الجماعة، وعند أبي حنيفة أنه لا يصح إلا في مسجد يُصلى فيه الصلوات الخمس.

وقال الزهري والحكم وحماد: هو مخصوص بالمساجد التي يُجمع فيها.

وفي (الذخيرة) للمالكية: قال مالك: يعتكف في المسجد سواءٌ أقيم فيه الجماعة أم لا.

وفي (المنتقى) عن أبي يوسف الاعتكاف الواجب لا يجوز أداؤه في غير مسجد الجماعة، والنفل يجوز أداؤه في غير مسجد الجماعة.

وفي (الينابيع): لا يجوز الاعتكاف الواجب إلا في مسجد له إمام ومؤذن معلوم، ويصلى فيه خمس صلوات، ورواه الحسن عن أبي حنيفة.

وروى عبد الرزاق في (المصنف) (٨٠٠٩) عن الثوري، عن جابر الجعفي، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب قال: لا اعتكاف إلا في مسجد جماعة.

ورواه ابن أبي شيبة (٣/ ٩١) عن وكيع عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن الحارث الأعور، عن علي، وعن جابر الجعفي عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن، عن علي، قلت: والحارث الأعور وجابر الجعفي ضعيفان.

وروى عبد الرزاق (٨٠١٠) عن معمر، عن رجل، عن الحسن، وعن هشام بن عروة عن أبيه، قال: لا اعتكاف إلا في مسجد جماعة،

والسند الثاني صحيح على شرطهما.

وروى أبو داود (٢٤٧٣) عن وهب بن بقية أخبرنا خالد عن عبد الرحمن بن اسحاق، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أنها قالت: السنة على المعتكف أن لا يعود مريضاً، ولا يشهد جنازة، ولا يمس امرأة ولا يباشرها ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بد منه، ولا اعتكاف إلا بصوم، ولا اعتكاف إلا في مسجد.

وهذا سند قوي رجاله ثقات رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن إسحاق. فقد روى له مسلم في الشواهد، والبخاري في (الأدب المفرد). وأصحاب السنن، وهو صدوق، وجانب الصواب من قال: إنه على شرط مسلم.

ورواه البيهقي (٤/ ٣٥١) من طريق عبيد بن شريك، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، وفيه: والسنة في المعتكف أن لا يخرج إلا للحاجة التي لا بد منها، ولا يعود مريضاً ولا يمس امرأة ولا يُباشرها، ولا اعتكاف إلا في مسجد جماعة، والسنة فيمن اعتكف أن يصوم.

ورواه الدارقطني (٢/ ٢٠١) عن عبد الملك بن جريج، عن محمد بن شهاب، عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير، عن عائشة أنهـا أخبرتهما أن رسول الله ﷺ كان يعتكفُ العشر الأواخر من شهر رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكفن أزواجه من بعده، وأن السنة للمعتكف أن لا يخرج إلا لحاجة الإنسان ولا يتبع جنازة، ولا يعود مريضاً، ولا يمس امرأة ولا يباشرها، ولا اعتكاف إلا في مسجد جماعة، ويأمر من اعتكف أن يصوم). انتهى.

وبهذا يتبين لنا أن حذيفة رضي الله عنه إنما كان خطأه إن أخطأ، أو اجتهاده إما عن نسيان لما جاء عن النبـي ﷺ، وأما أنه لم يبلغه ذلك عن رسول الله ﷺ.



الفَصْلُ السَّابع

حذيفة عالِمُ الفتن

مقدمة عن الفتن:

(أ) المستقبل مجهول لا يعلمه إلا الله:

إن المستقبل مجهول للإنسان، وكل ما يستطيع أن يتصوره الإنسان بالنسبة للمستقبل هو من باب التوقعات التي تعتمد على المقدمات المؤدية للنتائج، وحتى في هذه فمهما أُوتي الإنسان من صدق الحدس، وقوة الإدراك، فإن كلامه يبقى من باب التوقعات التي يمكن ألا تقع، أما في حالة عدم وجود المقدمات التي تؤدي إلى النتائج، فالمسألة تبقى من باب التخرصات أو التوهمات، ووقوعها في هذه الحالة من قبيل المصادفات، وعدم وقوعها هو الأصل، لقد تنبأ اليهودي الشيوعي الخبيث (ماركس) أن الثورة الشيوعية ستكون في ألمانيا وانكلترا، وكان يستبعد أن تقوم في روسيا فكانت في روسيا لملابسات خاصة، ولم تكن في ألمانيا أو انكلترا.

فإذا ما وجدنا ظاهرة عند إنسان، هذه الظاهرة هي أنه تحدث عن المستقبل حديثاً ما خرمه المستقبل، ولا في جزء من أجزائه، فنحن

إذن أمام ظاهرة تحتاج إلى تعليل وتحليل، وليس كلامنا هنا إلا في حالة التصديق الكامل من الواقع للنبوءة الثابتة، فليس كلامنا اذن في التوقعات، وليس كلامنا في التكهنات التي يكذب الواقع عشرات منها، وليس كلامنا في النبوءات المدعاة التي يُدَّعي أنها قيلت قبل وقوع مضمونها، والحقيقة أنها قيلت بعده، وليس كلامنا في أمر بُيِّتَ فتنبأ بوقوعه بعض من بيته، وليس كلامنا في إنسان تحققت بعض نبوءاته وكذب الواقع بعضها، وليس كلامنا في نبوءة كانت عن رؤيا منام أو ما يشبه رؤيا منام، وليس كلامنا في نبوءة صدرت عن تابع نبي صديق فكانت كرامة له باتباعه لهذا النبـي.

وإنما كلامنا في أخبار عن المستقبل المجهول، عن رجل يقول عن نفسه أنه رسول، ويتحقق هذا المستقبل تحققاً تاماً لا يخرم منه شيء، فتلك إذن نبوة لا شك فيها، واتصال بالله عالم الغيب والشهادة لا شك فيه، فعلم الغيب اختص الله تعالى بمعرفته، ولا يعلم بشيء من أحداثه أحد إلا من علمه الله تعالى شيئاً من هذا، وأوحى إليه به، والفئة التي علمها الله تعالى شيئاً من هذه الأحداث وأخبرها عنه هي فئة الرسل والأنبياء صلوات الله تعالى عليهم وسلامه.

وفي هذا يقول الله تعالى في محكم التنزيل:

﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾[1].

وأحاديث الفتن نبوءات تحدث بها السيد الرسول محمد ﷺ

---

(١) سورة الجن، الآيات: (٢٦ـ ٢٧)، الرسول لسعيد حوى: (٢/ ١٢١ ـ ١٢٢).

تجعلك على مثل الشمس مبصرة، أن محمداً رسول الله ﷺ وإنه لا ينطق عن الهوى، والذي سأعرضه في هذا الفصل هو قليل من كثير مما أخبر به النبي ﷺ في هذا الباب، ولكنه يعطي أي قارىء صورة واضحة المعالم عن هذا الموضوع.

(ب) المفهوم الحقيقي للفتن:

إن الفتن التي تحدث عنها رسول الإسلام ﷺ ليست نوعاً من الجبر، بقدر ما هي أخبار بمغيبات ستقع تبعاً لعوامل نفسية داخلية وعوامل اجتماعية، أي بمثابة قوانين وسنن وقع الناس في أتونها. فكان لزاماً عليهم أن تنطبق عليهم نتائجها.

وقناعتنا أن هذه العوامل محددة فعلاً وواقعية، هذا هو الذي يملي علينا نوعية العمل المطلوب منا تنفيذه لنعصم أنفسنا من مواطن عقوبة الله وسخطه.

وبهذا الفهم لحقيقة السنن الكونية ولطلاقة المشيئة الإلهية أيضاً يمكن أن نرسم الخط الذي يجب أن نسير عليه، خاصة وأنه غالباً لا توجد عندنا الدلائل الكافية ـ العلمية ـ التي تؤكد أن تلك الأسباب واقعة فعلاً لنجزم من ثم بوقوع نتائجها من الفتن والبلايا والمصائب بشكل حتمي قاطع[1].

ولعلنا في ضوء ذلك نفهم معنى الفتنة وكيف تحيق بالناس وأنها إنما تحيق بهم وفق سنن وقوانين، وأنها إنما تحيق بهم لنسيانهم حقائق كثيرة أو لتجاهلهم إياها، ولغفلتهم عنها أنها تعمل بقوة في مواقع

(١) عبد العزيز السيروان في كتابه: حوادث القرن العشرين/ المقدمة.

حياتهم، فالفتنة والفتن كما أنها من قدر الله كأي حدث على ظهر هذه الأرض إلا أن لها ارتباطاً على قاعدة العلة والمعلول بمقدمات أدت إلى تلك النتائج ﴿. . . فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ. . .﴾[1].

إن القدرية الغيبية لم تعرف في عهد الصحابة، ولا دارت بخلد أحد منهم، ولو كانت موجودة عند المسلمين لما فتحوا الفتوحات، ولا تحملوا المشقات، بل لكانوا تركوا للقدر ما يشاء ولكانوا قالوا:

(ما قد يكون سواء عملت له أم لم تعمل!)، ولكن أولئك المسلمين العارفين أدركوا: أن الحصن لا يفتح إلا بالسيف، وأن العدو لا يقهر إلا بالقوة؟ وأن الرزق يجب أن يُسعى إليه، والمرض يجب أن يتقى منه. . .

إن الله تعالى قد علمنا ربط الأسباب بالمسببات، وجعل السبب ينتج المسبب، فالنار تحرق ولا يحصل احراق بدون نار، والسكين تقطع ولا يحصل قطع بغير سكين، وخلق الله الإنسان، وجعل فيه القدرة على القيام بالعمل، واعطاه الاختيار المطلق في القيام بأعماله، يأكل متى شاء ويمشي متى شاء، ويسافر متى يشاء، ويتعلم فيعلم، ويقتل فيعاقب، ويترك الجهاد فيذل، ويقعد عن السعي المرزق فيفقر، فلا وجود للقدرية الغيبية في واقع الحياة، ولا في شرع الله. . .).

وعلى ذلك فالإنسان قادر أن يؤثر في السعي لكسب العيش، وفي طريقة العيش وقادر على تقويم اعوجاج الحاكم الظالم أو خلعه، وقادر على التأثير في كل ما هو داخل في أفعاله الاختيارية، وما القدرية

(١) سورة الزمر، الآية: (٥١).

الغيبية إلا خرافة من الخرافات)[1].

(جـ) لا للفهم التخاذلي للفتن:

هناك فكرة شائعة لدى عدد من عوام المسلمين، وهي أنهم يتخذون من أخبار النبي ﷺ بأحاديث الفتن. متكئاً لهم في ترك العمل الجدي لإعادة الحياة الإسلامية الصحيحة، وقد ربطوا بهذه الأحاديث أمراً لا صلة له بها!.

وهو أن العمل الآن لا يجدي، لأنه لا بد أن يزداد الفساد، وينتشر الضلال، وتأتي الخوارق التي تتقدم الساعة، من ظهور المهدي ونزول عيسى عليه السلام. . . ، وحينئذ ينتصر الإسلام وينتصر الدين، وينتشر الحق، ويقوى أهله، ويسودُ الحكمُ بالإسلام على وجهه، فلا جدوى الآن من مقاومة الباطل وأهله مهما حاول الإنسان المسلم!

وهذه الفكرة الضالّة الخبيثة ـ وقد تكون دخيلة على المسلمين بمخارز أعدائهم الناعمة ـ: أَسقطت السعي الجدي الواجب، والوعي الإسلامي الصحيح. عند هؤلاء الجاهلين ومن يدور في فلكهم من المسلمين المغفلين! فقد أثرت فيهم تأثيراً سلبياً، وأحبطت منهم العملَ الجِدِّيَّ والسعي المتواصل لإعادة الحياة الإسلامية.

وكثيراً ما خدع هؤلاء الجاهلون الأغرارُ من المسلمين: اشباههم بقولهم لهم: إن العالم قد اقترب من نهايته، وإن الأحاديث النبوية تدل على استمرار التدهور في شأن الإسلام والمسلمين، ولما كان الأمر هكذا، كان لا جدوى من السعي لعمل شيء في وقف هذا التيار

(١) الفكر الإسلامي لمحمد محمد إسماعيل ص (٧٧ ـ ٧٨).

الفاسد، ومنع هذا الانحدار، إذ هو أمر قدره الله تعالى، وبلغه رسوله الله ﷺ. ولا بد أنه واقع فما علينا إلا التسليم والسكون حتى يأتي أمر الله الذي لا مفر منه.

وهذه الفكرة الخاطئة الزائفة، تجب معالجتها في نفوس المصابين بها، لدفع هذا التأثير السلبي، الذي أثرته في إرادة هؤلاء المسلمين الشعورية واللاشعورية، فإن هذا الاعتقاد الباطل يعيق الحركة الإسلامية من داخل المسلمين، فضلاً عن المعوقات التي تنثر في طريقها من خارجهم.

ولو كانت هذه الفكرة صحيحة سليمة ثابتة، لما كان الجهد والجهاد من السلف في دفع كل زيغ وانحراف، من أي مبطل كان: أجنبياً أو عربياً، مسلماً في الصورة أو كافراً، لأننا إذا مشينا في ظل هذا الفكر الزائغ، لزمنا أن نستسلم لكل ما يواجهنا من صعوبات وتحديات، في مختلف الشؤون والمستويات! وهذا أمر لا يقول به عاقل، فضلاً أن يكون الشرع الإسلامي أراده منا. وحاشا شرع الله من أن يضاف إليه ذلك.

فلماذا يسعى لهؤلاء الجاهلون المصابون بهذه الفكرة المريضة، في تنمية أحوالهم، وتحسين عيشهم ومسكنهم، وما إلى ذلك من أمور الدنيا ومرافق الحياة؟ فإذا جاءوا إلى أمور الدين والجهاد لَبِسَتهمُ هذه الفكرة الشيطانية، فضلُّوا وتخاذلوا عن نصرة دينهم فأين عقلهم وفهمهم من صريح قول النبي ﷺ: «الجهاد ماض إلى يوم القيامة»، وأمثاله من الأحاديث الصحيحة الكثيرة، وقد عَلِمَ العالمون البصراء أن سنة الله في عباده: الجهد والجهاد، والأخذ بالأسباب، كما

هو بَدَهي عند كل مسلم فاقهٍ لدينه وإسلامه.

فترك الجهد والعمل في نصرة الدين والإسلام جريمة وترك دفع المبطلين والظالمين والكافرين المستولين على المسلمين ـ بسبب هذا الاعتقاد الباطل ـ جريمة فوق جريمة، ومصيبة عظيمة أُصيب بها عقل المرضى بهذا الاعتقاد، ويجب الإسراعُ بعلاجهم وانقاذهم من هذا الداء الوبيل!

وما أحسن قول الأمام الفقيه الكبير، والعالم العامل الصوفي البصير، الشيخ عبد القادر الجيلاني البغدادي الشهير:

ليس الرجل الذي يُسَلِّمُ ـ أي يستسلم ـ للأقدار، وإنما الرجل الذي يدفع الأقدار بالأقدار، وفي رواية ثانية عنه يقول: نَفِرُّ من القَدَر الفاضل إلى القدر الأفضل.

وهي كلمة حكيمة بصيرة، من لُباب الشرع والعقل جميعاً، وسندها ومرجعها في الكتاب والسنة المطهرة كثير، لو جمع لجاء في رسالة حسنة، وحسبك سنداً لها ما رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

(أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج ـ من المدينة ـ إلى الشام ـ سنة ١٧ من الهجرة أو ١٨ ـ حتى إذا كان بسرغ ـ قرية على طرف الشام مما يلي الحجاز ـ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام...) إلى أن قال: (... فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو

كان لك إبلٌ، فهبطت وادياً له عُدوتان - أي طرفان وحافتان - أحدهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إذا رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله. . .)

ويكفي هذا الشاهد الناطق، والحديث الصادق، في دحر هذه الفكرة الباطلة الزائفة، وما أُقدِّرُ نشوءها إلا من أعداء الإسلام، استغفلوا بها بعض المغفلين، فنشأت فيهم، واستقرت في نفوسهم وسلوكهم! فأغنت أعداءهم عن تعب ونصب كبير في أمر الاستيلاء عليهم[1].

(د) الهدف من وراء ذكر أحاديث الفتن:

إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين عامة، وللمسلمين خاصة ووصفه ربه عز وجل في كتابه العظيم بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

وقد برزت رحمته ﷺ بأمته من خلال تحذيرها مواطن السقوط، وامتد هذا التحذير ليغطي تاريخ أمة الإسلام على طول زمانها وامكنتها بالتمكين، والتفهيم، والتحذير، والإرشاد، والتنبيه لمواطن البلاء. وأزمنتها وما سيحدث ويحصل حتى قيام الساعة.

فمهما قست القلوب، وبَعُدت الشقة، وتوالت المحن، فإن للأمة

---

(١) التصريح بما تواتر في نزول المسيح من مقدمة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله ومتع به المسلمين.

(٢) سورة التوبة: الآية (١٢٨).

الإسلامية القائمة على الحق نوراً من رسولها تستضيء به، وتستهدي بهديه، وترى مواضع فترميها، فلا تزيغ ولا تسيح، وتبقى كرسوخ الجبال.

وهذا الحديث منه ﷺ عن الفتن وأحداث المستقبل هو من باب التخذير والتنبيه، وبيان الداء والدواء، وهذا حقل من الغيب أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ زيادة في الإعذار للأمة والإشفاق عليها.

وهو أيضاً من باب التوعية لهذه الأمة بأهمية ما سينزل بها من أحداث حتى تهيىء نفسها فتحشد كافة إمكانياتها، وكامل قدراتها لمواجهة هذه الأحداث، فالذي يعرف عدوه وإمكانياته وطريقة تفكيره هو الذي يحسن التعامل معه باتخاذ القرارات المناسبة والمكافئة لما عند أعداءه من قدرات وإمكانيات.

وتأتي أحاديث الفتن التي حدث بها سيدنا رسول الله ﷺ توضيحاً واستكمالاً لما ابتدأه القرآن الكريم من بيان لكثير من الوسائل التي تسهم في صياغة الشخصية الإسلامية المؤثرة، هذه الشخصية التي لا تعتذر بالواقع السيّىء وتدعي أن هذا هو أوان (أن يعض المسلم على جذع شجرة ويبتعد عن الفتن). ومن ثم يحكم على نفسه بالإعدام قبل أن يحكم أحد عليه به. ولا الشخصية المتواكلة المترددة المبررة المنهزمة داخلياً.

إنها الشخصية التي لا ترد كل شيء إلى الظروف والمحيط والبيئة وكأنها بريئة هي من العيوب والنقائص.

الشخصية التي لا تعطل القوى التي وهبها الله إياها بدورها في

إعمار هذا الكون وإصلاحه.

بل هي الشخصية المتفاعلة في مواقع الحياة، الآخذة والمعطية، البانية، الهادفة، إنها شخصية تقتبس من نور الله، وتستلهم خطوات الأنبياء والمجددين وتنير دربها بنماذج حية من حياة الصحابة رضوان الله عليهم، ومن حياة كل الترجمات العملية للعقيدة الإسلامية عبر تاريخ المسلمين الطويل.

هذا النمط المحمود من المسلمين هم الذين يستطيعون أن يدركوا حقيقة الحال التي تعاني منها الأمة، ويشخصوا العلاج المناسب لاستنقاذها، لأنهم يخالطون الناس ويعرفون مواطن الضعف والانحراف، ويعرفون الوسيلة التي تبلغ بهم ذلك المرتقى السامي من تلك الوهدة السحيقة التي وصلوا إليها).

إنهم إنما يفعلون ذلك لأنهم أناس ربانيون أصحاب فكرة وهدف، يعيشون مع الناس فتنهم ومجتمعهم وأحوالهم، ثم يسارعون لتخليصهم من براثن الجاهلية. ويسمون بهم إلى أفق الإسلام، ويهدون فطرهم الحائرة إلى النبع العذب الزلال.

إنهم يخالطون الناس ليكونوا دلالين على بضاعة الرحمن. ويكونوا من الذين يخالطون الناس ويصبرون على أذاهم، ولا يقعون فيما وقعوا فيه من الفتنة والإغواء والإغراء، وإنها لمهمة تحتاج لرجال صدقوا الله فصدقهم، وتحتاج لرجال أكفاء فهموا أهمية دورهم الذي رسمه القرآن الكريم فسارعوا لتحمل الأعباء والمهمات.

وبعد فإن أقل مراتب التغيير هو أن تُمحى تلك الأفكار الشريرة

السلبية من لا شعور كثير منا، وأن يعود ليحاسب نفسه في بدهيات انطلاقه الإسلامي، ويجدد تبعته أمام رب العالمين غير آبه للنتائج، مقدما إمكانياته الذاتية الحقيقية عالماً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الفتنة التي تحدث عنها الرسول ﷺ ليست نوعاً من الجبر أو القدرية الإلزامية التي تحيق بالناس دون أن يكون لهم ذنب فيها أو دون أن يقدموا من الأسباب والبدايات ما يجعلها تصبهم بنتائجها، وإنما هي بما كسبت أيديهم ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ ومن ثم فإن عملية التغيير وإنكار المنكر وقيام الناس بدفع أسباب الفتن وعللها سيساعد كثيراً في الاعتصام منها والبعد عنها[1].

حذيفة عالم الفتن:

(أ) تخصصه في علم الفتن:

اجتهد كثير من الصحابة في التعرف على الفتن التي ستعصف بالأمة وتبيين طريق النجاة والخلاص منها، من هؤلاء بل في مقدمتهم حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، فلقد كان حذيفة رضي الله عنه شخصية فذة لها طابعها الخاص بين أصحاب رسول الله ﷺ. ولم أجد صحابياً تفرد برواية أحاديث في موضوع خاص، كما تفرد حذيفة بالرواية لأحاديث كلها تتعلق بشر الأمور، ودقائق المسائل.

قال ابن أبـي جمرة: (في الحديث حكمة الله في عباده كيف أقام كلاً منهم فيما شاء، فحبب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير

(١) حوادث القرن العشرين لعبد العزيز السيروان/ المقدمة.

ليعملوا بها ويبلغوها غيرهم، وحبب لحذيفة السؤال عن الشر ليجتنبه ويكون سبباً في دفعه عمن أراد الله له النجاة، وفيه سعة صدر النبي ﷺ ومعرفته بوجوه الحكم كلها حتى كان يجيب كل من سأله بما يناسبه، ويؤخذ منه أن كل من حبب إليه شيء فانه يفوق فيه غيره، ومن ثم كان حذيفة ـ رضي الله عنه ـ صاحب السر الذي لا يعلمه غيره حتى خص بمعرفة أسماء المنافقين، وبكثير من الأمور الآتية)[1].

إن حرص حذيفة رضي الله عنه على أحاديث الفتن وعلم الشر من باب إخلاصه النادر للإسلام والحرص على كشف وإحباط المكر الذي يدبره أعداء الإسلام لهذا الدين.

(ب) سعة علم حذيفة بالفتن:

بلغت معرفة حذيفة رضي الله عنه بأحاديث الفتن حداً لم يدركه فيه أحد من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم جاء هذا من حديثه رضوان الله عليه.

● عن حُذيفة رضي الله عنه قال:

(قامَ فينا رسولُ اللَّهِ ﷺ، فما تَركَ شيئاً يكونُ في مقامِهِ إلى أن تَقُومَ الساعةُ إلا حدَّثَ به، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظهُ، ونسيَهُ مَنْ نَسيَهُ، قد عَلِمَهُ أَصحابي هؤلاء، وإنهُ ليكونُ الرجلُ منهُ الشيءُ قد نسيتهُ، فأَراهُ فأَذكرُهُ كما يَذْكُرُ الرجلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إذا غابَ عنهُ، فإذا رآهُ عرفهُ)[2].

---

(١) فتح الباري: (٣٧/١٣) تعليقاً على حديث رقم: (٧٠٨٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٩١/٢٣)، وأبو داود برقم: (٤٢٤٠)، والبخاري برقم: (٦٦٠٤)، وأحمد في المسند: (٣٨٥/٥، ٣٨٩، ٤٠١)، والحاكم: (٤٨٧/٤).

● عن حُذيفة رضي الله عنه قال:

(أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيء إلاّ قد سألته، إلاّ أني لم أسأله:

ما يخرج أهل المدينة من المدينة)[1].

● عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال:

(والله إني لأعلمُ الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسر إليَّ في ذلك شيئاً لم يُحَدِّثْهُ غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه عن الفتن. فقال رسول الله ﷺ، وهو يعد الفتن:

«منهن ثلاثٌ لا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئاً، ومنهن فتن كرياح الصيف، منها صغار، ومنها كبار».

قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري)[2].

(جـ) حذيفة رضي الله عنه مرجع للصحابة في علم الفتن:

كان حذيفة رضي الله عنه ملاذاً ومرجعاً للصحابة والتابعين في علم الفتن، والسؤال عن المسائل العويصة حين تنزل الخطوب، وتشتد المحن، ولتأكيد هذا المعنى أذكر هذه النماذج.

سؤال عمر رضي الله عنه له عن الفتن:

● عن حُذَيفة رضي الله عنه قَالَ:

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٩١/٢٤)، والطيالسي برقم: (٤٣٣) وأحمد في المسند: (٥/٣٨٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٩١/٢٢)، وأحمد في المسند: (٥/٣٨٨، ٥٠٧).

(كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَال: أَيُكُمْ سَمِعَ رَسولَ الله ﷺ يَذْكُرُ الفِتَنَ؟

فقالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ.

فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتنة الرَّجُلِ في أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟

قَالُوا: أَجَلْ.

قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ والصَّدَقَةُ، وَلكِنْ أَيُكُمْ سَمِعَ النبيَّ ﷺ يَذكُرُ الفِتَنَ الَّتي تَموجُ مَوْجَ البَحر؟

قَالَ حُذَيفةُ: فَأَسْكَتَ القَوْمُ، فَقُلْتُ: أَنَا.

قالَ: أَنتَ، لِلَّهِ أَبوكَ.

قَالَ حُذَيْفةُ: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «تعرض الفتن على القلوبِ كالحصيرِ عُوداً عُوداً، فأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فيه نكتةٌ سَوداءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنكَرهَا نُكتَ فيه نكتةٌ بيضاءُ، حَتَّى تصيرَ على قَلْبَينِ، على أَبيضَ مِثلَ الصَّفا، فلا تضرهُ فتنةٌ ما دامت السمواتُ والأرضُ، والآخرُ أَسْوَدُ مُرْبَاداً، كالكُوزِ مُجَخِّيا لا يعرفُ معروفاً ولا ينكرُ مُنْكراً، إلاّ ما أُشْربَ مِنْ هَوَاهُ».

قَالَ حُذيفةُ: وحدثتهُ، أَنَّ بينك وَبيْنَها باباً مُغْلقاً يُوشِكُ أن يُكْسَر.

قال عُمَرُ: أكسْراً، لا أَبالَكَ! فلو أنه فُتِحَ لَعَلَّهُ كانَ يُعادُ، قُلتُ: لا. بَلْ يُكْسَرُ. وَحَدثْتُهُ أَنَّ ذلكَ البابَ رَجلٌ يُقتلُ أو يموتُ، حديثاً ليس بالأغاليط)[1].

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٢٥)، ومسلم برقم: (١٤٤)، والترمذي في الفتن برقم: (٢٢٨٥)، وابن ماجه برقم: (٣٩٥٥)، وأحمد في المسند: (٥/٤٠١ ـ ٤٠٢).

مفزع أسير بن عمرو إليه:

● عن أسير بن عمرو قال:

لما كان في الناس من القتل ما كان، سمعت بأبـي مسعود (يعني الأنصاري البدري) سار (يعني يريد الخروج إلى المدينة) فلحقته بالسليحين ـ اسم موضع ـ فإذا هو في بستان قد توضأ، فاستقبلته، فأجلسته، فحمدت الله عز وجل وأثنيت عليه، ثم قلت: قد كان لك صاحبان مفزعي إليهما أبو موسى وحذيفة، (وفي رواية: كان فينا ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ، فأما حذيفة فمات، وأما أبو موسى فأتى الشام، وإنك أخذت في هذا الوجه)، وإني حُدثت بمسيرك وتبعتك وإني لمحمود، وإني أنشدك الله عز وجل، وأنشدك الإسلام، إن كنت سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً في هذه الفتن ألا حدثتني، وإن كنت لم تسمع ألا جهدت لي رأيك.

فقال: عليكَ بتقوى الله عز وجل، وعليك بعظم أُمة محمد، فإن الله لم يجمع أُمته على ضلالة.. واصبر حتى يستريح بر، أو يستراح من فاجر)[١].

مفزع حبة بن جوين العرنـي إليه عند نزول الفتنة:

(أتاه حبة بن جوين العرنـي وأبو مسعود وهو بالمدائن في أيامه الأخيرة فقال:

مرحباً بكما، ما خلفتما من قبائل العرب أحداً أحب إلي منكما،

---

(١) المعرفة والتاريخ للفسوي: (٣/ ٢٤٤)، تهذيب التهذيب: (١/ ٣٧٨)، التاريخ الصغير: (١/ ١١٤).

فأسندته إلى أبي مسعود فقلنا: يا أبا عبد الله حدثنا فانا نخاف الفتن.

قال: عليكما بالفئة التي فيها ابن سميه ـ يعني عماراً)[1].

مفزع الناس إليه يوم الفتنة:

● عن بلال بن يحيى العبسي قال:

بلغني أنه لما قتل عثمان رضي الله عنه، أُتي حذيفة وهو بالموت فقالوا له:

يا أبا عبد الله، ما تأمرنا، فإن هذا الرجل قد قتل؟ قال: فقال: أما إذا أَبيتم فأجلسوني، وأسند إلى صدر رجل فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«أبو اليقظان على الفطرة، ولا يدعها حتى يموت، أو ينسيه الهرم»[2].

(د) خوفه من تكذيب الناس له إذا حدث بأحاديث الفتن:

لم يكن خوف حذيفة رضي الله عنه نابعاً من جبنه، فهو كان يتمتع بشجاعة نادرة لا يتميز بها إلا القلة من الناس، وكان واضحاً صريحاً لا يخشى في الله لومة لائم، جريئاً في قول كلمة الحق، ولكن خوفه كان نابعاً من أن لا يصدق الناس حديثه عن الفتن، حيث أنهم كانوا يعيشون في ظل خلافة راشدة على منهاج النبوة، فلذلك لن يصدق الكثير منهم أن الفتن ستتخلل ديارهم وبلادهم، وتدخل إلى

(١) تاريخ الطبري: (٥/٣٨ ـ ٣٩).

(٢) سير أعلام النبلاء: (١/٢٩٨)، طبقات ابن سعد: (٣/٢٦٣)، تاريخ ابن أبي شبة: (٤/١٤٤٩ ـ ١٤٥٠).

قلوب الكثيرين منهم فتؤثر فيها، بل لم يكن يخطر ببال أي واحد منهم أنه سيقتل أخاه، ويمشي إلى قتاله بالسيف، ولذلك سيستغربون هذا الحديث منه. وسيصل استغرابهم إلى حد تكذيبه، بل قد يزيد إلى حد قد يصل إلى القتل لأنه أخبرهم عن أحاديث الفتن هذه، وهذا ما تؤكده أقوال حذيفة رضي الله عنه:

- عن قتادة عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(لو كنت على شاطىء نهر وقد مددت يدي لأغرف، فحدثتكم بكل ما أعلم ما وصلت يدي إلى فمي حتى أقتل)[1].

- عن أبي البختري عن حذيفة رضي الله عنه قال:

لو شئت لحدثتكم بألف كلمة تصدقوني عليها وتتابعوني وتنصروني، ولو شئتُ لحدثتكم بألف كلمة تكذبونني عليها وتجانبونني وتسبونني)[2].

- عن أبي الطفيل قال:

انطلقت أنا وعمرو بن صليع إلى حذيفة بن اليمان وعنده سماطان من الناس، فقلنا:

يا حذيفة! أدركت ما لم ندرك، وعلمت ما لم نعلم، وسمعت ما لم نسمع، فحدثنا بشيء لعل الله أن ينفعنا به.

فقال لو حدثتكم بكل ما سمعت ما انتظرتم بي الليل القريب...)[3].

---

(١) المعرفة والتاريخ: (١/٤٨٦)، الفقيه والمتفقه: (٢/١٩٧)، تهذيب الكمال: (٥/٥٠٧).

(٢) حلية الأولياء: (١/٢٧٥).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٤/٤٦٩ ـ ٤٧٠)، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي.

● عن أبـي البختري قال حذيفة رضي الله عنه:

(لو حدثتكم بحديث لكذبني ثلاثة أثلاثكم، قال: فَفَطِن له شابٌ، فقالَ: مَنْ يُصَدِّقُكَ إذا كَذَّبَكَ ثلاثة أثلاثنا؟

فقال: إن أصحاب محمد ﷺ كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر.

قال: فقيل: ما حملك على ذلك؟

فقال: إنَّه من اعترف بالشر وقع في الخير)[1].

(هـ) سبب سؤاله عن الشر في أحاديث الفتن:

إن نظرة الإسلام إلى الخير والشر نظرة شاملة، وتتلخص هذه النظرة بأن القسمة الحقيقية في فلسفة الخير والشر ثلاثية الأطراف وليست ثنائية، كما يسبق إلى الوهم.

فهناك خير محض، وهناك شر محض، وهناك أمور لا توصف لذاتها بأنها خير أو بأنها شر، إنما هي وسائل صالحة لأن تستعمل في الخير، ولأن تستعمل في الشر.

أمّا ما هو خير محض: فلا يمكن أن يأتي إلاّ بخير، ولا يمكن أن ينجم عنه إلاّ خير، ونستطيع أن نمثل لذلك بمعرفة الله وعظيم صفاته، فإن هذه المعرفة لذاتها خير محض لا يمكن أن ينجم عنه إلا خير.

وأمّا ما هو شر محض: فلا يمكن أن يأتي إلا بشر، ولا يمكن أن ينجم عنه إلا شر، ونستطيع أن نمثل له بالظلم وجحود الحق، فكل

---

(١) تهذيب الكمال: (٥/٥٠٧).

منهما شر لا يمكن أن ينجم عنه إلا شر.

وأما الأمور التي لا توصف لذاتها بخير أو شر وهي صالحة بحسب الاستعمال لكل منهما: فجميع ما خلق الله في الوجود من وسائل سلط يد عباده عليها ليبتليهم فيها، هل يستعملونها في الخير أم يستعملونها في الشر. ولحرص حذيفة رضي الله عنه الشديد على الإسلام وأبناء أمة الإسلام، وخوفه على أبناء الإسلام من كل ما قد يؤدي بهم إلى مخالفة أوامر الله ونواهيه، فقد سأل عن أسباب الشر ليتوقاه هو، وليكون سبباً في توقي الأمة الإسلامية لهذا الشر، فالذي يعرف الشر وأبوابه ووسائله وطرقه، يستطيع أن يتقيه ويحذره ويسارع في الابتعاد عنه، ويسلك الطريق المقابل الموصل إلى الخير، وقد تخصص رضي الله عنه دون الصحابة الآخرين في السؤال عن هذا الباب، بل قد تفرد بذلك، وهذه ميزة عظيمة لحذيفة رضي الله عنه، تدل على إخلاصه النادر لهذا الدين ومحبته له فهو يريد أن يتعرف على كل الأسباب التي قد تصل به إلى الضعف والوهن، ويتعرف على دعاة الشر ليحبط كيدهم وخططهم، ويبعد شرهم عن هذا الدين.

- عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال:

(هذه فتن قد أظلت كجباه البقر يهلك فيها أكثر الناس، إلا من كان يعرفها قبل ذلك)[1].

- عن أبـي البختري، قال حذيفة:

(لو حدثكم بحديث لكذبني ثلاثة أثلاثكم، قال: ففطن له شابٌّ. فقالَ: مَنْ يُصَدِّقُكَ إذا كَذَّبَكَ ثلاثة أثلاثنا؟

---

(١) نعيم بن حماد في الفتن برقم: (٥).

فقال: إن أصحاب محمد ﷺ كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر.

قال: فقيل له: ما حملك على ذلك؟

فقال: إنَّه من اعترف بالشر وقع في الخير)[1].

فحذيفة إذن يريد أن يعرف الشر ليصل إلى الخير، ولأن الذين يعرفون الشر ووسائله وطرقه، هم الذين يحسنون النجاة من الفتنة إذا نزلت، ومن الخطوب إذا ألمت بالناس.

(و) معرفة حذيفة بالدورات التاريخية والحضارية لهذه الأمة:

إن الله تعالى لا يكل الناس إلى فلتات عابرة، ولا إلى جزاف لا ضابط له، إنما هي سنته يمضي بها قدره، فلقد آتاهم الله من نعمته، ورزقهم من فضله، ومكن لهم في الأرض، وجعلهم خلائف فيها... وهذا كله إنما يعطيه الله للناس ابتلاءً منه وامتحاناً، لينظر أيشكرون أم يكفرون؟ ولكنهم كفروا ولم يشكروا، وطغوا وبغوا بما أُعطوا، وغيرتهم النعمة والقوة فصاروا جبابرة وطواغيت كفرة فجرة.. وجاءتهم آيات الله فكفروا بها... وعندئذ حقت عليهم سنة الله في أخذ الكافرين بعد أن تبلغهم آياته فيكذبوا بها، وعندئذ غير الله النعمة، وأخذهم العذاب ودمر عليهم تدميراً.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

(١) تهذيب الكمال: (٥/٥٠٧).

(٢) سورة الأنفال: الآية (٥٣).

إن الله سبحانه يقرر عدله في معاملة العباد، فلا يسلبهم نعمة وهبهم إياها إلا بعد أن يغيروا نواياهم، ويبدلوا سلوكهم، ويقلبوا أوضاعهم، ويستحقوا أن يغير ما بهم مما أعطاهم إياه للابتلاء والاختبار من النعمةِ التي لم يقدروها ولم يشكروها. . . ومن الجانب الآخر يكرم هذا المخلوق الإنساني أكبر تكريم، حين يجعل قدر الله به ينفذ ويجري عن طريق حركة هذا الإنسان وعمله، ويجعل هذا التغيير القدري في حياة الناس مبنياً على التغيير الواقعي في قلوبهم ونواياهم وسلوكهم وعملهم، وأوضاعهم التي يختارونها لأنفسهم. . .

ومن الجانب الثالث يلقي تبعة عظيمة ـ تقابل التكريم العظيم ـ على هذا الكائن، فهو يملك أن يستبقي نعمة الله عليه، ويملك أن يزاد عليها، إذا هو عرف فشكر، كما يملك أن يزيل هذه النعمة عنه إذا هو أنكر وبطر، وانحرفت نواياه فانحرفت خطاه.

وهذه الحقيقة الكبيرة تمثل جانباً من جوانب (التصور الإسلامي لحقيقة الإنسان)، وعلاقة قدر الله به في هذا الوجود، وعلاقته هو بهذا الكون وما يجري فيه. . ومن هذا الجانب يتبين تقدير هذا الكائن في ميزان الله، وتكريمه بهذا التقدير، كما تتبين فاعلية الإنسان في مصير نفسه، وفي مصيرِ الأحداث من حوله، فيبدو عنصراً إيجابياً في صياغة هذا المصير ـ باذن الله وقدره الذي يجري من خلال حركته وعمله ونيته وسلوكه ـ وتنتفي عنه تلك السلبية الذليلة التي تفرضها عليه المذاهب المادية، التي تصوره عنصراً سلبياً إزاء الحتميات الجبارة، حتمية الاقتصاد، وحتمية التاريخ، وحتمية التطور. . . إلى أخر الحتميات التي ليس للكائن الإنساني إزاءها حول ولا قوة، ولا يملك إلا الخضوع

المطلق لما تفرضه عليه وهو ضائع خانع مذلول.

وتصور هذه الحقيقة ذلك التلازم بين العمل والجزاء في حياة هذا الكائن ونشاطه، وتصور عدل الله المطلق، في جعل هذا التلازم سنة من سننه يجري بها قدره، ولا يظلم فيها عبد من عبيده[1].

ولقد بلغ الوعي السياسي والحركي الرفيع، وعمق النظر عند حذيفة إلى حده الأعلى، حين أدرك كيفية التعامل الصحيح مع القواعد والسنن الكونية الخاصة بالتطور الحضاري، والدورات التاريخية للأمم، وعلم من خلال ذلك أن ما من أمة آتاها الله نعمة من نعمه فلم تقم بها على وجهها الصحيح إلا بدلت بها حالاً أسوأ.

ولهذا سارع حذيفة رضي الله عنه إلى السؤال عن مستقبل الأحداث لهذه الأمة، ليطمئن على أحوالها وما سيصيبها من تقلبات حضارية، من خير إلى شر، إلى خير آخر، ومن قوة في التزام الأحكام الشرعية وعدل وخلافة على منهاج النبوة، إلى ملك جبري عضوض، إلى خلافة أخرى على منهاج النبوة. ولقد برز في أسئلته رضي الله عنه حرصه الشديد على هذه الأمة، ولذلك افترض اسوأ التقلبات الحضارية التي قد تنزل بأمة من الأمم. وسأل عن علاج تلك التقلبات الحضارية، فاستطاع بذلك أن يجعل من مستقبل هذه الأمة صفحة بيضاء مفتوحة، تستطيع الأمة الإسلامية من خلالها أن تتعرف على مراحل هذا المستقبل فتعد لكل أمر عدته، فلا تضرب في دربها خبط عشواء دون أن يكون لها قبساً من النور يهدي طريقها، ولهذا فإن النبي ﷺ ما قبض حتى

(١) في ظلال القرآن: (٣/ ١٥٣٥ ـ ١٥٣٦).

وضح لها الطريق، وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وسأورد فيما يلي حديثين هامين يوضحان هذه التقلبات الحضارية، والدورات التاريخية. واعلق عليهما بما يزيل غامض الأمر فيهما، وأحاول أن أنزل هذين الحديثين على تاريخ هذه الأمة:

• عن أبي إدريس الخولاني قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألونَ رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسألهُ عن الشر، مخافة أن يدركني.

فقلت: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟

قال: «نعم». فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: «نعم، وفيه دخن». قلت: وما دخنه؟

قال: «قومٌ يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديـي، تعرف منهم وتنكر».

فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها».

فقلت: يا رسول الله! صفهم لنا.

قال: «نعم، قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا».

قلت: يا رسول الله! فما ترى إن أدركني ذلك؟

قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»

فقلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

«قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك»[1].

وفي رواية أخرى: قال حذيفة بن اليمان:

قلت: يا رسول الله! إنا كنا بشر، فجاء الله بخير، فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟

قال: «نعم». قلت: هل وراء ذلك الشر خيرٌ؟

قال: «نعم». قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟

قال: «نعم». قلت: كيف؟

قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوبُ الشياطين في جثمان إنس».

قال: قلتُ: كيف أصنع؟ يا رسول الله! إن أدركت ذلك؟

قال: «تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع»[2].

وفي رواية أخرى قال حذيفة:

وكان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، وعرفت أن الخير لم يسبقني، فقلت: يا رسول الله، هل بعد هذا الخير من شر؟

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٦٠٦، ٧٠٨٤)، ومسلم برقم: (١٨٤٧/٥١)، والبيهقي في السنن: (٨/ ١٩٠)، والدلائل: (٦/ ٤٩٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٨٤٧/٥٢).

فقال: «يا حذيفة، تعلم كتاب الله واتبع ما فيه»، يقولها لي ثلاث مرات.

قال: قلت: يا رسول الله، هل بعد هذا الخير من شر؟

قال: «فتنة وشر»، قال: قلت: يا رسول الله، هل بعد هذا الشر خير؟. قال: «هدنةٌ على دَخَن».

قال: قلتُ: يا رسول الله، هدنة على دخن ما هي؟

قال: «لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه».

قال: قلت: يا رسول الله، هل بعد هذا الخير شر؟

قال: «يا حذيفة، تعلم كتاب الله، واتبع ما فيه» ثلاث مرات.

قلت: يا رسول الله هل بعد هذا الخير شر؟

قال: «فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار، فإن مت يا حذيفة وأنت عاض على جذر خشبة يابسة خير لك من أن تتبع أحداً منهم»[1].

وفي رواية:

«تكون هدنة على دخن. ثم يكون دعاة الضلالة، قال: فإن رأيت يومئذ خليفة... في الأرض فألزمه، وإن نهك جسمك، وأخذ مالك، فإن لم تره فاهرب في الأرض، ولو أن تموت وانت عاضٌ بجذل شجرة»[2].

وفي رواية قال حذيفة:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/٣٨٦ ـ ٣٨٧)، وأبو داود برقم: (٤٢٤٦)، وابن أبي شيبة: (١٥/٩، ١٧)، وابن حبان برقم: (٥٩٦٣) وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٥/٤٠٣)، وأبو داود برقم: (٤٢٤٧)، وهو حديث حسن لمتابعاته وشواهده، وقد أخرجه الحاكم: (٤/٤٣٢).

يا رسول الله إنا كنا في شر، فذهب الله بذلك الشر، وجاء بالخير على يديك، فهل بعد الخير من شر؟

قال: «نعم». قال: وما هو؟

قال: «فتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً تأتيكم مشتبهة كوجوه البقر، لا تدرون أياً من أي»[١].

والحديث الآخر الذي يفسر هذا الحديث الذي ذكرت مجموع رواياته وهو ما جاء:

● عن النعمان بن بشير قال: كنا قعوداً في المسجد، وكان بشير رجلاً يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبة الخشني، فقال: يا بشير بن سعد أتحفظ حديث رسول الله ﷺ في الأمراء؟

فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة.

فقال حذيفة: قال رسول الله ﷺ:

«تكون النبوةُ فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها.

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها.

ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها.

ثم تكون ملكية جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٩١)، والحديث حسن لمتابعاته.

يرفعها الله إذا شاءَ أن يرفعها.

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»[1].

لقد حدد حذيفة رضي الله عنه في هذين الحديثين المراحل التاريخية التي ستمر على الأمة الإسلامية في مستقبلها، وسأل عن هذه المراحل، مرحلة مرحلة، عن تفصيلات كل مرحلة ومواصفاتها، والباحث حين يقف مع هذه المراحل محاولاً أن ينزل ما في هذين الحديثين على تاريخ الأمة الإسلامية من زمن النبـي ﷺ إلى أيامنا وما بعدنا. سيلحظ انطباقاً كاملاً على مراحل هذا التاريخ، وساثبت فيما يلي جدولاً أحاول من خلاله أن أطابق بين الحديثين وبين ما جاء في تاريخنا الإسلامي، سأطلق على الحديث الأول: حديث الخير والشر، وعلى الحديث الثاني: حديث الخلافة والأمراء.

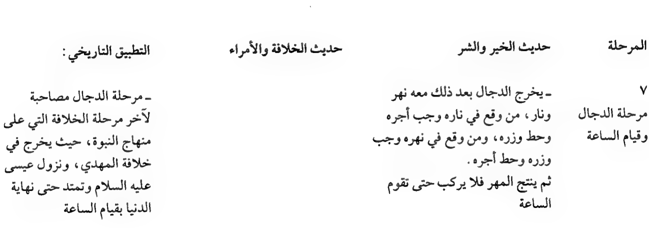
(١) أخرجه أحمد في المسند: (٤/ ٢٧٣)، والطيالسي برقم: (٤٣٨)، والبزار برقم: (١٥٨٨)، وقال الهيثمي في المجمع: (٥/ ١٨٩) رواه أحمد والبزار أتم منه، والطبراني ببعضه في الأوسط ورجاله ثقات.

المرحلة	حديث الخير والشر	حديث الخلافة والأمراء	التطبيق التاريخي :
١	ـ إنا كنا في جاهلية وشر ـ إنا كنا بِشرٍ.		جاهلية قبل الإسلام
٢ الخير الأول نبوة + خلافة راشدة	ـ فجاءنا الله بهذا الخير. ـ وجاءنا بالخير على يديك ـ فجاء الله بخير فنحن فيه	ـ تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعهاإذا شاء أن يرفعها ـ ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها	ـ مرحلة النبوة ـ مرحلة الخلافة الراشدة وانتهت بخلافة الحسن رضي الله عنهم جميعاً.
٣ الشر الأول فتنة وشر	ـ هل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. ـ فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: نعم، قال: وما هو؟ قال فتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً تأتيكم مشتبهة كوجوه		ـ الفتنة التي ابتدأت بقتل عثمان رضي الله عنه، وما وقع من الشرور بين المسلمين وقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واشتباه الأمر على كثير من الصحابة

المرحلة	حديث الخير والشر	حديث الخلافة والأمراء	التطبيق التاريخي :
	البقر لا تدرون أياً من أي . ـ هل بعد هذا الخير من شر؟ قال : فتنة وشر		
٤ الخير الثاني خير فيه دخن	ـ هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال : نعم وفيه دخن . قلت : وما دخنه؟ قال : قوم يستنون بغير سنتي ، ويهدون بغير هديـي ، تعرف منهم وتنكر . ـ يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس . ـ هل بعد هذا الشر خير؟ قال : هدنة على دخن . قلت : يا رسول الله ، هدنة على دخن ما هي؟	ـ ثم تكون ملكاً عاضّاً ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها .	ـ ابتدأت هذه المرحلة باجتماع كلمة المسلمين حين تنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لتبدأ مرحلة الملك الوراثي الخلافة الوراثية التي خالف فيها الخلفاء والملوك هدي النبـي الشوري في تولي الخلافة ، ولتمتد هذه الخلافة عبر مرحلة : الخلافة الأموية

المرحلة	حديث الخير والشر	حديث الخلافة والأمراء	التطبيق التاريخي :
	قال : لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه .		الخلافة العباسية الخلافة العثمانية
٥ (أ) الشر الثاني دعاة الضلالة وانعدام الخلافة	هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال : نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها . فقلت : يا رسول الله : صفهم لنا . قال : نعم : قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا . قلت : يا رسول الله . فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم . قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام .	ـ ثم تكون ملكية جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها .	ـ مرحلة الحكم الجبري الديكتاتوري بالحديد والنار في البلاد الإسلامية . وهي مرحلة سقوط الخلافة الإسلامية ، وانعدام وجود الإمام الجامع ، وهي مرحلة ممتلئة بدعاة الضلالة الذين يدعون إلى غير ملة الإسلام وهي مرحلة يحكم فيها المسلمون بغير شرع الله تعالى .

المرحلة	حديث الخير والشر	حديث الخلافة والأمراء	التطبيق التاريخي :
٥ (ب) مرحلة العمل لإعادة الإسلام إلى واقع حياة المسلمين	ـ قال : يا حذيفة، تعلم كتاب الله، واتبع ما فيه ـ ثلاث مرات. ـ اعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.		ـ هي مرحلة مصاحبة لمرحلة انعدام الخلافة، ووجود الحكم الجبري، وهي مرحلة العمل لإعادة الإسلام إلى واقع المسلمين، وتعلم كتاب الله واتباع ما فيه من أحكام، وهو معنى اعتزال دعاة الضلالة الذين يدعون إلى غير ملة الإسلام كالقومية والشيوعية، وغيرها.
٦ مرحلة الخلافة الأخيرة		ثم تكون خلافة على منهاج النبوة	ـ وهي المرحلة التي نعمل لأجلها، وننتظر تحقق وعد الله بحصولها، عجل الله بهذا الخير للمسلمين.



المرحلة	حديث الخير والشر	حديث الخلافة والأمراء	التطبيق التاريخي :
٧ مرحلة الدجال وقيام الساعة	ـ يخرج الدجال بعد ذلك معه نهر ونار، من وقع في ناره وجب أجره وحط وزره، ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره. ثم ينتج المهر فلا يركب حتى تقوم الساعة		ـ مرحلة الدجال مصاحبة لآخر مرحلة الخلافة التي على منهاج النبوة، حيث يخرج في خلافة المهدي، ونزول عيسى عليه السلام وتمتد حتى نهاية الدنيا بقيام الساعة

(ز) معاينة حذيفة مطالع الفتن:

بدأت الفتن تطل بأعناقها في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، حين بدأت تحركات السبئيين لاثارة الفتنة تعمل عملها للفتك في بنية المجتمع الإسلامي، تحت شعار ظاهره الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهم من هذا الشعار براء، وباطن أمرهم العمل على هدم الخلافة والخروج على الخليفة. وقد بدأ هذا التحرك بإعلان التمرد على تعيين الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لسعيد بن العاص رضي الله عنه والياً على الكوفة، وخرج الغوغاء بتحريض خفي من السبئيين لمنع الوالي سعيد بن العاص من الدخول إلى الكوفة. ولولا حنكة الخليفة في التعامل مع مثيري الفتنة لأريقت في ذلك دماء وأي دماء، فقام بإعادة الوالي إلى المدينة، وعين أبا موسى الأشعري والياً بدلاً منه، ولقد عاين حذيفة رضي الله عنه هذه الفتنة وهي تطل برأسها فتعامل معها بتوازن دقيق من خلال خبرته الواسعة التي اكتسبها من فهمه لأحاديث الفتن.

فتنة يوم الجرعة:

● عن أبي ثور الحدائي أنه قال:

(دفعتُ إلى حذيفة بن اليمان وأبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري، وهما في مسجد الكوفة يوم الجرعة، حيث صنع الناس بسعيد بن العاص ما صنعوا، وأبو مسعود يعظم ذلك ويقول:

ما أرى أن ترد على عقبيها حتى يكون فيها دماء..

فقال حذيفة: والله لتردن على عقبيها وليس فيها محجمة من دم، وما أعلم اليوم منها شيئاً إلا وقد علمته، ومحمد ﷺ حي، وإن الرجل

ليصبح على الإسلام ثم يمسي وما معه منه شيء، ثم يقاتل أهل القبلة، ويقتله الله غداً، فينكص قلبه فتعلوه إسته.

فقلت لأبي ثور: فلعله قد كان.

قال: لا والله ما كان)[1].

● وعن جندب قال:

(جئت يوم الجَرعَة، فإذا رجلٌ جالس.

فقلتُ: ليهراقن اليوم ههنا دماءٌ.

فقال ذاك الرجل: كلا والله! قلت: بلى والله!

قال: كلا والله! قلت: بلى والله.

قال: كلا والله! إنه لحديث رسول الله ﷺ حدثنيه.

قلت: بئس الجليس لي أنت منذ اليوم، تسمعني أُخالفك وقد سمعته من رسول الله ﷺ فلا تنهاني؟

ثم قلت: ما هذا الغضب؟ فأقبلت عليه وأسأله، فإذا الرجل حذيفة)[2].

اعتباره قتل عثمان رضي الله عنه(أول الفتن:

● عن زيد بن وهب عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(أول الفتن **قتل عثمان**، وآخر الفتن خروج الدجال، والذي نفسي بيده، لا يموتن رجل وفي قلبه مثقال حبة من خردل من حب قتل

---

(١) تاريخ الطبري: (٥/ ٩٥ ـ ٩٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن باب في الفتنة التي تموج كموج البحر حديث رقم: (٢٨٩٣).

عثمان، الا تبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره)[1].

(حـ) حذيفة بين العزلة والاختلاط مع الناس:

إن موقف المسلم من الفتن حين نزولها ذو شقين سلبـي وإيجابـي، أما السلبـي فعليه أن يعتزل هذه الفرق الضالة التي تقود الفتن حتى لا يصيبه الداء الذي أصاب أهلها، ولأن مخالطتهم مخالطة أهل النار ودعاتها، وأما الإيجابـي فالبحث عن جماعة المسلمين والاعتصام بها.

وليست العزلة عزلة الخروج من المجتمع إلى البراري والقفار وقمم الجبال، لأن هذا النوع من العزلة يعطي الفرصة لأصحاب الأهواء أن يعمموها ويشيعوها في المجتمع، ويستأثروا بالتوجيه والقيادة، وفي ذلك خذلان للحق وأهله، ولا بد من التنبيه على أمر خطير هو ذلك الخطأ الناشيء عن تعميم المصطلحات على الحالات المتناقضة المتباينة، وأن لا يقدَّر لكل حالة قدرها وأن لا تؤخذ كل كلمة في إطارها المناسب، كأن نأخذ مفهوم العزلة عند سلف الأمة فنعممه على جميع الظروف والأحوال، فيقال إن ابن عمر رضي الله عنه، وسعد بن أبـي وقاص وأبا بكرة رضي الله عنهم قد اعتزلوا الفتنة، وفعل هؤلاء الأصحاب دليل يشهد لمن عزم على ترك المجتمع، ونجد الإمام البخاري يترجم لهذا بباب خاص فيقول: (التعرب في الفتنة أي اللحاق بالأعراب والبادية عند فشو الفتنة).

وقد أخرج (عن سلمة بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ أنه دخل على

---

(١) البداية والنهاية: (٤/ ١٩٢)، تاريخ المدينة لابن أبـي شيبة: (٤/ ١٢٤٧).

الحجاج فقال: يا ابن الأكوع أرتددت على عقبيك، تعربت؟

قال: لا، ولكن رسول الله ﷺ أذن لي في البدو)[1].

قال ابن حجر: (التعرب أي السكنى مع الأعراب، وهو أن ينتقل المهاجر من البلد التي هاجر إليها فيسكن البدو فيرجع بعد هجرته أعرابياً، وكان إذ ذاك محرماً إلا إن أذن له الشارع في ذلك)[2].

فالأصل إذن مع المهاجر من العزلة في البراري والقفار أو اللحاق بالبادية. وإننا إذا نظرنا إلى الحكمة في منع المهاجر من التعرب وجدنا أن الهجرة إنما شرعت لنصرة الإسلام والمسلمين ولدفع الكفر والنفاق عن المجتمع، فإذا ترك المسلم المجتمع تحت وطأة أصحاب الفتن فإنه يكون قد أسهم في هذا المنكر وساعد على استحكامه.

قال ابن حجر: (وقيل يمنع ـ أي التعرب ـ في زمن الفتنة لما فيه من خذلان أهل الحق)[3].

ومن رغب في العزلة من السلف فإنه عنى عدم الاستكثار من الأصحاب والمبالغة في مألوف العادات، والإسراف في الأسمار والمباحات. قال الإمام أبو سليمان الخطابي:

(ولسنا نريد بهذه العزلة التي نختارها مفارقة الناس في الجماعات والجمعات، وترك حقوقهم في العبادات، وإفشاء السلام ورد التحيات وما جرى مجراها من وظائف الحقوق الواجبة لهم، وصنائع السنن والعادات المستحسنة فيما بينهم، فإنها مستثناة بشرائطها، جارية على

---

(١) أخرجه البخاري في الفتن حديث رقم: (٧٠٨٧).

(٢) فتح الباري: (١٣/ ٤١).

(٣) المرجع السابق نفسه.

سبلها، ما لم يحل دونها حائل شغل ولا يمنع عنها مانع عذر، إنما نريد بالعزلة ترك فضول الصحبة ونبذ الزيادة منها وحط العلاوة التي لا حاجة بك إليها)[١].

وهنالك مسألة لا بد من بيانها قبل الفراغ من موضوع العزلة، وهي تحديد نوع الفتنة الداعية إلى ترك المجتمع واعتزاله وعدم المشاركة في أحداثه، أو الداعية إلى الثبات في مواقع التأثير لمقاومة الفتن ومجابهتها.

أما الفتن التي تدعو إلى ترك المجتمع واعتزاله فهي: فتنة التنافس على الملك والدنيا حتى لا يعلم المحق من المبطل، ومنها الفتنة التي تقع بين صفين من المسلمين حيث يشتبه الحق بالباطل، ولا يعرف المحق من المبطل.

وأما الموقف الإيجابي من الفتن فهو البحث عن الجماعة المؤمنة والطائفة الظاهرة واعطاؤها ثمرة الجهد وصادق الانتماء، وهذا أمر لا خيار للمؤمن فيه[٢].

ولقد تنازعت حذيفة رضي الله عنه رغبة شديدة في الاعتزال للفتنة وأهلها. والتقليل من مخالطة الناس ومجانبة مجالسهم، ولكنه رضي الله عنه اختار الموقف الإيجابي في مخالطة الناس دون أن يؤثر ذلك على دينه وعقيدته، بل بذل جهوداً موسعة ليوعي الناس ويثقفهم

---

(١) فتح الباري: (١٣/ ٤١).

(٢) فتنة الفرق والأهواء وموقف المسلم منها لأستاذنا الدكتور همام سعيد حفظه الله ونفع به المسلمين: ص (٣٣ ـ ٣٨).

بخطر الفتن وما تسببه من آثار مدمرة على المجتمع المسلم، وعلى دين الإنسان المؤمن، وسنلحظ ذلك من مجموع أقواله رضي الله عنه في هذا الموضوع:

رغبة في العزلة لو استطاع:

● قال حذيفة رضي الله عنه:

(لوددت أن لي إنساناً يكون في مالي ثم اغلق علي الباب، فلم أدخل عليَّ أحداً حتى ألقى الله عز وجل)[1].

الأخذ من الدنيا والآخرة:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(ليس خيركم الذين يتركون الدنيا للآخرة، ولا الذين يتركون الآخرة للدنيا، ولكن الذين يتناولون من كل)[1].

ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (موقف إيجابي من الفتن):

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(لعن الله من ليس منا، والله لتأمرن بالمعروف ولتناهون عن المنكر، أو لتقتتلن بينكم، فليظهرن شراركم على خياركم، فليقتلنهم حتى لا يبقى أحد يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، ثم تدعون الله عز وجل فلا يجيبكم بمقتكم)[2].

● عن أبي الرقاد قال:

خرجت مع مولاي وأنا غلام فدفعت إلى حذيفة ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) حلية الأولياء: (١/٢٧٨).

(٢) حلية الأولياء: (١/٢٧٩).

وهو يقول: (إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقاً، وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر ولتحضن على الخير، أو ليسحتكم الله جميعاً. بعذاب، أو ليأمرن عليكم شراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم)[1].

مخالطة الناس مع المحافظة على الدين:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(خالط المؤمن وخالط الكافر ودينك لا تَكْلَمَنَّهُ)[2].

(ط) نماذج من مرويات حذيفة في الفتن:

● أسعد الناس في الدنيا عند الفتن:

عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تقومُ الساعةُ حتى يكونَ أَسْعدُ الناسِ بِالدنيا لُكَعٌ ابن لُكَع»[3].

اللكع: لئيم الأصل والنفسية.

● فتنة الناس لبعضهم لبعض أشد من فتنة الدجال:

عن حُذيفة رضي الله عنه قال:

كُنا عندَ النبـي ﷺ، فَذَكَرَ الدجَّالَ، فقالَ: «لَفِتْنَةُ بَعضِكُمْ أَخْوَفُ عِندِي مِنْ فِتنَةِ الدَّجَّالِ، إِنَّها لَيَسَتْ مِنْ فِتنَةٍ صَغِيرَةٍ ولا كَبِيرَةٍ إلاَّ تَتَّضِعُ

(١) حلية الأولياء: (١/ ٢٧٩).

(٢) حلية الأولياء: (١/ ٢٨٠).

(٣) أخرجه الترمذي برقم: (٢٢١٦)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٩) وإسناده حسن لشواهده.

لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ، فمنْ نَجا مِنْ فِتنَةٍ ما قَبْلَها نَجَا منها، وإنهُ لاَ يَضُرُّ مُسلِماً، مَكتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ مُهَجَّاة ك، ف، ر)[1].

● من أسلحة الدجال:

عن ربعي بن حِرَاشٍ قال:

اجتمع حذيفةُ وأبو مسعود، فقال حُذَيْفَةُ: أنا أعلمُ بما مَعَ الدجالِ منهُ، إنَّ مَعَهُ نهراً مِنْ نارٍ، ونهراً من ماءٍ، فالذي يَرَوْنَ أَنَّهُ نارٌ: ماء.

والذي يَرَوْنَ أَنهُ ماءٌ: نارٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذلكَ منكُمْ، فأَرادَ الماءَ فَلْيَشْرَبْ مِنَ الذي يَرَى أَنهُ نارٌ، فإنهُ سَيَجِدُهُ ماءً: .

قال أبو مسعود: هكذا سمعتُ رسول الله ﷺ يقول)[2].

● نهى عن تعريض النفس للبلاء الذي لا تطيقه:

عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«لا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنُ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ».

قالوا: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟

قال: (يَتَعرَّضُ مِنَ الْبَلاءِ لِمَا لا يُطِيقُ)[3].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٨٩)، والبزار برقم: (٣٣٩١، ٣٣٩٢)، وابن حبان برقم: (٦٨٠٧) وقال الهيثمي في المجمع: (٧/ ٣٣٥) رجاله رجال الصحيح والحديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٥٠، ٧١٣٠)، ومسلم برقم: (٢٩٣٤)، وأبو داود برقم: (٤٣١٥)، وابن أبي شيبة في المصنف: (١٥/ ١٣٣ ـ ١٣٤).

(٣) أخرجه الترمذي في الفتن برقم: (٢٢٦١)، وابن ماجة في الفتن برقم: (٤٠١٦) وإسناده حسن.

● المخرج عند الفتن:

عن حُذَيْفة رَضيَ الله عنهُ قال:

قُلْتُ: يا رَسُولَ اللّهِ، هَلْ بَعْدَ هذا الخَيْرِ الذي نَحْنُ فيهِ مِنْ شَرٍّ نَحْذَرُهُ؟

قال: «يا حُذَيْفَة، عليكَ بِكِتَابِ اللّهِ فَتَعلَّمْهُ، وَاتَّبِعْ ما فيهِ خَيراً لَكْ»(١).

(ي) من آرائِهِ في الفتن:

انطلق حذيفة رضي الله عنه من وعي سياسي عميق، ووعي حركي رفيع، وعمق في نظرته إلى الفتن، وهذا ناتج من كم كبير من أحاديث الفتن التي رواها عن السيد الرسول ﷺ، ولذلك فإن نظرته إلى أحداث الفتن كانت تتسم بالعمق، فقد تعلم من الرسول ﷺ كيف يتعامل مع الأحداث، ويحسن التصرف عند نزول الخطوب، ومما زادني قناعة بعمق نظرته ما رأيته وأنا استعرض ذلك الكم الكبير من الأقوال التي قالها وأخبر من خلالها عن أحداث من الفتن ستنزل بهذه الأمة، ولن أستطيع عرض هذا الكم الكبير من الأقوال. ولكنني سأعرض ما يكون عند القارىء صورة كاملة عن نظرة حذيفة إلى الفتن.

١ ـ أي الفتن أشد:

(سأله رجل: أي الفتن أشد؟

قال: أن يعرض عليك الخير والشر، ولا تدري أيهما تترك)(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود مطولاً برقم: (٤٢٤٦)، وأحمد في المسند: (٥/٤٠٦). والحاكم: (٤/٤٣٢) وصححه ووافقه الذهبي والحديث إسناده صحيح.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات: (١/١٥٤)، الاستيعاب: (١/٢٧٧).

٢ ـ شدة الفتن حين نزولها:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(إياكم والفتن، لا يشخص إليها أحد، فوالله ما شخص فيها أحد إلا نسفته كما ينسف السيل الدمن، إنها مشبهة مقبلة حتى يقول الجاهل هذه تشبه، وتبين مدبرة، فإذا رأيتموها فاجثموا في بيوتكم، وكسروا سيوفكم، وقطعوا أوتاركم)[١].

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(كيف أنتم إذا انفرجتم عن دينكم انفراج المرأة عن قبلها، لا تمنع من يأتيها.

قال: فقال رجل: قبح الله العاجز.

قال: بل قبحت أنت)[٢].

٣ ـ تعداد الفتن عند حذيفة:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(ثلاث فتن والرابعة تسوقهم إلى الدجال، التي ترمي بالرضف، والتي ترمي بالنشف، والسوداء المظلمة التي تموج كموج البحر، والرابعة تسوقهم إلى الدجال)[٣].

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

---

(١) حلية الأولياء: (١/٢٧٣ ـ ٢٧٤) الحاكم: (٤/٤٤٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) الحاكم في المستدرك: ٤/٤٥٩ وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) الحلية: (١/٢٧٣).

(جعل في هذه الأمة خمس فتن: فتنة خاصة، وفتنة عامة، وفتنة خاصة، وفتنة عامة، والسوداء التي يكون الناس فيها كالبهائم)(١).

٤ ـ شدة الفتن عند نزولها:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال: (ليأتين على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغريق)(٢).

٥ ـ وقفات الفتن وبغتاتها:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(أتتكم الفتنة ترمي بالرضف، أتتكم الفتنة السوداء المظلمة، إن للفتنة وقفات وبعثات، فمن استطاع منكم أن يموت في وقفاتها فليفعل)(٣). الوقفات: غمد السيف.

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

وقفاتها إذا غُمد السَّيفُ، وبعثاتُها إذا سُلّ السَّيفُ(٤).

٦ ـ ذهاب الفتن بعقول الرجال:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(ما الخمر صرفاً بأذهب بعقول الرجال من الفتنة)(٥).

---

(١) المعرفة والتاريخ للفسوي: (٣/ ٢٢٠).
(٢) حلية الأولياء: (١/ ٢٧٤)، والحاكم: (٤/ ٤٢٥) وصححه ووافقه الذهبي.
(٣) حلية الأولياء: (١/ ٢٧٤)، والحاكم: (٤/ ٤٣٣، ٤٦٥) وصححه ووافقه الذهبي ونعيم بن حماد في الفتن برقم: (١٦٣).
(٤) نعيم بن حماد في الفتن برقم: (١٦٢).
(٥) حلية الأولياء: (١/ ٢٧٤).

٧ ـ **أقسام الناس عند الفتن:**

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(وُكلت الفتنة بثلاثٍ: بالحاد النحرير الذي لا يرتفع له شيء إلا قمعه بالسيف، وبالخطيب الذي يدعوا إليها، وبالسيد. فأما هذان فتبطحهما لوجوهما، وأما السيد فتبعثه حتى تبلو ما عنده)[١].

٨ ـ **التحذير من مواقف الفتن:**

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(إياكم ومواقف الفتن.

قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟

قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه)[٢].

٩ ـ **أمراء الفتن آخر الزمان:**

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(يكون عليكم أمراء يعذبونكم ويعذبهم الله)[٣].

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(لا تزالون بخير ما لم يكن عليكم أمراء، لا يرون لكم عليهم حقاً إلا إذا شاؤوا)[٤].

---

(١) نعيم بن حماد في الفتن برقم: (٣٥٢)، وحلية الأولياء: (١/ ٢٧٤).

(٢) عبد الرزاق في المصنف برقم: (٢٠٦٤٣)، وحلية الأولياء: (١/ ٢٧٧).

(٣) الحاكم في المستدرك: (٤/ ٥٠٤)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) الحاكم في المستدرك: (٤/ ٤٣٥) وصححه ووافقه الذهبي.

١٠ ـ ميت الأحياء:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(يا أيها الناس ألا تسألوني؟ فإن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر.

أفلا تسألون عن ميت الأحياء؟

قال: إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ فدعا الناس من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان، فاستجاب له من استجاب، فحيي بالحق من كان ميتاً، ومات بالباطل من كان حياً.

ثم ذهبت النبوة فكانت الخلافة على منهاج النبوة، ثم تكون ملكاً عضوضاً.

فمن الناس من ينكر بقلبه ويده ولسانه والحق استكمل.
ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه كافاً يده وشعبة من الحق ترك.
ومنهم من ينكر بقلبه كافاً يده ولسانه وشعبتين من الحق ترك.
ومنهم من لا ينكر بقلبه ولسانه ويده فذلك ميت الأحياء)[١].

١١ ـ اختلاط الحق بالباطل في الفتنة:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(الفتنة حقٌ وباطل يشتبهان، فمن عرف الحق لم تضره الفتنة)[٢].

---

(١) حلية الأولياء: (١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤).

(٢) نعيم بن حماد في الفتن برقم: (١٣٢).

١٢ ـ كيف يعرف الإنسان أن الفتنة اصابته أم لا:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(إذا أحب أحدكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا، فلينظر فإن كان رأى حلالاً كان يراه حراماً فقد أصابته الفتنة.

وإن كان يرى حراماً كان يراه حلالاً فقد أصابته)[١].

١٣ ـ خير الناس عند نزول الفتن:

● عن أبي الطفيل قال: (قال حذيفة رضي الله عنه: كيف أنت وفتنة خير أهلها فيها كل غني خفي؟

قال: قلت: والله ما هو إلا عطاء أحدنا ثم نطرح هاهنا وهاهنا ونرمي كل مرمى.

قال: أفلا تكون كابن اللبون لا ركوبة فتركب ولا حلوبة فتحلب)[٢].

١٤ ـ العصمة عند الفتن:

● عن حبة ـ يعني ابن جوين ـ قال:

قال أبو مسعود لحذيفة: إن الفتنة وقعت فحدثني ما سمعته.

قال: (أولم يأتكم اليقين، كتاب الله عز وجل)[٣].

---

(١) الحاكم في المستدرك: (٤/٤٦٧) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) نعيم بن حماد في الفتن برقم: (١٦٦)، والحاكم: (٤/٤٢٩) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) حلية الأولياء: (١/ ٢٧٤).

● عن هزيل بن شرحبيل:

أن أبا مسعود الأنصاري جاء إلى حذيفة بن اليمان. فقال: أخبرنا بأمر نأخذُ به بعدَك.

فقال حذيفة: (إنَّ الضَّلالةَ حقَّ الضَّلالةِ أن تَعْرفَ ما كُنتَ تُنكر، وتُنكر ما كُنت تعرف، فانظر الذي أنتَ عليه اليومَ فتمسّكْ به، فإنّه لا يضرّكَ فتنةٌ بعدُ)[1].

وختاماً فمجموع هذه الآراء في الفتن، تكون عند القارىء صورة واضحة لنظرية متكاملة في التعامل مع الفتن وأحداثها عند حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

---

(١) نعيم بن حماد في الفتن برقم: (١٣٤).



الفَصْل الثامِن

حذيفة بن اليمان
أمين سر رسول الله ﷺ والعالم بالمنافقين

(أ) مقدمة عن النفاق والمنافقين:

إن النفس إذا لم تتجرد لله، لم تتحرر أبداً من ضغط القيم والأوضاع والضرورات والمصالح والحرص والشح، ولم ترتفع أبداً على المصالح والمغانم والمطامع والمطامح، ولم تستشعر أبداً تلك الطلاقة والكرامة والاستعلاء التي يحسها القلب المملوء بالله أمام القيم والأوضاع وأمام الأشخاص والأحداث وأمام القوى الأرضية، والسلطان، وأصحاب السلطان...

ومن هنا تبذر بذرة النفاق، وما النفاق في حقيقته إلا الضعف عن الاصرار على الحق في مواجهة الباطل، وهذا الضعف هو ثمرة الخوف والطمع وتعليقهما بغير الله، وثمرة التقيد بملابسات الأرض، ومواضعات الناس في عزلة عن منهج الله للحياة، وإن طبيعة المنافقين الأولى حين نتلمسهم حسب التوجيه القرآني هي ولاية الكافرين دون المؤمنين.

﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا * وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[1].

وأولى مراتب النفاق أن يجلس المؤمن مجلساً يسمع فيه آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، فيسكت ويتغاضى يسمى ذلك تسامحاً أو يسميه دهاءً. أو يسميه سعة صدر وأفق وإيماناً بحرية الرأي... وهي الهزيمة الداخلية تدب في أوصاله وهو يموه على نفسه في أول الطريق حياءً منه أن تأخذه نفسه متلبساً بالضعف والهوان... إن الحمية لله ولدين الله ولآيات الله، هي آية الإيمان، وما تفتر هذه الحمية إلا وينهار بعدها كل سد وينزاح بعدها كل حاجز وينجرف الحطام الواهي عند دفعة التيار، وإن الحمية لتكبت في أول الأمر عمداً، ثم تهمد، ثم تخمد، ثم تموت، فمن سمع الاستهزاء بدينه في مجلس، فإما أن يدفع، وإما أن يقاطع المجلس وأهله.

فأما السكوت والتغاضي فهو أول مراحل الهزيمة، وهو المعبر بين الكفر والإيمان على قنطرة النفاق، وإن موقف المنافق هو موقف الذبذبة والأرجحة والاهتزاز وعدم الاستقرار والثبات في أحد الصفين: الصف المؤمن أو الصف الكافر... موقف لا يثير إلا الاحتقار في نفوس المؤمنين لذلك يرسم الله صورة النفاق ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ

(١) سورة النساء، الآيات: (١٣٨ ـ ١٤٠).

﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾[1].

إنها صورة المنافقين في كل آن، خوف ومداراة، وقلب منحرف، وضمير مدخول، ومظاهر خالية من الروح، وتظاهر بغير ما يكنه الضمير، الضعف عن المواجهة والجبن عن المصارحة.. سقوط الهمة وضعف العزيمة، إنها أجسام تُعجب، لا أُناسي تتجاوب، انهم خشب لا حركة فيها، ملطوعة بجانب الجدار، فهم الذين يمثلون الخمود الراكد البارد ﴿۞وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[2].

ولخطورة أمر النفاق كان عمر رضي الله عنه يأتي حذيفة بن اليمان (وهو الصحابي الذي عرفه رسول الله بأسماء المنافقين)، لقد كان عمر يأتي حذيفة ليطمئن منه على نفسه: أن الرسول ﷺ لم يُسمه من المنافقين، وكان حذيفة يقول له: يا عمر لست منهم، ولا يزيد.

إن المنافقين نموذج من الناس الذين يعجزون عن احتمال تبعة الرأي وتكاليف العقيدة فيقعدون متخلفين عن الكفاح، فلقد أغلق الله فيهم منافذ الشعور والعلم، وعطل فيهم أجهزة الاستقبال والإدراك بما ارتضوه هم لأنفسهم من الخمول والبلادة، والوهم والاحتجاب عن مزاولة النشاط الحركي المتفتح المنطلق الوثاب ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

---

(١) سورةالنساء، الآية: (١٤٣).

(٢) سورة المنافقون، الآية: (٤).

(٣) سورة المنافقون، الآية: (٩٣).

والنفاق هو صورة للجبن والانزواء والفزع والهلع في ساعة الشدة، والانتفاش وسلاطة اللسان عند الرخاء، والشح على الخير والضن ببذل أي جهد. والجزع والاضطراب عند توهم الخطر من بعيد، هؤلاء هم الذين يقعدون عن الجهاد ويدعون غيرهم إلى القعود: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾[1].

إن النفاق هو صورة تمثل التقلب بين اتجاهين، وإن الإنسان لا يملك أن يتجه إلى أكثر من أُفق واحد، ولا أن يتبع أكثر من منهج واحد، وإلا نافق واضطربت خطاه ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾[2]، وما دام لا يملك إلا قلباً واحداً، فلا بد أن يتجه إلى إله واحد، وأن يتبع منهجاً واحداً، وأن يدع ما عداه من مألوفات وتقاليد وأوضاع وعادات، قلب واحد، فلا بد له من منهج واحد يسير عليه، ولا بد له من تصور كلي واحد للحياة والوجود يستمد منه، ولا بد له من ميزان واحد يزن به القيم، ويقوم به الأحداث والأشياء، وإلا تمزق وتفرق، ونافق والتوى، ولم يستقم على اتجاه.

ولا يمكن للإنسان أن يستمد أخلاقه وآدابه من معين، ويستمد شرائعه وقوانينه من معين آخر، ويستمد أوضاعه الاجتماعية أو

(١) سورة الأحزاب، الآيات: (١٨ـ١٩).
(٢) سورة الأحزاب، الآية: (٤).

الاقتصادية من معين ثالث، ويستمد فنونه وتصوراته من معين رابع، فهذا الخليط لا يكون إنساناً له قلب، إنما يكون مزقاً وأشلاء ليس لها قوام، وصاحب العقيدة لا يملك أن تكون له عقيدة حقاً، ثم يتجرد من مقتضياتها وقيمها الخاصة في موقف واحد من مواقف حياته كلها صغيراً كان هذا أم كبيراً. . لا يملك أن يقول كلمة أو يتحرك حركة أو ينوي نية أو يتصور تصوراً، غير محكوم في هذا كله بعقيدته، إن كانت هذه العقيدة حقيقة واقعة في كيانه، لأن الله لم يجعل له سوى قلب واحد، يخضع لناموس واحد، ويستمد من تصور واحد، ويزن بميزان واحد. . .

لا يملك صاحب العقيدة أن يقول عن فعل فعله: فعلت كذا بصفتي الشخصية، وفعلت كذا بصفتي الإسلامية، إنه شخص واحد له قلب واحد، تغمره عقيدة واحدة، وله تصور واحد للحياة، وميزان واحد للقيم، وتصوره المستمد من عقيدته متلبس بكل ما يصدر عنه في كل حالة من حالاته على السواء.

وبهذا القلب الواحد يعيش فرداً، ويعيش في الأسرة، ويعيش في الجماعة، ويعيش في الدولة، ويعيش في العالم، ويعيش سراً وعلانية، ويعيش عاملاً وصاحب عمل، ويعيش حاكماً ومحكوماً، ويعيش في السراء والضراء، فلا تتبدل موازينه ولا تتبدل قيمه، ولا تتبدل تصوراته، ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾[1] ومن ثم فهو منهج واحد، وطريق واحد، ووحي واحد، واتجاه واحد، وهو استسلام لله وحده، فالقلب الواحد لا يعبد الهين، ولا يخدم سيدين، ولا ينهج

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٤).

نهجين ولا يتجه اتجاهين، وما يفعل شيئاً من هذا إلا أن يتمزق ويتمزق ويتحول إلى أشلاء وركام[1].

(ب) المنافق أشد ضرراً من الكافر:

والمنافق أشد خطراً، وأسوأ ضرراً من الكافر، لأنه ساواه في الكفر، وامتاز عنه بالخداع والتضليل، وإمكانية التسلل في صفوف المسلمين. والتعرف على مواضع الضعف والقوة فيهم، فيكون إيذاؤه شديداً، والحذر منه قليلاً، بخلاف الكافر الذي لا يحصل فيه الاشتباه، ولا يمكن أن يخدع المسلمين بحقيقته الظاهرة[2].

ولهذا كان هذا الصنف من الناس أخطر على المسلمين من غيرهم، لخبث أساليبهم، وكمون عداوتهم، ووصولهم إلى مواقع بين المسلمين، لا يصل إليها غيرهم من الكفار، ويكفيك في إدراك مدى خطورتهم أن تعلم أنهم قاعدة الكفر المستترة في ديار المسلمين، ومنفذ الكفار إلى قلب الأمة المسلمة فهم أعوان كل عدو للمسلمين وأولياؤه[3].

لذا كان الحذر منهم، والاحتياط في التعامل معهم أوجب من اتخاذها مع غيرهم، وليس أدل على هذا من ذلك الحيز الكبير الذي شغله الحديث عنهم في كتاب الله العزيز، فإنه لا تكاد سورة مدنية تخلو من إلقاء الأضواء الكاشفة على زيغهم وخداعهم، حتى بلغ ما خصص

---

(١) طريقة الدعوة في ظلال القرآن أحمد فائز: (١/ ٢٥٧ ـ ٢٦٦) بتصرف.

(٢) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان: ص (٣٩٧).

(٣) الحضارة الإسلامية لأبي الأعلى المودودي: ص (٢٩٤).

للحديث عنهم أو عن أحوالهم وأساليبهم في محاربة الدعوة الإسلامية وصفاتهم الخبيثة، ما يقارب عشر القرآن الكريم، ونزلت سورة بكاملها فيهم سميت باسمهم[1].

ومن هذه السورة التي تحدثت عن المنافقين سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والتوبة، والأحزاب، والحجرات، والنور، والمنافقون، والفتح وغيرها من السورة القرآنية.

ومما يدل على عظم خطرهم وضررهم على الإسلام تلك المواقف التي وقفوها بحق الرسول ﷺ، وبحق المسلمين في مختلف المشاهد والغزوات والمواقف التي كانوا يخذلون المسلمين فيها ومن بينها:

موقفهم ممثلاً بموقف عبد الله بن أبي مع بني قينقاع حين أراد النبي ﷺ إجلاءهم من المدينة، ومثله موقفه يوم إجلاء بني النضير، وانخذالهم يوم أحد بجماعة كبيرة من المنافقين، وموقف عبد الله بن أبي يوم غزوة بني المصطلق، وموقفهم في غزوة الأحزاب، ومحاولتهم اغتيال النبي ﷺ يوم غزوة تبوك وغيرها من المواقف[2].

(جـ) علم حذيفة باسماء المنافقين:

لقد خص رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما فأطلعه على سره، وأعلمه بأسماء المنافقين وحده دون غيره من الصحابة

---

(١) في ظلال القرآن: (٨/ ١٠٤).

(٢) انظر تفصيلات مواقفهم هذه فقد ذكرتها مفصلة ومخرجة في كتابي (صحيح السيرة النبوية).

رضوان الله عليهم ، لما يتميز به من خصال نادرة ، وأخلاق عالية ، وقدرة عجيبة على كتمان الأسرار فلا يفشي سره لأحد ، وبحضور البديهة فلا يرتبك عند الشدائد، ولما يتميز به من شخصية متزنة معتدلة هادئة.

ولقد تميز حذيفة رضي الله عنه باخلاصه النادر في عهد الرسول ﷺ مما دفعه إلى تحري المعلومات عن المنافقين، وكان لجهوده أثر في إحباط فكرهم وإظهار نياتهم الخبيثة للعيان.

ولقد بقي حذيفة متميزاً بالكتمان الشديد وعدم البوح بسر رسول الله ﷺ لأحد من الناس حتى توفاه الله تعالى رضي الله عنه، ولقد وصفه الصحابة الكرام، وغيرهم ممن ترجم له بتخصصه في معرفة أسماء المنافقين فقد جاء:

● عن قيس قال: (سئل علي عن حذيفة فقال: كان أعلم الناس بالمنافقين)[1].

● قال زاذان: أن علياً سئل عن حذيفة فقال: (عَلِمَ المنافقين، وسأل عن المعضلات، فإن تسألوه تجدوه بها عالماً)[2].

● وقال الذهبي: (من نجباء أصحاب محمد ﷺ، وهو صاحب السر)[3].

● وقال: كان النبي ﷺ قد أسر إلى حذيفة أسماء المنافقين،

---

(١) الحاكم في المستدرك: (٣/ ٣٨١).
(٢) سير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٦٣) ورجاله ثقات.
(٣) سير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٦١).

وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة)[1].

● وقال النووي: (وكان صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين يعلمهم وحده)[2].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لعلقمة: (أليس فيكم صاحب السر الذي لم يكن يعلمه غيره ـ يعني حذيفة ـ)[3].

● ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (كان رسول الله ﷺ يسمع من الكفار والمنافقين في أول الإسلام أذى كثيراً، وكان يصبر عليه امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾[4]، لأن إقامة الحدود عليهم كان يفضي إلى فتنة عظيمة ومفسدة أعظم من مفسدة الصبر على كلماتهم، فلما فتح الله مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً. وأنزل الله براءة قال فيها: ﴿جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾[6]، فلما رأى من بقي من المنافقين ما صار الأمر إليه من عز الإسلام، وقيام الرسول ﷺ بجهاد

(١) سير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٦٤).
(٢) تهذيب الأسماء واللغات: (١/ ١٥٤).
(٣) أخرجه البخاري برقم: (٣٧٤٢، ٣٧٤٣)، وأحمد في المسند: (٦/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠)، ومسلم برقم: (٨٢٤٠).
(٤) سورة الأحزاب: الآية (٤٨).
(٥) سورة التوبة: الآية (٧٣ـ ٧٤).
(٦) سورة الأحزاب: الآيات (٦٠ـ٦١).

الكفار والمنافقين أضمروا النفاق، فلم يكن يسمع من أحد.. من المنافقين بعد غزوة تبوك كلمة سوء، وماتوا بغيظهم، حتى بقي منهم أناس بعد موت النبي ﷺ، يعرفهم صاحب السر حذيفة، فلم يكن يصلي عليهم هو، ولا يصلي عليهم من عرفهم بسبب آخر مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه)[1].

ومن كل هذه الأقوال التي ذكرت يتبين لنا أن علم حذيفة رضي الله عنه باسماء المنافقين لم يكن خاصاً بمن حاولوا الاعتداء على رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وإنما كان عاماً بأسماء جميع المنافقين الذين كانوا يقفون من النبي ﷺ والدعوة الإسلامية موقف المعادي، وكان من بين هؤلاء الذين أخبر الرسول ﷺ حذيفة رضي الله عنه من حاولوا الاعتداء عليه صلوات الله عليه وسلامه في غزوة تبوك فقد جاء:

- عن قيس قال:

قلت لعمار: أرأيتم صنيعكم هذا الذي صنعتم في أمر عليّ، أرأياً رأيتموه أو شيئاً عهده إليكم رسول الله ﷺ؟

فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة، ولكن حذيفة أخبرني عن النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ:

«في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط، ثمانية منهم تكفيهم الدُبيلة»[2].

- ومن حديث أبي الطفيل رضي الله عنه قال:

---

(١) الصارم المسلول: ص (٢٢٣ ـ ٢٢٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم حديث رقم: (٢٧٧٩/٩).

(... قال: فسأل عمار رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقال: نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة؟

قال: أربعة عشر رجلاً، فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر، قال: فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثة، قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ، وما علمنا ما أراد القوم.

فقال عمر: أَشهد أن الأثني عشر الباقين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)[1].

(د) اسماء المنافقين الذين غدروا برسول الله يوم تبوك:

● عن علي بن عبد العزيز، قال: حدثنا الزُّبير بن بكّار قال: تسمية أصحاب العقبة:

(مُعَتِّب بن قُشَير بن مُليل من بني عَمرو بن عوف، قد شهد بدراً، وهو الذي قال: يَعِدُنا محمد كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن على خلائه، وهو الذي قال: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا.

قال الزبير ـ يعني ابن بكر ـ: وهو الذي شهد عليه الزبير ـ يعني ابن العوام بهذا الكلام.

ووديعة بن ثابت من بني عمرو بن عوف، وهو الذي قال: إنما كنا نَخُوضُ ونَلْعَبُ، وهو الذي قال: مالي أرى قراءنا هؤلاء أَرغبنا بطوناً، وأَجْبَننا عند اللقاء.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٤٥٣) ورجاله ثقات، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٦/ ١٩٥) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وجد بن عبد الله بن نبتل بن الحارث من بني عمرو بن عوف.
وهو الذي قال جبريل عليه السلام: يا محمد من هذا الأسود كثيرٌ شعر عيناه. كأنهما قِدْران من صُفر ينظر بعيني شَيْطان، وكَبدُه كَبدُ حِمَار يخبر المنافقين بخبرك وهو المجتر بخرئه.

والحارث بن يزيد الطائي حليف لبني عمرو بن عوف وهو الذي سبق إلى الوَشَل ـ يعني البئر ـ الذي نهى رسول الله ﷺ أن يمسه أحد، فاستقى منه.

وأوس بن قيظي وهو من بني حارثة وهو الذي قال: إن بيوتنا عورة، وهو جد يحيى بن سعيد بن قيس.

والجُلَاس بن سُوَيْد بن الصامت، وهو من بني عمرو بن عوف، وبلغنا أنه تابَ بعد ذلك.

وسَعْد بن زُرارة من بني مالك بن النجار وهو المُدَخن على رسول الله ﷺ وكان أصغرهم سناً وأخبثهم.

وقيس بن فهد من بني مالك بن النجار.

وسُويد، وداعس، وهما من بني بَلحُبْلَى، وهما مَنْ جَهَّز ابن أُبـي في تبوك يخذلان الناس.

وقيس بن عمرو بن سَهْل، وزيد بن اللصيت، وكان من يهود قينقاع، فأظهر الإسلام وفيه غِش اليهود، ونفاق من نافق. وسلامة بن الحُمام من بني قينقاع فأظهر الإسلام)[1].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: (٣/ ١٨٤) حديث رقم: (٣٠١٦)، تهذيب الكمال: (٥/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤).

(هـ) الصحابة يسألون حذيفة عن المنافقين:

أصبح حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما مرجعاً يرجع إليه في معرفة المنافقين، وذلك لأن الرسول ﷺ أطلعه على اسمائهم، وعرفه أحوالهم، ولخطورة أمر النفاق والمنافقين فقد كان أصحاب النبي ﷺ وعلى رأسهم عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يخافون على أنفسهم من النفاق، فكانوا يبادرون إلى سؤال حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما عن أنفسهم وهل عدهم الرسول ﷺ مع المنافقين، حين أخبر حذيفة بأسماء أهل النفاق.

وهذا من عظم إيمانهم، وشديد حرصهم على معاني التوحيد التي تمتلأ بها قلوبهم، فكانوا لأجل ذلك يشعرون بالتقصير فيبادرون إلى اتهام أنفسهم.

ولكن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أمين سر رسول الله ﷺ، كان حريصاً كل الحرص على سلامة المجتمع الإسلامي، وسلامة نفوس الصحابة رضوان الله عليهم، أن تخدش من خلال إشاعة البلبلة والشك بينهم، ولذلك كان يرفض كل الرفض، ويأبى كل الإباء أن يخبر أحداً من الصحابة عن سر رسول الله ﷺ، سواءً كان ذلك الخبر مبرئاً لساحته، أو متهماً له، وهذا من سلامة قلبه رضي الله عنه، ولهذا كان يحرص على سلامة قلوب الصحابة رضوان الله عليهم.

ومن تلك النماذج التي كانت تلح على حذيفة بن اليمان بالسؤال نموذج الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

- عن حميد بن هلال قال:

(أُتي عمر بن الخطاب برجلٍ يُصلي عليه، فدعا بوضوء ليصلي عليه وعنده حذيفة فمرزه[1] مرزة شديدة.

قال عمر: اذهبوا فصلُّوا على صاحبكم من غير أن يُخبره.

فقال عمر: يا حذيفة! أمنهم أنا؟

قال: لا، قال: ففي عمالي أحد منهم؟

قال: رجل واحد، وكأنما دل عليه حتى نزعه من غير أن يخبره)[2].

(و) عدم صلاته على المنافقين:

ولخطورة أمر المنافقين وعظم ضررهم على المجتمع الإسلامي، وخبث تعاملهم، وكيدهم للإسلام والمسلمين، فقد عاقبهم الله عز وجل في كتابه العظيم ببعض العقوبات المعنوية بحرمانهم من الاستغفار كما قال الله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[3].

وكذلك رد نفقاتهم وعدم قبولها، كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا

---

(١) مرزه: قرصه بأصابعه لئلا يصلي عليه.

(٢) كنز العمال رقم (٣٦٩٦١)، وعزاه إلى رستة في الإيمان، سير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٦٤)، أسد الغابة: (١/ ٣٩٠)، الاستيعاب: (١/ ٣٢٥).

(٣) سورة التوبة، الآية: (٨٠).

﴿وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[١].

وكذلك حرمهم من الصلاة على من يموت منهم، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[٢].

ولذلك كان حذيفة شديد الحرص على أن لا يصلي على أحد من المنافقين أبداً، ولا يقم على قبره، ولا يمشي في جنازته التزاماً منه بأمر الله تعالى، ولذلك كان الكثير من الصحابة ينظرون إلى حذيفة رضي الله عنه فإن صلى على جنازة صلوا عليها، وإن لم يصل عليها لم يصلوا عليها، وهكذا أصبح حذيفة مرجعاً لمعرفة المنافقين والحذر منهم.

● عن زيد بن وهب قال: مات رجل من المنافقين، فلم يصل عليه حذيفة.

فقال له عمر: من القوم هو؟

قال: نعم، قال: بالله أنا منهم.

قال: لا ولن أخبر أحداً بعدك)[٣].

● (كان عمر ينظر إليه عند موت من مات منهم، فإن لم يشهد جنازته حذيفة لم يشهدها عمر)[٤].

● عن حذيقة رضي الله عنه قال: (دعي عمر لجنازة فخرج فيها أو يريدها، فتعلقت به.

---

(١) سورة التوبة: الآيتان (٥٣، ٥٤).

(٢) سورة التوبة: الآية (٨٤).

(٣) المعرفة والتاريخ للفسوي: (٢/ ٧٦٩).

(٤) الاستيعاب: (١/ ٣٢٥).

فقلت: أجلس يا أمير المؤمنين! فإنه من أولئك،

فقال: نشدتك بالله أنا منهم.

فقال: لا، ولا أبرىء أحداً بعدك)[1].

(ز) النفاق والمنافقون في أقوال حذيفة:

ومما ذكرته سابقاً يتبين لك أن المنافقين من أخطر أعداء الإسلام، وأكبر المعوقين لركب المؤمنين عن تحقيق أهدافه، بل ذهب العلماء إلى أن المنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام أشد خطراً من الكفار المجاهرين بكفرهم وعداوتهم، وأنهم أخبث الكفرة وأبغضهم إلى الله تعالى، لذلك جعل الله سبحانه عذابهم أشدّ، العذاب في الآخرة فقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[2].

وفي الحياة الدنيا أمر الله تعالى نبيه والمؤمنين بجهادهم والحذر منهم، فقال تبارك وتعالى: ﴿... هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ...﴾[3] وقال أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[4].

ولذلك فقد التزم النبي ﷺ بأمر ربه عز وجل، فجاهدهم بوسائل

(١) أخرجه البزار برقم: (٨٣١)، وقال في مجمع الزوائد (٣/ ٤٢): رواه البزار ورجاله ثقات.

(٢) سورة النساء، الآية: (١٤٥)

(٣) سورة المنافقون: الآية: (٤).

(٤) سورة التوبة، الآية: (٧٣)

ارشده ربه عز وجل إليها، مع الصبر وكثرة التحذير منهم، وبيان أحوالهم للمؤمنين، ولقد كان حذيفة رضي الله عنه أمين سر رسول الله ﷺ بمعرفة أسماء هؤلاء المنافقين، ومعرفة أحوالهم ولذلك سار على نفس نهج أستاذه الحبيب المصطفى ﷺ في جهادهم والتحذير منهم، بل وتنبيه الناس عن كل فعل أو عمل قد يوصلهم إلى مرتبة هؤلاء المنافقين:

١ ـ أحاديث تحذر من النفاق وأحواله:

لقد حرص حذيفة رضي الله عنه أن يروي عن رسول الله ﷺ أحاديث تبين أحوال المنافقين، وتفضح أساليبهم ووسائلهم فمن ذلك ما جاء في التحذير من:

● أهل النفاق والنمامين:

عن هَمَّام بن الحارث، قال:

كَانَ رَجُلٌ يَنْقُلُ الحديثَ إلى السُّلطانِ، فكنا جلوساً مَعَ حُذيفةَ، فمرَّ ذلكَ الرجُلُ قيل:

هو هذا، فقال حذيفة: سمعتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ»[1].

● ويحذر من أن يكون الأنسان المسلم أمعة:

عن حُذيفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب برقم: (٦٠٥٦)، ومسلم في الإيمان برقم: (١٠٥)، وأبو داود برقم: (٤٨٧١)، والترمذي برقم: (٢٠٢٦)، وأحمد: (٥/ ٣٨٢، ٣٨٩).

«لا تكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وإن ظَلَمُوا ظَلمنَا، ولكنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إنْ أَحسَنَ النَّاسُ أن تُحسِنُوا، وإن أَسَاؤوا فلا تَظلِمُوا»(١).

● ويحذر من جدال المنافق:

عن جُنْدبٌ البَجَلِيّ رضي الله عنه: أن حُذيفة حدثه قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«إنَّ ما أَتَخوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قرأ القرآنَ حتّى إذا رُئِيَتْ بَهْجَتُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ رِدْئاً للإِسْلَام، غَيَّرَهُ إلى ما شاءَ اللَّهُ، فانْسَلخَ مِنْهُ، ونَبَذَهُ وراءِ ظَهْرِهِ وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بالشِّرْكِ»،

قُلتُ: يا نَبِيَّ اللَّهِ، أَيُّهُما أَولى بالشِّرْكِ المَرْميُّ أم الرَّامِي؟
قال: «بَلِ الرَّامي»(٢).

وهذا الحديث عن حذيفة يفسره قول النبي ﷺ فيما جاء عن عمران بن حُصَيْنٍ، قال: قال رسول الله ﷺ:
«أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ جِدَالُ المُنَافِقِ عَليم اللِّسَانِ»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي في البر والصلة باب ما جاء في الإحسان والعفو برقم: (٢٠١٤)، وقال: حسن غريب.

(٢) أخرجه البزار برقم: (١٧٥)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: (١/ ١٨٧) وقال: إسناده حسن، وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم: (٨١)، والبخاري في التاريخ الكبير: (٤/ ٣٠١).

(٣) أخرجه البزار برقم: (١٧٠)، وابن حبان برقم: (٨٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (١/ ١٨٧)، ونسبه إلى الطبراني في الكبير والبزار وقال: رجاله رجال الصحيح، قلت: والحديث إسناده صحيح.

٢ ـ تعريفات للنفاق من حذيفة:

من هو المنافق:

● عن أبـي يحيـى الأعرج قال:

سأل رجلٌ حُذيفةَ، وأنا عنده، فقال: ما النِّفاق؟

قال: (أن تتكلَّم بالإسلام ولا تَعْمَل به)[1].

ذو الوجهيــن:

● قال معمر: وكتب به إلى أيوب السختياني:

(أن أبا مسعود الأنصاري دخل على حذيفة، فقال: أوصنا يا أبا عبد الله.

فقال حذيفة: أما جاءك اليقين: كتاب الله عز وجل؟

قال: بلى وربـي.

قال: فإن الضلالة حق الضلالة أن تعرف اليوم ما كنت تنكر قبل اليوم، وأن تنكر اليوم مـا كنت تعرف قبل اليوم، وإياك والتلون، فإن دين الله واحد)[2].

٣ ـ انتهاء مرحلة النفاق بموت رسول الله ﷺ:

يرى حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أن مرحلة النفاق قد انتهت بموت النبـي ﷺ، وأنه لم يبق للمنافقين مكان في تقسيم المجتمع

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٢/٣٦٣)، تهذيب الآثار للطبري مسند عبد الله بن عباس (٢/٦٤٢) برقم: (٩٦٠، ٩٦١)، حلية الأولياء: (١/ ٢٨١ ـ ٢٨٢).

(٢) عبد الرزاق في المصنف: (١١/٢٤٩) برقم: (٢٠٤٥٤)، وحلية الأولياء: (١/٢٧٤).

الإسلامي، وأن الإنسان مخير بين أمرين بين الكفر أو الإيمان.

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

إنما كان النفاقُ على عهدِ النبـي ﷺ، فأما اليوم فانما هو الكفرُ بعد الإيمان)[1].

قال ابن التين: (كان المنافقون على عهد رسول الله ﷺ آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، وأما من جاء بعدهم فإنه ولد في الإسلام، وعلى فطرته، فمن كفر منهم فهو مرتد، ولذلك اختلفت أحكام المنافقين والمرتدين).

وقال الحافظ ابن حجر: (والذي يظهر أن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ لم يرد نفي الوقوع وإنما أراد نفي اتفاق الحكم، لأن النفاق إظهار الإيمان وإخفاء الكفر. ووجود ذلك ممكن في كل عصر، وإنما اختلف الحكم لأن النبـي ﷺ كان يتألفهم، ويقبل ما أظهروه من الإسلام ولو ظهر منه احتمال خلافه، وأما بعده فمن أظهر شيئاً فإنه يؤاخذ به ولا يترك لمصلحة التألف لعدم الاحتياج إلى ذلك، وقيل غرضه أن الخروج عن طاعة الإمام جاهلية، ولا جاهلية في الإسلام، أو تفريق للجماعة فهو بخلاف قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوْا﴾ وكل ذلك غير مستور فهو كالكفر بعد الإيمان)[2].

٤ ـ تحذير حذيفة رضي الله عنه التابعين من النفاق:

شراسة المنافقين بعد الرسول ﷺ:

● عن حذيفة قال:

---

(١) أخرجه البخاري في الفتن: برقم: (٧١١٤)، وأبو نعيم في الحلية: (١/ ٢٨٠).

(٢) فتح الباري: (١٣/ ٧٤).

(إنَّ المنافقينَ اليومَ شرٌّ منهم على عهدِ النبـي ﷺ. كانوا يومئذٍ يُسِرُّونَ واليومَ يَجهَرون)[1].

وفي رواية النسائي (عن حذيفة قال: قيلَ لهُ: المنافقُونَ اليَوْمَ أَكثرُ أَمْ على عَهْدِ رسول الله ﷺ؟

قال: بل هُمْ اليَوْمَ أَكثرُ، لأَنَّهُ كان يَومَئِذٍ يَستَسِرُّونَهُ واليَوْمَ يَسْتَعلِنُونَهُ).

إن حذيفة رضي الله عنه يعتبر المنافقين بعد رسول الله ﷺ أكثر شراً، وأعم خطراً منهم على زمن رسول الله ﷺ لأنهم أكثر عدداً، وأكثر مجاهرة بشرورهم وفتنهم، ولأنهم يرون الخروج على الناس بالسيف رغم إعطاءهم الطاعة وبذلهم لها في البداية، وفي هذا يقول ابن بطال رحمه الله ما نصه:

(إنما كانوا شراً ممن قبلهم لأن الماضين كانوا يسرون قولهم فلا يتعدى شرهم إلى غيرهم، وأما الآخرون ـ يعني بعد وفاة النبـي ـ فصاروا يجهرون بالخروج على الأئمة، ويوقعون الشر بين الفرق فيتعدى ضررهم لغيرهم، قال: ومطابقته للترجمة من جهة أن جهرهم بالنفاق وشهر السلاح على الناس هو القول بخلاف ما بذلوه من الطاعة حين بايعوا أولاً ثم خرجوا عليه آخراً). انتهى.

وقال ابن التين: (أراد أنهم أظهروا من الشر ما لم يظهر أولئك،

---

(١) أخرجه البخاري في الفتن برقم: (٧١١٣)، والنسائي في الكبرى برقم: (١١٥٩٥)، والبيهقي في السنن: (٨/ ٢٠٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٨٠).

غير أَنهم لم يصرحوا بالكفر، وإنما هو النفث يلقونه بأفواههم فكانوا يعرفون به). قال الحافظ ابن حجر ويشهد لما قال ابن بطال ما أخرجه البزار من طريق عاصم عن أبي وائل: (قلت لحذيفة: النفاق اليوم شر أم على عهد رسول الله ﷺ؟.

قال: فضرب بيده على جبهته وقال: أوه، هو اليوم ظاهر، أنهم كانوا يستخفون على عهد رسول الله ﷺ)[1].

(ب) تحذير حذيفة من الوقوع في النفاق:

● عَن الأَسْوَدِ رحمه الله قَالَ:

كُنَّا جُلُوساً في حَلْقَةٍ فيهَا عَبْدُ اللَّهِ، فَجَاءَ حُذَيْفَةُ حتى قَامَ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ النِّفَاقَ عَلَى قَوْمٍ وكَانُوا خَيْراً مِنكُمْ.

قالَ الأَسْوَدُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يقُولُ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[2]. فتبسَّمَ عبد اللَّهِ، وانطلقَ حُذَيْفَةُ حَتَّى جَلَسَ في نَاحِيَةِ المَسْجِدِ، وقامَ عَبدُ اللَّهِ وتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ.

قالَ: فَرَمَاني بالحَصَا فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: عَجِبْتُ من ضَحِكِهِ وَقَدْ عَرَفَ مَا قُلْتُ، أَجَلْ، قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النِّفاقَ عَلَى قَوْمٍ خَيْرٍ مِنْكُمْ ثُمَّ تابُوا فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)[3].

قال الحافظ في الفتح: (لقد أنزل النفاق على قوم خير منكم):

---

(١) فتح الباري: (١٣/ ٧٤).

(٢) سورة النساء: الآية (١٤٥).

(٣) أخرجه البخاري في التفسير برقم: (٤٦٠٢)، والنسائي في الكبرى برقم: (١١٥٩٦).

أي ابتلوا به لأنهم كانوا من طبقة الصحابة فهم خير من طبقة التابعين، لكن الله ابتلاهم فارتدوا ونافقوا فذهبت الخيرية منهم، ومنهم من تاب فعادت له الخيرية، فكأن حذيفة، حذر الذين خاطبهم وأشار لهم أن لا يغتروا فإن القلوب تتقلب، فحذرهم الخروج من الإيمان لأن الأعمال بالخاتمة، وبين لهم أنهم وإن كانوا في غاية الوثوق بإيمانهم فلا ينبغي لهم أن يأمنوا مكر الله. فإن الطبقة الذين من قبلهم وهم الصحابة كانوا خيراً منهم، ومع ذلك وجد بينهم من ارتد ونافق، فالطبقة التي هي من بعدهم أمكن من الوقوع في مثل ذلك، وقوله: (فتبسم عبد الله كأنه تبسم تعجباً من صدق مقالته)[1].

● عن شُتَيْر بن شكل، وعن صلة بن زفر، وعن سليك بن مسحل العطفاني قالوا:

خرج علينا حذيفة ونحن نتحدث فقال:

(إنكم لتتكلمون كلاماً، كنا لنعده على عهد رسول الله ﷺ النفاق)[2].

● عن أبي الرقاد قال:

خرجتُ مَعَ مولايَ وأَنا غُلام فدُفعتُ إلى حذيفةَ وَهُوَ يقول:

(إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها

---

(١) فتح الباري (٨/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٨٤)، وقال الهيثمي في المجمع: (١٠/ ٢٩٧) رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن ليث بن أبي سليم مدلس، قلت: والحديث حسن لشواهده.

منافقاً، وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أَربعَ مراتٍ، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر ولتحضن على الخير، أو ليسحتنكم الله جميعاً بعذاب، أو ليُؤمرنَّ عليكم شراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم)[1].

مما سبق ذكره يتبين لنا سبب اهتمام حذيفة رضي الله عنه بالنفاق والمنافقين، وكثرة تحذيره منهم، لأنهم أشد الناس خطراً على الإسلام وأهله، وأن خطورتهم تكمن في استتارهم عن المؤمنين، وخفاء أساليبهم في المكر والكيد وتظاهرهم بالإيمان، والتلبيس على عباد الله بالمظهر المزيف الذي يخفى وراءه حقداً وعداءً.

ولكن الله بفضله قد كشف لجنده سترهم، وأزاح عنهم الغطاء الذي نسجوه بنفاقهم، وبين صفاتهم وخصائصهم وأساليبهم، وما يستتر وراء أفاعيلهم من النوايا الخبيثة، والكفر الأصيل، والحقد الدفين، ليكون المؤمنون على حذر منهم في كل زمان، لأن ما تنزل فيهم من الآيات الكاشفة عنهم لا تختص بأولئك الذين نزلت فيهم، وإنما تشملهم وتشمل غيرهم في كل جيل وهي تحليل صادق من العليم الخبير للنفس الإنسانية التي يغزوها النفاق في كل عصر[2].

وهذه الصفات بعضها يدل على غياب الإيمان من قلوب أصحابها ومن ارتكس في شيء منها كان من الكافرين المخلدين في جهنم، إذا مات عليها ولم يتب، ومنها ما يتعلق بالعمل، ويدل على ضعف الإيمان.

---

(١) أبو نعيم في الحلية: (١/ ٢٧٩).
(٢) في ظلال القرآن: (١/ ٢٥)، رجال الفكر والدعوة في الإسلام ص (٦٢).

وإن لم يكن قرينة قاطعة على غيابه بالكلية، وهو بمفرده من أكبر الذنوب، فإن كان ضمن حد لا يدل على خلل في العقيدة لم يخرج صاحبه من دائرة الإيمان، وإن عد كبيرة من الكبائر، ولكن قد يكثر نفاق العمل ويصبح صفة ملازمة لصاحبه، بحيث يكون قرينة قوية تدل على وجود خلل في الاعتقاد، أو يكون العمل مما لا يمكن تأويله إلا بحمله على سوء الاعتقاد بالله أو برسوله أو باليوم الآخر، فيكون صاحبه من الصنف الأول[1].

ومن هذه الصفات التي ذكرها رب العزة في كتابه العزيز، وفضح أصحابها من المنافقين وأهل النفاق ما يلي:

١ ـ إبطال الكفر والتظاهر بالإيمان.

٢ ـ صفة المخادعة.

٣ ـ العزوف عن التحاكم إلى الله ورسوله، وعدم الرضا بحكمهما.

٤ ـ موالاة الكفار وممالأتهم على المسلمين.

٥ ـ الدس والوقيعة، وإشعال الفتنة، واستغلال الخلافات بين المسلمين ومحاولة توسيع شقتها.

٦ ـ الجبن الشديد والتخلف عن الجهاد.

---

(١) تفسير ابن كثير: (١/ ٤٧)، الصارم المسلول: ص (٢٤)، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: ص (١٤). تفسير القرطبي: (٨/ ٢١٣، ٢١٤)، أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٩٧٥).

٧ ـ التخذيل والتثبيط والإرجاف.

٨ ـ الصد عن سبيل الله، وتضليل العباد والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

٩ ـ يحبون ويحاولون أن تشيع الفاحشة في المؤمنين.

١٠ ـ انتقاد المؤمنين والتهوين من شأنهم ومن أعمالهم والاستهزاء بهم.

١١ ـ الكذب وخيانة العهد والأمانة.

١٢ ـ الكسل في عبادة الله عز وجل.

١٣ ـ الذبذبة وعدم الاستقرار والثبات في أحد الصفين: الصف المؤمن، أو الصف الكافر.

١٤ ـ الفرح بما يصيب المسلمين من الضراء، والاستياء بما يجعل الله لهم من النصر والتمكين.

١٥ ـ العناد والاستكبار وعدم الاقتناع مع وضوح الحجة ونصاعة البراهين التي يواجهون بها.

١٦ ـ شراستهم على المسلمين في الأزمات[١].

وأختم هذا الفصل بعبارات نفيسة للإمام ابن كثير رحمه الله وهو يعقب على أوائل آيات سورة البقرة فيقول:

---

(١) هذه العناوين مقتبسة من كتاب الجهاد ميادينه وأساليبه لأستاذنا الدكتور محمد نعيم ياسين حفظه الله من ص (١١٦ ـ ١٤٤) فانظرها هناك بأدلتها من آيات القرآن الكريم.

(فتلخص من مجموع هذه الآيات الكريمات أن المؤمنين أيضاً صنفان: مقربون وأبرار، وأن الكافرين صنفان: دعاة ومقلدون، وأن المنافقون أيضاً صنفان: منافق خالص ومنافق فيه شعبة من نفاق، كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان». استدلوا به على أن الإنسان قد تكون فيه شعبة من إيمان وشعبة من نفاق، إما عملي لهذا الحديث أو اعتقادي كما دلت عليه الآية، كما ذهب إليه طائفة من السلف وبعض العلماء كما تقدم...) (... عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ:

«القلب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح.

فأما القلب الأجرد: فقلب المؤمن فسراجه فيه نوره.

وأما القلب الأغلف: فقلب الكافر.

وأما القلب المنكوس: فقلب المنافق الخالص عرف ثم أنكر.

وأما القلب المصفح: فقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة، يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم، فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه» وهذا إسناد جيد حسن)[1].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٤).

الفَصْل التَّاسع

حذيفة بن اليمان و«تفسير القرآن»

لقد تميز الجيل الأول من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم بسعة الاطلاع، وشمول المعرفة، ووضوح الرؤيا، فكان الواحد منهم فقيهاً مع الفقهاء، ومحدثاً مع المحدثين، ومفسراً مع المفسرين، ومجاهداً مع المجاهدين، رجل سياسة وحكم، وفاتحاً عظيماً في ميادين الجهاد، ومعلماً مربياً، وقاضياً عادلاً، وزاهداً ورعاً، إذ أن هذه الأمور والعلوم وجوانب التربية والسلوك لم تعرف الفصل بينها إلا بعد فترة طويلة من الزمان، حين تولى الناس عن شريعة الإسلام، وضعفت فيهم روح الالتزام بأوامره وأحكامه.

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يروون عن رسول الله ﷺ ما كان يحدث به في مختلف نواحي الحياة، حتى تتعرف الأجيال التي بعدهم على صورة المجتمع الإسلامي الكامل الذي جاء النبي ﷺ لبنائه، ورفع دعائمه وأساساته، ولينفذوا ما أوصاهم به الرسول ﷺ، وما ائتمنهم عليه من أمانة تبليغ ما جاء به إلى من بعدهم، حيث أوصاهم في أكبر تجمع لأهل الإسلام يوم الحج الأكبر ـ حجة الوداع ـ

أن يقوموا بالتبليغ عنه صلوات الله عليه.

فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«... ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعلَ بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه...»(١).

وكان رسول الله ﷺ يفسر الآيات القرآنية، ويبين مقاصدها، ويوضح مراميها، ويفصل مجملها، بألفاظه الكريمة، ليكون ما يقوله ويفعله ويقرره بمثابة بيان للقرآن الكريم، وتفسير له، وهذا ابن كثير رحمه الله يبين لنا أحسن طرق التفسير حيث يقول:

(فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟.

فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، فإن أعياكَ ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾(٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٧)، ومسلم برقم: (١٦٧٩)، أبو داود برقم: (١٩٤٨)، وابن ماجه برقم: (٢٣٣)، وابن خزيمة برقم: (٢٩٥٣، ٢٩٥٢)، والبيهقي في السنن: (٥/ ١٤٠، ١٦٥ ـ ١٦٦)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٧، ٣٩، ٤٥، ٤٩).

(٢) سورة النساء، الأية: (١٠٥).

وقال تعالى: ﴿ . . . وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

ولهذا قال رسول الله ﷺ: «ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه»[3]، يعني السنة، والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن، إلاّ أنها لا تتلى كما يتلى القرآن.

وقال أيضاً رحمه الله:

وحينئذٍ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن).

(وأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام لما رواه محمد بن جرير

---

(١) سورة النحل، الآية: (٤٤).

(٢) سورة النحل، الآية: (٦٤).

(٣) أخرجه الترمذي برقم: (٢٦٧٤)، وأبو داود برقم: (٤٦٠٤)، وابن ماجة برقم: (١٢)، والدارمي: (١/ ١٤٤)، وأحمد في المسند: (٤/ ١٣٠، ١٣١)، وحسنه الترمذي والحديث صحيح.

رحمه الله تعالى حيث قال: ثنا محمد بن بشار، ثنا يحيى بن سعيد، ثنا سفيان حدثني عبد الأعلى هو ابن عامر الثعلبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال:

«من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار»[١].

ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، ومنهم ما رواه ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة: (أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم. لقالَ فيها، فأبى أن يقول فيها) إسناده صحيح[٢].

ولقد كان لحذيفة رضي الله عنه مشاركة في تفسير القرآن الكريم بما نقل لنا من سنة صحيحة عن الحبيب ﷺ في هذا، وسأورد فيما يلي ما جاء عنه رضي الله عنه في هذا الباب.

فضائل القرآن والقراءات:

١ ـ إنزال القرآن على سبعة أحرف:

● عن ربعي بن خراش قال:

حدثني من لم يكذبني يعني حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: لقي النبي ﷺ جبريل عليه السلام وهو عند أحجار المراء، فقال:

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير حديث رقم: (٢٩٦٠)، والنسائي في الكبرى برقم: (٨٠٨٥)، وقال الترمذي حديث حسن، والحديث فيه ضعيف هو عبد الأعلى الثعلبي.

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٤ ـ ٥) بتصرف.

«إن أُمتك يقرؤون القرآن على سبعة أحرف، فمن قرأ منهم على حرف فليقرأ كما علم ولا يرجع عنه»[1].

٢ ـ إشارته على عثمان بجمع القرآن:

● عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال:

«أن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنهما ـ قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزعَ حذيفة اختلافهم في القراءة.

فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك. . .) وذكر الحديث[2].

٣ ـ خطورة قارىء القرآن المنافق:

● عن جُندب البجليّ رضي الله عنه: أن حذيفة رضي الله عنه حدثه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ ما أَتخوفُ عليكُمْ رَجلٌ قرأ القرآن حتّى إذا رئيت بَهجتُهُ عَلَيْهِ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٨٥، ٤٠١)، والطبراني في الكبير: (٣٠١٨)، والبزار برقم: (٢٣١٠)، وقال ابن كثير في التفسير: (٤/ ١٨): إسناده صحيح ولم يخرجوه. قلت: والحديث حسن الإسناد فقط، وله شواهد ومتابعات.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٤٩٨٧)، وابن أبي داود في المصاحف: ص (٢٥ ـ ٢٦)، والترمذي برقم: (٣١١٥)، والنسائي في الكبرى برقم: (٧٩٨٨)، وابن حبان برقم: (٤٥٠٧).

وَكَانَ ردئاً للإسْلام، غَيَّرهُ إلى ما شاءَ اللَّهُ، فانسلخَ منه، ونَبَذَهُ وراءَ ظَهْرِهِ، وَسَعَى عَلَى جَارِه بالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بالشِّرْكِ».

قلت: يا نبيَّ اللَّهِ أيهُما أولى بالشرْكِ المَرْميُّ أم الرَّامي؟
قال: «بَل الرَّامي»[1].

من مرويات تفسير القرآن عند حذيفة:

١ ـ سورة البقرة:

ـ قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[2].

● عن حذيفة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا حز به أمر صلى)[3].

قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ. . .﴾[4].

● عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«فُضِّلنَا عَلَى النّاس بثلاثٍ؛ جُعِلتِ الأَرضُ كُلها مَسْجداً، وَجُعلَ تُربَتُهَا لَنَا طهوراً، وجُعلَتْ صفوفنا كصُفوفِ الملائِكة، وأُوتيتُ هَؤُلاءِ

---

(١) أخرجه البزار برقم: (١٧٥)، وذكره الهيثمي في المجمع: (١/ ١٨٧)، وقال: إسناده حسن. وأخرجه ابن حبان برقم: (٨١)، والبخاري في التاريخ الكبير: (٤/ ٣٠١).
(٢) سورة البقرة: الآية (٤٥).
(٣) أخرجه أبو داود برقم: (١٣١٩)، والطبري في تفسيره برقم: (٨٥٠)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٨)، وصححه أحمد شاكر رحمه الله، قلت: وهو حسن لشواهده فقط.
(٤) سورة البقرة: الآية (٢٨٥).

الآياتِ من آخر سُورةِ البقرة من كنزٍ تحتَ العرشِ لم يُعْطَهُ أَحدٌ قبلي، ولا يُعْطيَ أَحدٌ بعدي»[1].

٢ ـ سورة آل عمران:

ـ قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ...﴾[2].

● عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ ولتَنْهَوُنَّ عَنِ المنكر أو ليوشكنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذاباً مِنْهُ فتدعونه فلا يستجيبُ لكم»[3].

٣ ـ سورة النساء:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾[4].

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(أُتي اللَّهُ تعالى، بعبد من عبادِهِ آتاه الله مالاً، فقال له: ماذا عملتَ في الدنيا؟

قال: ـ ولا يكتمون الله حديثاً ـ قال:

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف: (٣/ ٢٧)، وأبو عوانة: (١/ ٣٠٣) والبيهقي: (١/ ٢١٣)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٣)، والطيالسي برقم: (٤١٨)، وإسناده صحيح.

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٠٤).

(٣) أخرجه الترمذي في الفتن برقم: (٢١٧٦)، وأبو داود برقم: (٤٣٣٨)، وابن ماجه برقم: (٤٠٤٣)، والحديث حسن.

(٤) النساء: الآية (٤٢).

يا رب آتيتني مَالكَ، فكنتُ أُبايعُ الناسَ، وكان من خُلُقي الجواز، فكنتُ أُيسرُ على الموسر، وإنظِرُ المُعْسِر.

فقال الله تعالى: أنا أحقُ بذا منك تجاوزوا عن عبدي).

فقال عقبة بن عامر، وأبو مسعود الأنصاري ـ رضي الله عنهما ـ هكذا سمعناه من رسول الله ﷺ)[1].

قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ...﴾[2].

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

نزلت آيةُ الكَلاَلةِ على النبـي ﷺ في مسيرٍ لَه، فَوَقَفَ النبـي ﷺ، فإذا هو بحذيفة، وإذا رأس ناقةِ حُذيفةَ عِندَ مؤتزرِ النبـي ﷺ فلقّاها إيَّاهُ، فنظر حُذيفةُ فاذا عُمرُ رضي الله عنه فلقّاها إياه، فلَّما كان في خلافة عُمر رضي الله عنه نظر عُمر ـ رضي الله عنه ـ في الكلالة فَدَعَا حذيفة فسألهُ عَنْها.

فقال حذيفةُ: لقد لقَّانيها رسولُ الله ﷺ فلقَّنتُكَ كما لقَّاني، والله إني لصادق، واللَّهِ لا أَزيدكَ على ذلكَ شيئاً أبداً)[3].

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٥٦٠)، والحاكم: (٢/٣٠٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) سورة النساء: الآية (١٧٦).

(٣) أخرجه البزار كما في الكشف برقم: (٢٢٠٦)، وقال الهيثمي في المجمع: (١٣/٧). رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، غير أبـي عبيدة بن حذيفة، ووثقه ابن حبان.

٤ ـ المائدة:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ... ﴾[1].

● عن أبي وائل: عن حذيفة رضي الله عنه: أنه سمع قارئاً يقرأ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾.

قال: القربة، ثم قال:

لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله وسيلة.

وفي لفظ لعبد الرحمن بن يزيد قال:

قلنا لحذيفة أخبرنا برجل قريب السمت والهدي برسول الله ﷺ حتى نأخذ عنه؟

قال: ما أعلم أحداً أقرب سمتاً وهدياً ودلا برسول الله ﷺ حتى يواريه جدار بيته من ابن أم عبد)[2].

قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[3].

● عن همام قال: كنا عند حذيفة فذكروا ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ

---

(١) سورة المائدة: الآية (٣٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٥/٣٩٥)، والحاكم: (٢/٣١٢)، وسكت عنه الحاكم والذهبي. وأخرجه البخاري برقم: (٣٧٦٢،٦٠٩٧)، والترمذي برقم: (٣٨٣٣)، والطيالسي برقم: (٤٢٦)، وابن أبي شيبة: (١٢/١١٥)، وابن حبان برقم: (٧٠٦٣).

(٣) سورة المائدة: الآية (٤٤).

﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فقال رجل من القوم: إن هذا في بني إسرائيل.

فقال حذيفة: (نعم الأخوة بنوا اسرائيل، إن كان لكم الحلو ولهم المر، كلا والذي نفسي بيده حتى تحذو السنة بالسنة حذو القذة بالقذة)[1].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ...﴾[2].

● عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

(لا ينبغي لمسلم أن يذل نفسه، قيل: وكيف يذل نفسه؟ قال: يتعرض من البلاء لما لا يطيق)[3]،

قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾[4].

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(غاب عنا رسول الله ﷺ يوماً فلم يخرج حتى ظننا أنه لن يخرج، فلما خرج سجد سجدة فظننا أن نفسه قد قبضت منها، فلما رفع رأسه قال:

---

(١) أخرجه الحاكم: (٢/ ٣١٢) وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) سورة المائدة: الآية (٥٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٤٠٥)، والترمذي برقم: (٢٢٦١)، وابن ماجه برقم: (٤٠٤٦) وقال الترمذي: حسن صحيح. قلت: والحديث صحيح لشواهده.

(٤) سورة المائدة: الآية (١١٨).

«إن ربـي تبارك وتعالى استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم؟

فقلت: ما شئت أي رب هم خلقك وعبادك.

فاستشارني الثانية. فقلت له كذلك.

فقال: لا أُحزنك في أمتك يا محمد، وبَشَّرَني أن أول من يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً، مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب.

ثم أرسل إليَّ فقال: ادع تجب وسل تعط.

فقلت لرسوله: أو معطي ربـي سؤلي.

فقال: ما أرسلني إليك الا ليعطيك، ولقد أعطاني ربـي عز وجل ولا فخر، وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وأنا أمشي حيا صحيحاً، وأعطاني أن لا تجوع أُمتي، ولا تغلب، وأعطانى الكوثر فهو نهر من الجنة يسيل في حوضي، وأعطاني العز والنصر والرعب يسعى بين يدي أمتى شهراً، وأعطاني أني أول الأنبياء أدخل الجنة، وطيب لي ولأمتي الغنيمة. وأحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا، ولم يجعل علينا من حرج»[1].

٥ ـ **الأعراف:**

قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾[2].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/٣٩٣)، وقال الهيثمي في المجمع (٢/٢٨٧) رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه كلام، وقال أيضاً: (١٠/٦٨) رواه أحمد وإسناده حسن ولمعظم أجزاءه شواهد في الصحيحين وغيرهما.

(٢) سورة الأعراف: الآية (٤٦).

● عن صلة بن زفر.

عن حذيفة رضي الله عنه قال: أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا: (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين)، فبينما هم كذلك، إذْ اطلع عليهم ربك قال: (قوموا ادخلوا الجنة فإني قد غفرتُ لكم)[١].

٦ ـ سورة التوبة (براءة):

من قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾[٢].

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(ما تقرؤون ربعها يعني براءة، وإنكم تسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب)[٣].

قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾[٤].

● عن زيد بن وهب قال:

كُنّا عند حُذيفةَ فقالَ: (ما بقيَ منْ أَصحاب هذهِ الآيةِ إلا ثلاثةٌ ولا منَ المنافقين إلاّ أربعة ـ فقال أعرابيّ: إنكم أصحاب محمدٍ تخبروننا فلا ندري، فما بالُ هؤلاء الذي يبقُرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا؟

---

(١) أخرجه الحاكم: (٢/ ٣٢٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(٢) سورة التوبة: الآية (١).
(٣) أخرجه الحاكم: (٢/ ٣٣١) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
(٤) سورة التوبة: الآية (١٢).

قال: أولئكَ الفساق، أَجلْ لَمْ يبقَ منهم إلاّ أَربعة، أحدُهم شيخٌ كبيرٌ لو شربَ الماءَ الباردَ لما وَجَدَ بردَه)[1].

● عن صلة بن زفر قال:

(عن حذيفة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ قال: لا عهد لهم.

قال حذيفة: ما قوتلوا بعد)[2].

قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3]

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(إن صلاة رسول الله ﷺ لتدرك الرجل وولده، وولد ولده)[4].

٧ ـ سورة النحل:

قوله تعالى: ﴿. . وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا. . .﴾[5].

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٦٥٨)، والنسائي في الكبرى برقم: (١١٢١٥).
(٢) أخرجه الحاكم: (٢/ ٣٣٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
(٣) سورة التوبة: الآية (١٠٣).
(٤) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦، ٤٠٠)، وقال الهيثمي في المجمع: (٨/ ٢٦٨) رواه أحمد عن ابن لحذيفة عن حذيفة ولم أعرفه. قلت: والحديث حسن لشواهده.
(٥) سورة النحل: الآية (٩١).

«من شرط لأخيه شرطاً لا يريد أن يفي له به، فهو كالمدلي إلى جاره إلى غير منعة»[١].

٨ ـ الإسراء:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ...﴾[٢].

● عن أبي قلابة قال:

قال أبو عبد الله لأبي مسعود أو قال أبو مسعود لأبي عبد الله ـ يعني حذيفة: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول في زعموا؟

قال: سمعته يقول: «بئس مطية الرجل»[٣].

قوله تعالى: ﴿... عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا...﴾[٤].

● عن صلة بن زفر قال:

سَمِعتُ حُذيفةَ رضي الله عنه يَقولُ:

(يُجْمعُ النَّاسُ في صَعيدٍ ولا تَكَلَّمُ نَفسٌ، فأَوَّلُ مَدْعُوٍّ محمد ﷺ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، والخَيْرُ في يَدَيْكَ، والشرُّ ليسَ إليكَ والمهْدِيُّ مَنْ هَدَيْتَ، وَعَبْدُكَ وابْنُ عَبْدك، وبكَ وإلَيْكَ، ولا مَلْجَأَ ولا مَنْجى مِنْكَ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/٤٠٤). وقال الهيثمي في المجمع (٤/٢٠٥) رواه أحمد وفيه الحجاج بن أرطأة وهو مدلس ثقة وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) سورة الإسراء: الآية (٣٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند: (٤/١١٩، ٥/٤٠١)، وأبو داود برقم: (٤٩٧٢)، البخاري في الأدب المفرد برقم: (٧٦٢)، الزهد لابن المبارك برقم: (٣٧٧)، البيهقي في السنن: (١٠/٢٤٧) وإسناده صحيح.

(٤) سورة الإسراء: الآية (٧٩).

إلاَّ إليْكَ تباركتَ وتعالَيْتَ. فهذا قولُهُ: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾[1].

٩ ـ النــــور:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ . . . ﴾[2].

● عن زيدِ بن يُثَيع:

عَنْ حُذيفة رضي الله عنهُ قالَ:

(قَالَ رسول الله ﷺ لأَبـي بَكرٍ: لَوْ رأَيتَ مَعَ أُمِّ رُومانَ رَجُلاً ما كُنت فاعِلاً بِهِ؟

قَالَ: كنتُ واللَّهِ فاعِلاً بِهِ شراً.

قالَ: فأَنتَ يا عُمرُ؟

قال: كنتُ واللَّهِ قاتِلهُ، كنتُ أقولُ لَعَنَ اللَّهُ الأَعجزَ، فإنهُ خبيثٌ قال: فنزلت: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ . . . ﴾[3].

١٠ ـ العنكبوت:

قوله تعالى: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ . . . ﴾[4].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى برقم: (١١٢٩٤)، والطيالسي برقم: (٤١٤)، والطبري في تفسيره (١٥/٩٧، ٩٨)، والبزار برقم: (٣٤٦٢)، والحاكم: (٢/٣٦٣) وصححه ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٧٧) رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. قلت: والحديث صحيح.

(٢) سورة النور: الآية ٦.

(٣) أخرجه البزار برقم: (٢٢٣٧) وقال الهيثمي في المجمع: (٧/ ٧٤) رواه البزار ورجاله ثقات.

(٤) سورة العنكبوت: الآية (١٣).

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(سأل رجل على عهد النبي ﷺ فأمسك القوم، ثم إن رجلاً أعطاه فأعطى القوم، فقال النبي ﷺ:

«من سن خيراً فاستن به كان له أجره ومن أجور من يتبعه غير منتقص من أجورهم شيئاً، ومن سن شراً فاستن به كان عليه وزره ومن أوزار من يتبعه غير منتقص من أوزارهم شيئاً»[1].

١١ - يـــس:

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[2].

● عن ربعي، قال:

(قال عقبة بن عمرو لحذيفة: ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول؟

قال: سمعته يقول: إن رجلاً حضره الموت، فلما أيس في الحياة أوصى أهله، إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً جزلاً، ثم أوقدوا فيه ناراً حتى إذا أكلت لحمي وخلص إلى عظمي فامتحشت فخذوها فاذروها في اليَمِّ، ففعلوا، فجمعه الله عز وجل إليه، وقال له: لَمَ فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، قال: فغفر الله له.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٨٧)، والبزار برقم: (١٥٠)، وقال الهيثمي في المجمع: (١/ ١٦٧) رجاله رجال الصحيح إلا أبا عبيدة بن حذيفة وقد وثقه ابن حبان. قلت: والحديث صحيح لشواهده.

(٢) سورة يس: الآيتان (٧٨ ـ ٧٩).

قال عقبة بن عمرو: أنا سمعت يقول ذلك وكان نباشاً)[1].

قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2].

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(أتيت رسول الله ﷺ ذات ليلة لأصلي بصلاته، فافتتح فقرأ قراءة ليست بالخفية ولا بالرفيعة، قراءة حسنة يرتل فيها يسمعنا، قال: ثم ركع نحواً من قيامه، ثم رفع رأسه نحواً من ركوعه، فقال: «سمع الله لمن حمده» ثم قال: الحمد لله ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة» حتى إذا فرغ إلى الطول وعليه سواد من الليل)[3].

١٢ ـ الانفطار:

قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾[4].

● عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال:

قام سائل على عهد النبي ﷺ فسأل فسكت القوم، ثم إن رجلاً أعطاه فاعطاه القوم، فقال النبي ﷺ: «من استن خيراً فاستُن به فله أجره ومثل أجور من اتبعه غير منتقص من أجورهم شيئاً، ومن استن شراً فاستُنَّ به فعليه وزره ومثل أوزار من اتبعه غير منتقص من أوزارهم شيئاً».

---

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء برقم: (٣٤٧٩)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٩٥).
(٢) سورة يس: الآية (٨٣).
(٣) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٤٠١) وإسناده صحيح.
(٤) سورة الانفطار: الآية (٥).

قال: وتلا حذيفة بن اليمان: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾[1].

وبهذا نلحظ أن حذيفة رضي الله عنه كان متشعب العلوم، متعدد المعارف واسع الأفق، زخم العطاء، مع دقة في الاستنباط، وقوة في الحجة، وإبداع في الأداء، فهو الملجأ عند الأزمات، والمنقذ عند المسائل العويصة. له عند كل مشكلة حل، وإزاء كل موقف له أسلوب وطريقة.

ونلحظ أيضاً من المسائل التي وردت عنه في تفسير كتاب الله استدلاله على رأيه بالآيات، وتأييد الحديث الشريف لما ذهب إليه من التفسير. والمسائل التي أوردها مختلفة المشارب، متعددة الجوانب، وليست محصورة في جانب واحد، وهذا من عمق فهمه، ودقة استنباطه، وشمولية المعرفة عنده رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٨٧)، والبزار برقم: (١٥٠)، والحاكم في المستدرك: (٢/ ٥١٦ ـ ٥١٧) وصححه ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في المجمع: (١/ ١٦٧): رجاله رجال الصحيح إلا أبا عبيدة بن حذيفة وقد وثقه ابن حبان. قلت: والحديث صحيح لشواهده.

الفَصْلُ العَاشِر

متفرقات
من حياة حذيفة بن اليمان

(أ) علمه بأحوال القلوب وأمراضها:

إن تنقية القلب وتهذيب النفس من أهم الفرائض العينية، وأوجب الأوامر الإلهية، ولهذا كان رسول الله ﷺ يوجه الصحابة لإصلاح قلوبهم، ويبين لهم أن صلاح الإنسان متوقف على إصلاح قلبه وشفائه من الأمراض الخفية، والعلل الكامنة، ولذلك أخبر رسول الله ﷺ عن أهمية القلب وخطورته، ووجوب الاهتمام به وأصلاحه.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنَّ الحلالَ بَيِّنٌ وإنَّ الحرامَ بَيِّنٌ، وَبَينَهُما أُمورٌ مُشتَبهاتٌ، لا يَعْلَمهُنَّ كثيرٌ مِنَ النّاسِ، فَمنْ اتَّقى الشُّبهاتِ استبرأ لدينِهِ وَعِرْضِه، ومَنْ وَقَعَ في الشُّبهاتِ وَقعَ في الحرامِ، كالرَّاعي يَرعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا وإنَّ حِمَى اللَّهِ محارِمُهُ، أَلا وإنَّ في الجسده مُضغَةً إذا صَلَحتْ صلَحَ الجَسَدُ كلُّهُ، وإذَا فَسدَت فَسَدَ الجَسَدُ

كلُّه، أَلا وهِيَ القَلبُ»[1].

فقد بين الرسول ﷺ أن صلاح حركات العبد بجوارحه، واجتنابه للمحرمات واتقاءه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه، فإن كان قلبه سليماً، ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركاتُ الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات.

وإن كان القلب فاسداً، استولى عليه اتباع هواه، وطلب ما يحبُّه، ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب.

ولهذا فإن النبي ﷺ أمرنا أن نزكي قلوبنا، وننقي نفوسنا. حتى يتهيأ هذا القلب ليكون موضع نظر الله عز وجل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أَجسادِكُمْ وَلا إلى صُوَرِكُمْ، ولَكِنْ يَنظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ»[2].

وفي لفظ: «إنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

فما دام صلاح الإنسان مربوطاً بصلاح قلبه، الذي هو مصدر

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٢، ٢٠٥١)، ومسلم برقم (١٥٩٩). وابن حبان برقم (٧٢١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤)، وابن ماجه برقم (٤١٤٣)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٨٥، ٥٣٩٢).

أعماله الظاهرة تعيَّنَ عليه العمل على إصلاحه بتخليته من الصفات المذمومة التي نهانا الله عنها، وتحليته بالصفات الحسنة التي أمرنا الله بها، وعندئذ يكون القلب سليماً صحيحاً، ويكون صاحبه من الفائزين الناجين، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

ولهذا كان النبي ﷺ يقول في دعائه:

عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته:

«اللهم إني أسألكَ الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، واستغفرك لما تعلم»[2].

فالقلب السليم: هو السالم من الآفات والمكروهات كلها، وهو القلب الذي ليس منه سوى محبة الله، وما يحبه الله، وخشية الله، وخشية ما يباعد منه.

قال الإمام السيوطي رحمه الله.

(وأما علم القلب ومعرفة أمراضه من الحسد والعجب والرياء

---

(١) سورة الشعراء: الآيتان (٨٨، ٨٩).

(٢) أخرجه أحمد: (٤/ ١٢٥)، والترمذي برقم: (٣٤٠٧)، والنسائي: (٣/ ٥٤) والحديث صحيح.

ونحوها، فقال الغزالي: أنها فرض عين)[1].

فإذا كنا نلحظ أن القلب بهذه الأهمية والخطورة، وأن تزكيته وتهذيبه، ومعرفة أمراضه من فروض الأعيان، لا نعجب حينئذ من عظيم اهتمام حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بهذا العلم وهذا الفرض، فقد كان رضي الله عنه لا يهتم لما يهتم به عامة الناس من سفاسف الأمور، ولا يهوى ما يهواه الآخرون، إنما كان سعيه لممارسة علوم وفنون، يظنها عامة الناس ضرباً من الجنون، لا يبغي من وراء ذلك سمعة أو مادة، ولكنه كان يهتم بزراعة شجرة الخير في القلوب، وتنقيتها وتهذيبها لتكون أهلاً لنظر علام الغيوب. شجرة جذرها ضارب في الأرض وراسخ فيها، وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وهو لا يطلب قصراً يسكن، ولا مركب يركبه، ولا ذهب يجمعه، ولكنه يسعى إلى قصور تبنى على أرض كثبانها من المسك، وحصباؤها من اللؤلؤ، ولبناتها من الذهب والفضة.

كان اهتمامه رضوان الله عليه من أرقى أنواع الاهتمامات، يركز جهوده الإصلاحية على أخطر موضع في الإنسان، على تلك المضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله، إلا وهي القلب، فيقوم بسكب أنواع من المقويات والمنشطات في القلوب المريضة والغافلة والزائغة والغليظة وغيرها من أنواع القلوب السوداء، ويضعها أيضاً على القلوب المطمئنة والمنيبة، والسليمة والوجلة، وغيرها من أنواع القلوب البيضاء، التي يتتابها أحياناً بعض حالات الضعف.

---

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي ص (٥٠٤).

ويعطي كل واحد من أصحاب هذه القلوب من هذه المقويات على قدر حاجته، فتقوى القلوب وتستيقظ بعدما كانت في سبات دام لحظة أو ساعات.

١ ـ أنواع القلوب عند حذيفة:

● يروي حذيفة رضي الله عنه عن أستاذه الحبيب ﷺ حديثاً صحيحاً يحدد فيه أنواع القلوب، وقدرتها على التعامل مع الفتن فيقول حذيفة رضي الله عنه:

(كنا عند عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال: أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه.

فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟

قالوا: أجل.

قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أَيكم سمع النبـي ﷺ يذكرُ الفتن التي تموج موج البحر؟

قال حذيفة: فاسكت القوم، فقلت: أنا. قال: أنت لله أبوك!

قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب اشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً، كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما اشرب من هواه».

قال حذيفة: وحدثته؛ أن بينك وبينها باباً مغلقاً يوشكُ أن يكسر.

قال عمر: أكسراً، لا أبا لك! فلو فتح لعله كان يعاد.

قلت: لا، بل يكسر، وحدثته؛ أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت، حديثاً ليس بالأغاليط)[1].

ويتبين من هذا الحديث أن القلوب تنقسم إلى قسمين، قلوب سوداء وقلوب بيضاء وتختلف درجات السواد والبياض في كل قسم بمقدار ما اشرب من فتن، وعليه فإن كل قسم من هذين يضم في طياته أنواعاً من القلوب ذكرها الله عز وجل في كتابه العظيم.

- وعن حذيفة رضي الله عنه قال:

(القلوب أربعة:

قلب أغلف فذلك قلب الكافر.

وقلب مصفح فذلك قلب المنافق.

وقلب أجرد فيه سراج يزهر فذاك قلب المؤمن.

وقلب فيه نفاق وإيمان، فمثل الإيمان كمثل شجرة يمدها ماء طيب.

ومثل النفاق مثل القرحة يمدها قيح ودم، فأيهما ما غلب عليه غلب)[2].

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان حديث رقم: (١٤٤)، والحاكم في المستدرك: (٤/٤٦٨)، وأبو نعيم في الحلية: (١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣).

(٢) حلية الأولياء: (١/٢٧٦)، والزهد لابن المبارك: (٥٠٤)، وقد جاء عن أبي سعيد الخدري عند الإمام أحمد بإسناد جيد مرفوعاً إلى النبي ﷺ بنحوه.

٢ ـ أثر الذنوب على القلوب:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء، حتى يصير قلبه كالشاة الربداء)[١].

يتحدث حذيفة رضي الله عنه عن أثر الذنوب على القلوب وأنها تصل بها إلى مرحلة السواد والقسوة، وعدم معرفة المعروف وإنكار المنكر، والذنوب جراحات تجرح القلب وتكلمه، وربما أوصلته إلى مرحلة الموت يقول ابن القيم رحمه الله:

(الذنوب جراحات، ورب جرح وقع في مقتل!! وما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله، وأبعد القلوب من الله القلب القاسي! وإذا قسا القلب قحطت العين، وقسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل، والنوم، والكلام والمخالطة).

٣ ـ من مظاهر أمراض القلوب عند حذيفة:

أ ـ دروس الإسلام وانتهاء معالمه من القلوب:

● عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يُدرس[٢] الإسلام كما يدرس وشي الثوب، لا يُدْرى ما صيام ولا صدقة ولا نُسك، ويُسرى على كتاب الله عزوجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، ويبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، لا إله إلا الله فنحن نقولها».

---

(١) حلية الأولياء: (١/ ٢٧٣).

(٢) يدرس: يزول وتمحى معالمه.

فقال صلة ـ يعني بن زفر ـ: فما تغني عنهم إلا إله إلا الله لا يدرون ما صيام ولا صدقة ولا نسك؟!

فأعرض عنه حذيفة ـ رضي الله عنه ـ: فردد عليه ثلاثاً كل ذلك، فأعرض عنه، ثم أقبل عليه في الثالث فقال:

(يا صلة تنجيهم من النار، تنجيهم من النار، تنجيهم من النار»[1].

ب ـ نزع الأمانة من قلوب الناس:

● عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال:

حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر:

حدثنا أنَّ الأمانة نزلت في جَذْر قلوب الرجال، ثمَّ نزل القرآن فعلموا من القرآن، وعلموا من السُّنّة.

ثمَّ حدثنا عن رفع الأمانةِ فقال:

(ينام الرجلُ النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قبله، فيظل أثرها مثل أثر المجل، كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً، وليس فيه شيء)، ثم أخذ حصاة فدحرجه على رجله (فيصبح الناس يتبايعون، ولا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فُلانٍ رجلاً أَميناً، حتى يُقَال للرَّجُلِ: ما أَجْلَدَهُ! ما أَظْرفَهُ! ما أَعقَلهُ! وما في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان).

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٤٠٤٩)، والحاكم في المستدرك: (٤/ ٥٤٥)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي على شرط مسلم، وقال البوصيري في الزوائد: صحيح ورجاله ثقات، قلت: وهو صحيح كما قالوا.

ولقد أتى عليَّ زمانٌ وما أُبالي أَيَّكُمْ بايعت؛ لئن كان مسلماً لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دينُهُ، ولئن كان نصرانياً أو يهودياً لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ ساعيه، وأَمَّا اليَومَ فما كُنْتُ أُبايعُ منكم إلاّ فلاناً وفلاناً)[1].

٤ ـ ميت القلب عند حذيفة:

● عن أبي الطفيل أنه سمع حذيفة يقول:

يا أيها الناس ألا تسألوني؟ فإن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، أفلا تسألون عن ميت الأحياء؟

فقال: إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ فدعا الناس من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان، فاستجاب له من استجاب فحيي بالحق من كان ميتاً، ومات بالباطل من كان حياً.

ثم ذهبت النبوة فكانت الخلافة على منهاج النبوة، ثم يكون ملكاً عضوضاً، فمن الناس، من ينكر بقلبه ويده ولسانه، والحق استكمل.

ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه كافاً يده وشعبة من الحق ترك.

ومنهم من ينكر بقلبه كافاً يده ولسانه، وشعبتين من الحق ترك.

ومنهم من لا ينكر بقلبه ولسانه ويده. فذلك ميت الأحياء)[2].

٥ ـ بحث عن العلاج:

لم يقف حذيفة رضي الله عنه عند حد المعرفة، وإنما سعى

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٠٨٦)، ومسلم برقم (١٤٣). وأحمد في المسند: (٥/ ٣٨٣).

(٢) حلية الأولياء: (١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥).

وبحث عن العلاج حين شعر بشيء من الغفلة تصيب قلبه، فبحث عن علاج مرض يوشك أن يورده الموارد، ويصيب نفسه وقلبه بمقتل، فيبادر إلى سؤال النبي ﷺ عن علاج لسانه الذي فيه ذرب وحدة، فيجد العلاج الشافي عند المربي الأكبر سيدنا محمد ﷺ.

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(كان في لساني ذرب على أهلي. لم أعده إلى غيره، فذكرت ذلك للنبي ﷺ قال:

«أين أنت من الاستغفار يا حذيفة إني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة وأتوب إليه»[1].

٦ ـ معرفة بقلوب الرجال:

● عن أبي إسحاق قال:

قال حذيفة رضي الله عنه:

(قلب صلة من ذهب)، وفي رواية أخرى: (أنه منور كالذَّهَب)[2].

وصلة الذي يتحدث عنه حذيفة رضي الله عنه، هو التابعي الكبير

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٣٩٤، ٣٩٦)، والدارمي: (٢/ ٣٠٢)، وأبو نعيم في الحلية: (١/ ٢٧٦)، وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (١٤١)، والحديث حسن لغيره.

(٢) المعرفة والتاريخ للفسوي: (١/ ٢٣٢، ٢/ ١١٠). تهذيب الكمال: (١٣/ ٢٣٤)، الجرح والتعديل: (٤/ ترجمة ١٩٦٤)، تاريخ بغداد: (٩/ ٣٣٦).

الثقة صلة بن زفر العبسي أبو العلاء الكوفي، وهو أحد كبار تلاميذ حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر، وعبدالله بن مسعود[1].

(ب) ما قيل في حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما:

استحق حذيفة رضي الله عنه الثناء من كل من عرفوه لما كان يتمتع به من المكانة العالية، والمنزلة الرفيعة، ويكفيه فخراً أن يكون صاحب سر رسول الله ﷺ الذي لم يعرفه غيره، ويكفيه أن يعرف له الخلفاء الراشدون مكانته هذا فيولوه ثقتهم التي كان لا يستحقها ولا ينالها إلا القليل من الرجال.

ولقد أثني على حذيفة رضي الله عنه بما هو أهله من بين هذا كله نذكر ما يلي:

١ ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

● (عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه: تمنوا، فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فانفقه في سبيل الله.

فقال عمر: تمنوا، فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملءُ هذا البيت ذهباً فأنفقه في سبيل الله.

فقال: تمنوا، فقال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جواهر ونحوه فأنفقه في سبيل الله.

فقال عمر: تمنوا، فقالوا: ما نتمنى بعد هذا؟

---

(١) انظر ترجمته في تهذيب الكمال: (١٣/ ٢٣٣)، وسير أعلام النبلاء: (٤/ ١٧).

فقال عمر: لكني أتمنى أن يكون ملءُ هذا البيت رجالاً مثل أبـي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، فاستعملهم في طاعة الله)[١].

٢ ـ علي بن أبـي طالب رضي الله عنه:

● عن قيس قال:

(سئل علي عن حذيفة فقال: كان أعلم الناس بالمنافقين)[٢].

● قال زاذان:

(إن علياً سئل عن حذيفة فقال: عَلِمَ المنافقين، وسأل عن المعضلات، فإن تسألوه تجدوه بها عالماً)[٣].

٣ ـ أبو الدرداء رضي الله عنه:

● قال أبو الدرداء رضي الله عنه لعلقمة:

(أليس فيكم صاحب السر الذي لم يكن يعلمه غيره ـ يعني حذيفة ـ)؟[٤].

٤ ـ أبو هريرة رضي الله عنه:

● عن خيثمة بن أبـي سبرة: أن أبا هريرة رضي الله عنه قال له:

---

(١) تهذيب الكمال للمزي: (٥/ ٥٠٥)، أسد الغابة: (١/ ٣٩٠)، التاريخ الصغير: (١/ ٥٤).

(٢) الحاكم في المستدرك: (٣/ ٣٨١).

(٣) سير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٦٣) ورجاله ثقات.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٧٤٢، ٣٧٤٣)، وأحمد في المسند: (٦/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠)، ومسلم برقم (٨٢٤).

(. . . أليس فيكم سعد بن مالك مجاب الدعوة؟ وابن مسعود صاحب طهور رسول الله ﷺ ونعليه؟ وحذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ؟ وعمار الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه؟ وسلمان صاحب الكتابين)[1].

٥ ـ أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله:

● قال فيه:

(العارف بالحق وأحوال القلوب، والمشرف على الفتن والآفات والعيوب، سأل عن الشر فاتقاه، وتحرى الخير فاقتناه، سكن عند الفاقة والعدم، وركن إلى الإنابة والندم، وسبق رتق الأيام والأزمان، أبو عبد الله حذيفة بن اليمان)[2].

٦ ـ أبو عبد الله الحاكم رحمه الله:

● قال فيه:

(حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ)[3].

٧ ـ الإمام النووي رحمه الله:

● قال فيه:

(كان صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين يعلمهم وحده)[4].

---

(١) الترمذي في المناقب، باب مناقب عبد الله بن مسعود برقم (٣٨٣٧) وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح.
(٢) الحلية لأبي نعيم: (١/ ٢٧٠).
(٣) الحاكم في المستدرك: (٤/ ٤٣٦).
(٤) تهذيب الأسماء واللغات: (١/ ١٥٤).

٨ ـ **الذهبي رحمه الله:**

● قال فيه:

(من نجباء أصحاب محمد ﷺ، وهو صاحب السر)[١].

● وقال:

(كان النبي ﷺ قد أسر إلى حذيفة أسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة)[٢].

٩ ـ **الخطيب البغدادي رحمه الله:**

● قال فيه:

(كان صاحب سر رسول الله ﷺ لقربه منه، وثقته به، وعلو منزلته عنده)[٣].

١٠ ـ **ابن حجر العسقلاني رحمه الله:**

● قال فيه:

(حذيفة بن اليمان العبسي من كبار الصحابة)[٤].

١١ ـ **ابن عبد البر رحمه الله:**

● قال فيه:

(كان حذيفة من كبار أصحاب رسول الله ﷺ)[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٦١).
(٢) سير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٦٤).
(٣) تاريخ بغداد: (١/ ١٦٢).
(٤) الإصابة في تمييز الصحابة: (١/ ٣١٧).
(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: (١/ ٢٧٧) بهامش الإصابة.

الفَصْلُ الحَادِيْ عَشَر

حذيفة بن اليمان
«أقـوال وخطـب»

(أ) خطبه رضي الله عنه:

السباق بالأعمال الصالحة:

● عن أبـي عبد الرحمن السلمي قال:

انطلقت إلى الجمعة مع أبـي بالمدائن، وبيننا وبينها فرسخ، وحذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنهما ـ على المدائن، أي كان أميراً عليها، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[1]، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق.

فقلت لأبـي: ما يعني بالسباق؟ فقال: من سبق إلى الجنة.

وفي رواية أخرى فقلت لأبـي: أيستبق الناس غداً؟ فقال: يا بني إنك لجاهل وإنما هو السباق بالأعمال.

ثم جاءت الجمعة الأخرى فحضرنا، فخطب حذيفة فقال:

---

(١) سورة القمر: الآية (١).

(ألا إن الله عز وجل يقول: اقتربت الساعة وانشق القمر، ألا وأن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار، وغداً السباق، ألا وإن الغاية النار، والسابق من سبق إلى الجنة)[1].

تفقد ضرائب الأرقاء:

● عن كردوس قال:

خطب حذيفة بالمدائن فقال:

(أيها الناس تعاهدوا ضرائب غلمانكم، فإن كانت من حلال فكلوها، وإن كانت من غير ذلك فارفضوها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّه ليس لحمٌ ينبت من سُحْتٍ فيدخل الجنة)[2].

● عن أبي داود الأحمري قال:

خطبنا حذيفة بالمدائن، فقال:

(يا أيها الناس: تفقدوا أرقاءكم، واعلموا من أين يأتونكم بضرائبهم، فإن لحماً من سحت لن يدخل الجنة أبداً، واعلموا أن بائع الخمر، ومبتاعه، وساقيه، ومسقيه، كشاربه، واعلموا أن بائع الخنزير، ومبتاعه ومقتنيه كآكله)[3].

التحذير من الفتن:

● عن هزيل قال:

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (١/ ٢٨١)، والحاكم في المستدرك: (٤/ ٦٠٩)، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) حلية الأولياء: (١/ ٢٨١).

(٣) عبد الرزاق في المصنف: (٩/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) برقم: (١٧٠٧٣)، الحلية: (١/ ٢٨١).

(قام حذيفة خطيباً في دار عامر بن حنظلة، فيها التميمي والمضري، فقال: ليأتين على مضر يوم لا يدعون لله عبداً يعبده إلا قتلوه، أو ليضربن ضرباً لا يمنعون ذنب تلعة، أو أسفل تلعة.

فقيل: يا أبا عبد الله تقول هذا لقومك، أو لقوم أنت يعني منهم.

قال: لا أقول يعني إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول)[1].

أثر الإيمان والكفر في حياة الناس:

● عن أبي الطفيل أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول:

(يا أيها الناس ألا تسألوني، فإن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، إن الله بعث نبيه ﷺ فدعا الناس من الكفر إلى الإيمان، ومن الضلالة إلى الهدى، فاستجاب من استجاب، فحيي بالحق ما كان ميتاً، ومات بالباطل ما كان حياً، ثم ذهبت النبوة فكانت الخلافة على منهاج النبوة، ثم يكون ملكاً عضوضاً، فمن الناس من ينكر بقلبه ويده ولسانه والحق استكمل.

ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه كافاً يده وشعبة من الحق ترك.
ومنهم من ينكر بقلبه كافاً يده ولسانه وشعبتين من الحق ترك.
ومنهم من لا ينكر بقلبه ولسانه فذلك ميت الأحياء)[2].

---

(١) أحمد في المسند: (٥/٤٠٤، ٣٩٠، ٣٩٥)، وابن أبي شيبة: (١٥/١١١)، والحاكم (٤/٤٧٠)، والبزار برقم: (٣٣٦١)، والطيالسي برقم (٤٢٠)، والحديث صحيح.

(٢) أحمد في المسند: (٥/٤٠٤)، وأبو نعيم في الحلية: (١/٢٧٤ ـ ٢٧٥)، إسناده صحيح رجاله ثقات.

أقوال ووصايا:

١ ـ نصيحة للقراء:

● عن حذيفة رضي الله عنه أنه كان يقول:

(اتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم، فلعمري لئن اتبعتموه فلقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً)[١].

٢ ـ تبليغ العلم وإن لم يعمل به:

● عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال:

قال لنا حذيفة رضي الله عنه:

(أنا حملنا هذا العلم، وأنا نؤدي إليكم، وإن كنا لا نعمل به)[٢].

٣ ـ أخذ العلم عن ثقة:

● عن قُريب بن عبد الملك، قال:

سمعت شيخاً جاراً لنا قال: قال حذيفة رضي الله عنه:

(خذوا عنا فإنا لكم ثقة، ثم خذوا عن الذين يأخذون عنا فإنهم لكم ثقة، ولا تأخذوا عن الذين يلونهم؟.

قال: لم؟.

قال: لأنهم يأخذون حُلْوَ الحديث ويَدَعُون مُرَّهُ، ولا يَصْلُح حُلوُه

---

(١) ابن عبد البر في جامع بيان العلم: (٢/٩٧)، الحلية: (١/ ٢٨٠)، ابن المبارك في الزهد: (١٦)، تهذيب الكمال: (٥/٥٠٨).

(٢) كنز العمال: (٧/ ٢٤) وعزاه للبيهقي وابن عساكر.

إلا بمُرِّه)[1].

٤ ـ فضل العلم على العبادة:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ:

«فَضْلُ العِلْمِ أَحبُّ إليَّ مِنْ فَضْلِ العِبَادَةِ، وخَيرُ دِينِكُمْ الوَرَعُ»[2].

٥ ـ أول علم يفقد من حياة أمة الإسلام:

● عن عبد العزيز ابن أخ لحذيفة قال:

سمعته من حذيفة منذ خمس وأربعين سنة قال:

(أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة)[3].

٦ ـ خشية الله عز وجل:

● عن سليم العامري قال:

سمعت حذيفة رضي الله عنه يقول:

(بحسب المرء من العلم أن يخشى الله عز وجل، وبحسبه من الكذب أن يقول استغفر الله، ثم يعود)[4].

---

(١) تهذيب الكمال: (٥٠٨/٥).

(٢) أخرجه البزار برقم: (١٣٩)، وقال الهيثمي في المجمع: (١/ ١٢٠)، رواه الطبراني في الأوسط والبزار وفيه عبد الله بن عبد القدوس وثقه البخاري وابن حبان وضعفه ابن معين.

(٣) حلية الأولياء: (١/ ٢٨١)، تهذيب الآثار للطبري: (٢/ ٦٧٢) مسند ابن عباس برقم: (٦ ـ ١).

(٤) حلية الأولياء: (١/ ٢٨١).

٧ ـ رأي في الأمراء:

● عن أبـي سلامة عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(ليكونن عليكم أمراء ـ أو أمير ـ لا يزن أحدهم عند الله يوم القيامة قشرة شعيرة)[١].

٨ ـ ثقل الحق وخفة الباطل:

● قال أبو جناب الكلبي: قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما:

(إنَّ الحقَّ ثقيلٌ وَهوَ مع ثِقَلِهِ مَرِيء، وإن الباطلَ خفيفٌ وهو مَعَ خِفتهِ وبِيءٌ، وتَرْكُ الخطيئة أيسر ـ أو قال ـ خير، مِنْ طلِبِ التوبة، ورُبَّ شَهْوَة ساعة أَوْرَثَتْ حُزناً طَوِيلاً)[٢].

٩ ـ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة:

● عن أبـي وائل، عن حذيفة:

(﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[٣].

قال: نزلت في النفقة)[٤].

١٠ ـ لزوم الجماعة:

● عن سعد بن حذيفة قال: سمعت أبا عبد الله ـ يعني أباه ـ يقول:

(والله ما فارق رجل الجماعة شبراً إلا فارق الإسلام)[٥].

---

(١) المرجع السابق: (١/ ٢٨٠).

(٢) تهذيب الكمال: (٥/ ٥٠٨). الزهد لابن المبارك: (٢٩١).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٩٥).

(٤) أخرجه البخاري في التفسير برقم: (٤٥١٦).

(٥) الحلية لأبـي نعيم: (١/ ٢٨٠).

١١ ـ عاقبة ترك الإنكار:

● عن يوسف بن أسباط، عن سفيان قال: قال حذيفة:

(إن الرجل ليدخل المدخل الذي يجب أن يتكلم فيه لله، ولا يتكلم، فلا يعود قلبه إلى ما كان أبداً.

قال يوسف: فحدثت به أبا إسحاق الفزاري حين قدم من عند هارون فبكى ثم قال: أنت سمعت هذا من سفيان؟)[١].

١٢ ـ الأخذ من الدنيا والآخرة:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(ليس خيركم الذين يتركون الدنيا للآخرة، ولا الذين يتركون الآخرة للدنيا ولكن الذين يتناولون من كل)[٢].

١٣ ـ رأي في الكوفة:

● عن بلال قال: عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(ما من أخبية يدفع عنها من البلاء ما يدفع عن هذه الأخبية ـ يعني الكوفة)[٣].

١٤ ـ أثر التلاعن في حياة الناس:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال:

---

(١) صفة الصفوة: (١/٦١٣).

(٢) حلية الأولياء: (١/٢٧٨).

(٣) طبقات ابن سعد: (٦/٦ ـ ٧)، والمعرفة والتاريخ: (٢/٦٩١)، والحاكم: (٤/٤٦٧) وصححه ووافقه الذهبي.

(ما تلاعن قوم قط إلاّ حَقَّ عليهم القول)[1].

١٥ ـ **الاستئذان:**

● عن مسلم بن نذير قال:

سأل رجل حذيفة رضي الله عنه فقال:

(أَستأذنُ على أمي؟.

فقال: إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره)[2].

١٦ ـ **أفجر الناس:**

● عن شمر بن عطية قال:

(قال حذيفة لرجل: أيسرك أنك قتلت أفجر الناس؟.

قال: نعم! قال: إذا تكون أفجر منه)[3].

١٧ ـ **الصبر عند اشتداد المحن:**

● عن زيد بن يثيع، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنه قال:

(أَيّ قوم: كيف أنتم إذا سئلتم الحق فأعطيتموه، ثم منعتم حقكم؟.

قلنا: من أدرك ذلك منا صبر.

---

(١) الحلية: (١/ ٢٧٩)، عبد الرزاق في المصنف برقم: (١٩٥٣٥).

(٢) البخاري في الأدب المفرد برقم: (١٠٦٠)، عبد الرزاق في المصنف برقم: (١٩٤٢١).

(٣) حلية الأولياء: (١/ ٢٨٠).

قال حذيفة: دخلتموها إذن، ورب الكعبة ـ أي الجنة ـ)[١].

١٨ ـ تبعية للأمم الأخرى:

● عن قتادة أن حذيفة رضي الله عنه قال:

(لتركبن سنن بني إسرائيل حذو القذة بالقذة، وحذو الشراك بالشراك، حتى لو فعل رجل من بني إسرائيل كذا وكذا، فعله رجل من هذه الأمة.

فقال له رجل: قد كان في بني إسرائيل قردة وخنازير، وهذه الأمة سيكون فيها قردة وخنازير)[٢].

١٩ ـ المشي لاذلال سلطان الله:

● عن زيد بن يثيع عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(ما مشى قوم إلى سلطان الله في الأرض ليذلوه، إلا أذلهم الله قبل أن يموتوا)[٣].

٢٠ ـ الاستئذان للعين:

● عن مسلم بن نذير قال:

(استأذن رجل على حذيفة، فاطلع وقال: أدخل.

قال حذيفة: أما عينك فقد دخلت، وأما استك فلم تدخل)[٤].

---

(١) عبد الرزاق في المصنف برقم: (٢٠٧١٢).
(٢) عبد الرزاق في المصنف برقم: (٢٠٧٦٥).
(٣) عبد الرزاق في المصنف برقم: (٢٠٧١٥).
(٤) البخاري في الأدب المفرد برقم: (١٠٩٠).

الفصل الثاني عشر

وفـــاة
حذيفة بن اليمان

(أ) أقواله عند الموت:

١ ـ عن الحسن قال:

لما حضر حذيفة الموت قال:

(حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، أليس بعدي ما أعلم! الحمد لله الذي سبق بـي الفتنة قادتها وعلوجها)[١].

٢ ـ عن النزال بن سبرة قال:

قلت لأبـي مسعود الأنصاري: ماذا قال حذيفة عند موته؟.

قال: لما كان عند السحر قال: أعوذ بالله من صباح إلى النار ـ ثلاثاً ـ ثم قال: اشتروا لي ثوبين أبيضين، فإنهما لن يُتركا عليَّ إلا

---

(١) الحاكم في المستدرك: (٤/٥٠٢)، سير أعلام النبلاء: (٢/٣٦٨)، الحلية: (١/٢٨٢) تهذيب الكمال: (٥/٥٠٩)، كنز العمال: (١٣/٣٤٦) ونسبه إلى ابن عساكر.

قليلاً، حتى أُبدل بهما خيراً منهما، أو أسلبهما سلباً قبيحاً)[1].

٣ ـ عن قيس قال:

عن أبي مسعود قال: لما أُتي حذيفة بكفنه وكان مسنداً إلى أبي مسعود فأُتي بكفن جديد.

فقال: (ما تصنعون بهذا إن كان صاحبكم صالحاً ليبدلن الله تعالى به، وإن كان غير ذلك ليترامنَّ به رجواها إلى يوم القيامة)[2].

٤ ـ عن زياد مولى ابن عباس قال:

حدثني من دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه، فقال:

(لولا أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به، اللهم إنك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنى، وأحب الذلة على العزة، وأحب الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، ثم مات)[3].

٥ ـ عن حذيفة رضي الله عنه قال:

(هذه آخر ساعة من الدنيا، اللهم إنك تعلم أني أحبك فبارك لي في لقائك)[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٢/٣٦٨)، المستدرك: (٣/ ٣٨١)، الأدب المفرد: ص (٧٢). أبو نعيم في الحلية: (١/ ٢٨٢)، تاريخ المدينة لابن أبي شيبة: (٤/ ١٢٤٨ ـ ١٢٤٩).

(٢) الحلية: (١/ ٢٨٢).

(٣) تهذيب الكمال: (٥/ ٥٠٩)، حلية الأولياء: (١/ ٢٨٢).

(٤) أسد الغابة: (١/ ٣٩٢).

٦ ـ **عن حذيفة رضي الله عنه قال:**

(إن في القبر حساباً، ويوم القيامة حساباً، فمن حوسب يوم القيامة عذب)[١].

٧ ـ **عن ربعي بن خراش قال:**

لما كانت الليلة التي قبض فيها حذيفة جعل يقول:

أي الليل هذا؟ ثم استوى جالساً فقال:

(اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ما شهدت، ولا قتلت ولا مالأت)[٢].

٨ ـ **عن صلة عن حذيفة قال:**

(تعودوا الصبر فأوشك أن ينزل بكم البلاء، أما إنه لا يصيبنكم أشد مما أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ)[٣].

٩ ـ **عن قتادة قال:**

بلغ حذيفة قتل عثمان رضي الله عنه وهو في الموت ـ يعني مرض الموت ـ فقال:

(إنا لله وإنا إليه راجعون، طارت القلوب مطايرها، أما والله لا يستبدلون به خيراً منه، الآخر فالآخر شر)[٤].

---

(١) حلية الأولياء: (١/٢٨٣).
(٢) تاريخ المدينة لابن أبي شبة: (٤/١٢٤٨)، تاريخ ابن عساكر: (٤/١٠٢).
(٣) حلية الأولياء: (١/٢٨٣).
(٤) تاريخ المدينة لابن أبي شبة: (٤/١٢٤٦).

١٠ ـ **عن ربعي بن خراش قال:**

قال حذيفة رضي الله عنه عند الموت:

(رب يوم لو أتاني الموت لم أشك، فأما اليوم فقد خالطت أشياء لا أدري على ما أنا فيها)[١].

١١ ـ **عن بلال بن يحيى العبسي قال:**

بلغني أنه لما قتل عثمان رضي الله عنه أُتي حذيفة وهو بالموت فقالوا له: يا أبا عبد الله، ما تأمرنا، فإن هذا الرجل قد قتل؟.

قال: فقال: أما إذا أبيتم فأجلسوني، وأسند إلى صدر رجل فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«أبو اليقظان على الفطرة، ولا يدعها حتى يموت أو ينسيه الهرم»[٢].

(ب) رأي في الكفن، ونهي عن النعي:

رأي في الكفن:

● عن صلة بن زفر أنه قال:

إن حذيفة بعثني وأبا مسعود، فابتعنا له كفناً حلة عصب بثلثمائة درهم.

فقال: أرياني ما ابتعتما لي، فأريناه.

---

(١) حلية الأولياء: (٢٧٨/١).

(٢) سير أعلام النبلاء: (٢٩٨/١)، طبقات ابن سعد: (٢٦٣/٣)، تاريخ ابن أبي شبة: (١٢٤٩/٤ ـ ١٢٥٠).

فقال: (ما هذا لي بكفن إنما يكفيني ريطتان بيضاوان ليس معهما قميص، فإني لا أُترك إلا قليلاً حتى أُبدل خيراً منهما، أو شراً منهما. فابتعنا له ريطتين بيضاوين)[1].

نهى عن النعي:

● عن حذيفة رضي الله عنه قال: (إذا مت فلا تؤذنوا بـي، إني أخاف أن يكون نعياً، فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن النعي)[2].

(جـ) تاريخ الوفاة ومكانه:

لقد كان من قدر الله أنه ما علا نجم إلا وكان مآله إلى أُفول، ولا نبت زهر إلا كان مصيره إلى ذبول، ولا طار طائر إلى كان مآله إلى نزول، ولا كبر صغير إلا وكان آخره إلى حياة الكهول، وهكذا الحياة، وبعد هذه الحياة المديدة المليئة بكل خير، وجهاد، وتضحية، وعبادة، وملازمة للنبـي الكريم ﷺ وخلفائه الراشدين رضوانُ الله عليهم، طويت صحيفة العمر المادي لحذيفة رضي الله عنه، ليبقى بعد ذلك ذكر جميل، وثناء عطر من كل مسلم يذكر حذيفة ومواقفه رضوان الله عليه.

تاريـخ وفاتـه:

● عن بلال بن يحيـى قال: (عاش بعد قتل عثمان أربعين يوماً)[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٢/٣٦٩)، الحلية: (١/ ٢٨٣)، الحاكم: (٣/ ٣٨٠).

(٢) أخرجه الترمذي في الجنائز باب كراهة النعي برقم: (٩٨٨)، وابن ماجه برقم: (١٤٧٦)، وقال الترمذي: حسن صحيح، قلت: والحديث صحيح.

(٣) المعرفة والتاريخ: (٣/ ٣١١)، تاريخ بغداد: (١/ ١٦٣)، التاريخ الكبير: (٣/ ٩٥) التاريخ الصغير (١/ ٨٠)، تهذيب الكمال: (٥/ ٥١٠)، تهذيب =

● وعن محمد بن عبد الله بن نمير وغير واحد قالوا:

(مات سنة ست وثلاثين)[١].

ولتحديد الوقت الذي توفي فيه حذيفة رضي الله عنه بدقة أكثر نذكر قول الإمام النووي رحمه الله:

(وقد توفي عثمان يوم الجمعة لثماني عشرة خلون من ذي الحجة، سنة خمس وثلاثين، ولم يدرك حذيفة وقعة الجمل لأنها كانت في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين)[٢].

قلت: فعلى هذا فإن حذيفة رضي الله عنه قد توفي في نهاية شهر محرم سنة ست وثلاثين هجرية.

مكـان وفاتـه:

● قال ابن سعد:

(مات حذيفة بالمدائن بعد عثمان، وله عقب)[٣].

وقبره اليوم موجود في مسجد سلمان الفارسي بالمدائن، وتسمى اليوم سلمان باك إلى جانب قبر سلمان.

= الأسماء واللغات: (١/ ١٥٤).

(١) طبقات ابن سعد: (٦/ ١٥)، شذرات الذهب: (١/ ٤٤)، تاريخ بغداد: (١/ ١٦٣)، تهذيب التهذيب: (٢/ ٢٢٠)، تهذيب الكمال: (٥/ ٥١٠)، تهذيب الأسماء واللغات: (١/ ١٥٤).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات: (١/ ١٥٤ ـ ١٥٥).

(٣) سير أعلام النبلاء: (٢/ ٣٦٦)، وطبقات ابن سعد: (٧/ ٣١٧).

الخـــاتـــمَة

هذه صفحات مشرقة من حياة هذا الصحابـي الكريم ـ حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه، تلخص جوانب العظمة في شخصيته، وتعطينا فكرة متكاملة الجوانب عن هذه الشخصية الفريدة المتميزة، والتي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بتاريخنا الماضي في زمن الحبيب ﷺ، وألقت بظلالها على مستقبل أمتنا المشرق بإذن الله من خلال ما جاء عنه في أحاديث الفتن وأشراط الساعة.

والحق أن حذيفة رضي الله عنه ما عاش لنفسه، ولا ركن لدنياه، ولكنه أفنى عمره في خدمة دينه وعقيدته، فسجل التاريخ مواقفه بماء من ذهب، لتشكل هذه المواقف مشاعل نور وهداية، تضيء الطريق لأجيال هذه الأمة عبر تعاقب الأزمان، وتوالي الأيام.

فكلما ذُكر المنافقون وما كادوا لهذه الأمة في عصر النبـي ﷺ، تذكّر المسلمون أمين سر رسول الله ﷺ فيهم، الذي استطاع بإخلاصه النادر، وحبه المتفاني لنبيه وعقيدته، أن يحبط كيد هؤلاء المنافقين، ويرد كيدهم في نحورهم.

وكلما تذكّر الناس أحاديث الفتن وأشراط الساعة، والحديث عن

مستقبل هذه الأمة، وما سينزل بها من البلاء والخطوب، تذكروا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه صحابياً متفرداً متميزاً في السؤال عن هذه الفتن، والمخرج والعصمة منها عند نزولها، فيذكرون له فضله ومكانته في كشف هذه الفتن والمخرج منها، حتى تكون هذه الأمة على بصيرة من أمرها تجاهها فتعد لها عدتها، وتحشد لها إمكانياتها.

وكلما تذكر الناس حادثة جمع القرآن وتدوينه في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، تذكروا من كان له الفضل في الإشارة على الخليفة عثمان رضي الله عنه في جمع القرآن وتدوينه حرصاً منه على هذه الأمة، وخشية عليها من الفرقة والتمزق وهو حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

كثيرة هي المواقف الخالدة التي سطرت في حياة هذا الصحابي الكريم ولا أريد أن أعيدها هنا، فإني قد ذكرت أكثرها أو جلها في طيات هذا الكتاب، وقد سجل التاريخ لحذيفة هذه المواقف بأحرفٍ من نور، فلئن مات حذيفة رضي الله عنه بجسمه، فقد بقي خالداً بذكره ومواقفه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وما أحلى قول الشاعر في هذا وهو يقول:

يمـــوت الفتـــى دهـــراً ويفنـــى ادّكـــاره
وذكـــرك يبقـــى فـــي الطـــروس مخلـــداً
ومـــا رفعـــوا فـــي الكتـــب أخبـــار عـــالـــم
بمـــــآثـــــره إلا وذكـــــرك مبتـــــدا
فعـش وابـقَ واسْلَـمْ واغـن واغنـم وجـد وسـد
ودمْ وارقَ واكمُـل نـافـذ الحكـم مـرشـداً

ولقد كانت هذه الشخصية المباركة تستحق من الدراسة أكثر مما ذكرت. وتستحق من البحث أكثر مما كتبت، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، وحسبي أن أكون قد وضعت أمام طلبة العلم صورة واضحة عن هذا الصحابي الكريم ـ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ـ فلله الفضل والحمد على ما أنعم علي به، وفي الختام أسأل الله أن يجعل هذا الكتاب في ميزان أعمالي يوم القيامة إنه أكرم مسؤول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إبراهيم محمد العلي

عمان: ١٢/ ربيع الثاني/ ١٤١٦هـ

٧/ ٩/ ١٩٩٥م

المَــرَاجع

١ ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: تحقيق شعيب الأرناؤوط، طباعة مؤسسة الرسالة، بيروت (١٩٩١م).
٢ ـ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر.
٣ ـ البداية والنهاية: لابن كثير، المتوفى (٧٧٤هـ)، طبعة دار المعارف، بيروت، ١٩٧٧م.
٤ ـ تاريخ الأمم والملوك، لمحمد بن جرير الطبري.
٥ ـ تاريخ بغداد: لأبي بكر الخطيب البغدادي، طبعة القاهرة، ١٩٣١م.
٦ ـ التاريخ الصغير: للبخاري، المتوفى (٢٥٦هـ) تعليق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي والتراث، حلب ١٩٧٧م.
٧ ـ التاريخ الكبير: للبخاري، طبعة دار المعارف العثمانية، الهند ١٣٦٢ ـ ١٣٨٠هـ.
٨ ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف: الحافظ جمال الدين المزي، تحقيق عبد الصمد شرف الدين، طبعة المكتب الإسلامي.
٩ ـ تقريب التهذيب: لابن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ محمد عوامة، طبعة دار الرشيد، حلب.
١٠ ـ تهذيب الآثار: للطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة المدني.

١١ ـ تهذيب الأسماء واللغات: للإمام يحيى بن زكريا النووي.
١٢ ـ تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني، طبعة مجلس دائرة المعارف، الهند، ١٣٢٥هـ.
١٣ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال: لأبي الحجاج المزي المتوفى (٧٤٢هـ) تحقيق د. بشار عواد معروف، طبعة مؤسسة الرسالة.
١٤ ـ الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم الرازي، المتوفى (٣٢٧) طبعة دار الكتب العلمية.
١٥ ـ دلائل النبوة: للبيهقي، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، طبعة دار الكتب العلمية.
١٦ ـ الزهد: عبد الله بن المبارك: تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.
١٧ ـ سنن ابن ماجه: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة.
١٨ ـ سنن أبي داود: لأبي داود السجستاني تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشرته دار إحياء السنة النبوية.
١٩ ـ سنن الترمذي: تحقيق العلامة أحمد شاكر، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.
٢٠ ـ السنن الكبرى: لأحمد بن الحسين البيهقي، طبعة الهند ١٣٥٢هـ.
٢١ ـ سنن النسائي: بشرح الحافظ السيوطي واعتناء الشيخ عبد الفتاح أبو غدة طبعة مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب.
٢٢ ـ السنن الكبرى: للنسائي: تحقيق د. عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي، طباعة دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
٢٣ ـ سقوط المدائن: أحمد عادل كمال.
٢٤ ـ سير أعلام النبلاء: لشمس الدين الذهبي: تحقيق مجموعة من

الأساتذة، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ.
٢٥ ـ شذرات الذهب: لابن العماد الحنبلي، المتوفي (١٠٨٩هـ) طبعة دار المسيرة بيروت، ١٣٩٩هـ.
٢٦ ـ شعب الإيمان: لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد زغلول، طبعة دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ.
٢٧ ـ صحيح الإمام البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة دار الكتب العلمية.
٢٨ ـ صحيح السيرة النبوية: إبراهيم محمد العلي، طبعة دار النفائس/ عمان ١٩٩٥م.
٢٩ ـ صحيح مسلم: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العلمية.
٣٠ ـ صفة الصفوة: لابن الجوزي تحقيق محمود فاخوري، طبعة دار المعرفة للنشر والتوزيع، ١٩٨٥ ـ ١٤٠٥هـ.
٣١ ـ الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، تحقيق د. إحسان عباس طبعة دار بيروت للطباعة.
٣٢ ـ عمل اليوم والليلة: لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق د. فاروق حمادة، طبعة مؤسسة الرسالة (١٤٠٦هـ).
٣٣ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبعة المكتبة السلفية.
٣٤ ـ فتنة الفرقة والأهواء وموقف المسلم منها: د. همام عبد الرحيم سعيد، مجلة دراسات الجامعة الأردنية.
٣٥ ـ قادة فتح بلاد فارس (إيران): محمود شيت خطاب، دار الفكر ـ بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٤.

٣٦ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار: نور الدين الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩.
٣٧ ـ مجمع الزوائد: للهيثمي، طبعة مكتبة القدسي ـ القاهرة.
٣٨ ـ محمد رسول الله: محمد صادق عرجون طبعة دار القلم للنشر والتوزيع دمشق.
٣٩ ـ مسند أحمد بن حنبل: طبعة المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت ١٣٩٨هـ.
٤٠ ـ مسند الحميدي: تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة دار الكتب العلمية. بيروت.
٤١ ـ مسند الشهاب: محمد بن سَلامة القضاعي، تحقيق حمدي السلفي، طبعة مؤسسة الرسالة.
٤٢ ـ المستدرك: لأبـي عبد الله الحاكم.
٤٣ ـ المصاحف: لأبـي بكر بن أبـي داود السجستاني.
٤٤ ـ المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٣/ ١٩٨٣هـ.
٤٥ ـ المصنف لابن أبـي شيبة العبسي: تحقيق مختار أحمد الندوي، طبعة الدار السلفية، الطبعة الأولى ١٤٠٣/ ١٩٨٣.
٤٦ ـ المعرفة والتاريخ: ليعقوب بن سفيان الفسوي، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة بيروت.
٤٧ ـ الموطأ: لمالك بن أنس تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربـي.
٤٨ ـ مشكل الآثار: لأبـي جعفر الطحاوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط طبعة مؤسسة الرسالة.

الفهـرس

كتب للمؤلف

١ ـ صفحات مضيئة من عبادة السلف ـ مكتبة المنار/ الزرقاء ـ عمان.
٢ ـ علي ابن المديني/ سلسلة أعلام المسلمين ـ دار القلم/ دمشق.
٣ ـ حذيفة بن اليمان/ سلسلة أعلام المسلمين ـ دار القلم/ دمشق.
٤ ـ الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم السلام/ دار القلم/ دمشق.
٥ ـ صحيح السيرة النبوية ـ دار النفائس/ عمان.
٦ ـ تفسير سورة الأنعام/ بالمشاركة ـ دار النفائس/ عمان.
٧ ـ الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل/ دراسة حديثية تحليلية.

الكتب المحققة:

١ ـ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ـ تخريج وتعليق/ دار الجيل ـ دار عمار.
٢ ـ كتاب الرؤية للإمام الدارقطني ـ تحقيق بالمشاركة/ مكتبة المنار/ الزرقاء/ عمان.
٣ ـ كتاب مختصر قيام الليل للمروزي ـ تحقيق بالمشاركة/ مكتبة المنار/ الزرقاء/ عمان.

٤ ـ كتاب مختصر قيام رمضان للمروزي ـ تحقيق بالمشاركة/ مكتبة المنار/ الزرقاء/ عمان.
٥ ـ كتاب مختصر صلاة الوتر للمروزي ـ تحقيق بالمشاركة/ مكتبة المنار/ الزرقاء/ عمان.
٦ ـ ثلاث رسائل في الجهاد لشيخ الإسلام ابن تيميه ـ تحقيق بالمشاركة/ دار النفائس/ عمان.
٧ ـ رسالتان في حياة الأنبياء للبيهقي ـ السيوطي ـ تحقيق بالمشاركة/ دار النفائس عمان.

كتب تحت الطباعة:

١ ـ صفحات مضيئة من حياة السابقين (١)/ دار القلم ـ دمشق.
٢ ـ صفحات مضيئة من حياة السابقين (٢)/ دار القلم ـ دمشق.